الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٧ - رجب ١٤٢٥هـ - أغسطس/سبتمبر ٢٠٠٤م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 337 - AUG-SEP. 2004



- فان جوخ: الإبداع الفائق والعقل الحزين
- آثار فلسطين والعراق تحت الاحتلال
- الغاط: حاضنة أجمل منظر للكويستا في العالم

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٣٧ . رجب ١٤٢٥ هـ ـ أغسطس/سبتمبر ٢٠٠٤م

ALFAISAL MAGAZINE - No. 337 - AUG/SEP. 2004



اهتمامها بمضمون المادة.

ومطالبتك بالاهتمام بالشخصيات الإسلامية نقدرها، ولكن لابد لمجلة ثقافية عامة أن تعنى بالحركة الثقافية في العالم وبأعلامها من القدامى والمعاصرين، سواء من علماء المسلمين أو غيرهم، وهذا الأمر ينطبق أيضًا على أسئلة المسابقة.

ويسعدنا أن نتلقى الاستطلاع الذي وعدت به عن مدينة إدلب على أن يكون مستوفيًا شروط النشر من حيث التوثيق والجدة، وعلى أن تكون الصور المرفقة أصلية وجيدة من الناحية الفنية، ونكرر لك شكرنا باهتمامك بالكتابة إلى المجلة ومتابعتك، داعين الله لك بالتوفيق.

قصيدة

أحيطكم علمًا بأنني من القراء المواظبين على اقتناء مجلة «الفيصل» الموقرة، هذه المجلة الغنية بموضوعاتها الثقافية، وإعجابًا منا وعرفانًا بالدور الذي تؤديه المجلة في تثقيف قرائها الكرام على مدى سنواتها التي مضت والدور الذي سوف تؤديه مستقبلاً، كتبت في مجلتكم أبياتًا شعرية متواضعة، أرجو أن تنال رضاكم واستحسانكم.

أبدأ باسم الله قول الحق ذي في الضيق ينفع
بالفيصل المعطاء ذي دمتي علينا بالنفاعه
بالمعرفة والعلم والتثقيف رحيبة صدر أوسع
لكل من قراء واتمعن الصفحات يحظى باتساعه
أعوام تلي أعوام في وسط الكواكب نجم لامع
كل ما يعدي عام يأتي عام زاهر بالتماعه
أهديك منّي تاج عشاق القلم والفكر أجمع
يا مفخر الكتاب والقراء رأيي والجماعة
جودي لنا جودي لان لك حب وسط الناس مُطبع
يا نفخة العود وخلّي الكل يبدي انطباعه
والختم صلوا ع النبي يوم الحشر للناس يشفع
محمد رحيم القلب عسى نلقاه في يوم الشفاعه

يسلم عبدالله صالح باعُرّي

حضرموت - اليمن

التحرير:

نشكر لك هذا التعبير العفوي عن تقديرك للمجلة، ونتمنى أن تكون عند حسن ظن قرائها دومًا.

ردود سريعة

الأخ عزت محمد محمد سلامة - القاهرة - مصر:

نشكر لك الرؤية النقدية لمسرحية (١+١=١١) التي عرضت في إطار الموسم الثقافي لنقابة الصحفيين المسرحيين، والمأخوذة عن نص «مرتجلة ألما» للكاتب الفرنسي يوجين يونيسكو. وكان بودنا نشر ما أرسلته إلا أن عدم متابعة أغلب القراء لهذا العمل يجعله غير ذي جدوى، ونأمل أن نتلقى مشاركات منك عن المسرح تحظى بالنشر، شاكرين لك اهتمامك.

الدكتور ظافر عطار - دمشق - سورية:

كان بودنا نشر تعقيبك على ما نشر في مجلة «تراثنا» الكويتية وتوضيحك أن مكتشف الخط الهيروغليفي هو أحمد بن وحشية المتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي، وذلك في كتابه «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام» وليس شامبليون، ولكن نرى أن الأجدى أن يكون ردك حيث وردت المعلومة، ونثق في أن القائمين على المجلة سيحرصون على نشر توضيحك لما فيه من فائدة.

الأخت رشا محمد علي - الإسكندرية - مصر:

سبق للمجلة أن نشرت استطلاعًا مطولاً عن مكتبة الإسكندرية ويسعدنا تلقي موضوعات واستطلاعات عن معالم الإسكندرية الحضارية والثقافية، وستجد طريقها إلى النشر في حال استيفائها لشروط النشر، شاكرين لك اهتمامك.

الأخ عصمت إبراهيم وهبي - الخرطوم - السودان:

نتمنى أن تحل مشكلة توزيع المجلة في السودان، وأن تتلقى مع كل أول شهر مجلتك بدلاً من تكبد المشاق والحصول على أعدادها بجهدك الخاص، ومن خلال الأصدقاء في المملكة العربية السعودية.

ونتمنى أن نتلقى مشاركاتك واقتراحاتك، شاكرين لك اهتمامك بمجلتك وحرصك على الحصول عليها بأي وسيلة.

الغاط: حاضنة أجمل منظر للك



ـويستا في العالم

تركي بن إبراهيم القهيدان

بريدة ـ السعودية

مدينة الغاط من أهم المدن بمنطقة الرياض. وهي تقع شمال غرب الرياض ـ عاصمة المملكة ـ وتبعد عنها بنحو ٢٠٠ كم تقريباً بخط مستقيم. ووفقاً للتقسيم الإداري الذي صدر مؤخراً صنفت الغاط محافظة.

ومدينة الغاط رابضة على سهل الحَمَادة، ولشهرة هذا السهل أطلق سكان مدينة الغاط على ناديهم الرياضي مسمى (الحَمَادة)، وإلى الغرب من الغاط تظهر نفود الثويرات، وقد سميت بذلك لأنها ثائرة لا تستقر على وضع، وتظهر في الجهة الشرقية من الغاط حافة طويق، وهي في نظري أجمل منظر للكويستا في العالم.

وتعد مدينة الغاط من أبرز المناطق التاريخية والأثرية بالرياض، ومن أهم المناطق الزراعية بالمنطقة، وساعد موقعها الجغرافي المميز على ازدهارها خاصة بعد مرور طريق الرياض/القصيم السريع في أراضيها، ويبدو لي أن المنطقة كان يمر بها طرق تجارة قديمة تحتاج إلى من يحقق منازلها، ويميط اللثام عن اتجاهاتها.

لمحة تاريخية

يبدو أن موقع الغاط يعرف في الزمن القديم بـ (لغاط)، ويؤكد صاحب كتاب معجم اليمامة أن الغاط يعرف قديماً بـ (لُغَاط) بلام مضمومة وغين مفتوحة فألف وطاء (١) وقد ذكر ابن منظور في كتابه الشهير (لسان العرب) اللغَط حين قال: في مادة (لغط): واللَّغْط واللَّغَط: الأصوات المبهمة المختلفة، كما أورد قول الذهلي:

كأن لَغا الخَمُوش بجانبيه

لَغا رَكْبٍ، أُمَيمَ، ذوي لِغاطِ (٢)

كذلك أشار الفيروزآبادي إلى اللّغْط بقوله: اللّغْطُ، ويُحَرّكُ: الصوتُ، والجَلَبَة، أو أصواتٌ مُبْهَمَةٌ لا تُفْهَمُ ج: ألغاطٌ، لَغَطُوا، كمَنَعُوا، ولَغّطُوا وألْغَطُوا. والحَمامُ والقَطا يَلْغَطان لَغْطاً ولَغِيطاً. وكغُراب: جَبَلٌ وماءٌ. واللّغَطُ: فِناءُ البابِ. وألْغَطَ لَبَنَه: ألْقَى فيه الرّضْفَ، فارْتَفَعَ له النّشِيشُ (٣).

وعن تسمية الغاط بهذا الاسم يقول الشيخ عبدالله بن خميس: يبدو أنه مأخوذ من لغط السيل، وهو ضجيجه واحتدامه؛ لأن واديه به محناب بين جبال شواهق فإذا جادها الغيث اندفع سيلها محتدمًا مزمجراً لاغطاً.

ويبدو أن الشاعر المخضرم الحطيئة الذي توفي عام ٦٦٥م، وعاصر الجاهلية والإسلام قصد غاطنا هذا حين قال:

اللـــه قد نجـاك من أراط

ومن زليفـات ومن لغـاط

ونقل ياقوت الحموي عن الليث قوله في معجمه: «لغاط، اسم جبل من منازل بني تميم..» وفي كتاب بني مازن بن عمرو بن تميم قال ابن حبيب: «لغاط ماء لبني مازن بن عمرو بن تميم» (٤).

وأول من أنشأ مدينة الغاط هو (محدث العمري التميمي من بني عمرو بن تميم) أمير الزلفي، وجاءه سليمان السديري جد أسرة السدارا المعروفة ـ قادمًا من

والزلفي. الخيس: بلدة تقع جنوب شرق الغاط، المجدلية: قارة بين الغاط والمجمعة).

- **المشاهدات الميدانية:**

قمتُ بزيارة ميدانية لمدينة الغاط بتاريخ ١٤٢٢/٢/٩هـ، (٦) وقد شاهدتُ عدة مواقع أثرية وظواهر جغرافية رائعة، منها:

ـ أجمل منظر للكويستا في العالم:

تعدّ حافة طويق أجمل منظر للكويستا في العالم، ويشاهدها عند الغاط من يعبر طريق القصيم ـ الرياض السريع. وفي كتاب جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك للبكري ـ تحقيق عبد الله الغنيم ـ ورد ذكر أهم الحافات بنجد بما نصه: أهم مظاهر الطبيعة في إقليم نجد جبال العارض، التي يطلق عليها الآن جبال طويق، وهي عبارة عن كويستا عظيمة تمتد في شكل محور يحيط بنطاق الدرع العربي من جهة الشرق، ويبلغ امتدادها ما يقرب من ٨٠٠ كم ومتوسط ارتفاعها ٩٠٠م فوق سطح البحر (٧).

وأصل كلمة كويستا إسباني، وتعني جبلاً مختلف الانحدار، ويتألف الشكل العام للكويستا من انحدارين متضادين، الأول شديد الانحدار عكس اتجاه ميل الطبقات ويعرف باسم الحافة، ويمثل الآخر سطح الكويستا، ويميل ببطء شديد مع اتجاه ميل الطبقات.

أما أهالي القصيم فيطلقون على الكويستا لفظ جال، وهو تعبير صحيح من الناحية اللغوية، وقد تحدثت عن الحافات الصخرية بما فيه الكفاية في كتابي الموسوم بـ «أرض القصيم» فارجع إليه إن شئت واقرأ ما قلته في صفحة ٢٣٨

- **وادي الغاط:**

ينبع من المناطق المرتفعة قرب منطقة الخِيس، ثم يواصل سيره بشكل عام نحو الشمال الغربي، محاذياً حافة طويق الصخرية، ويرفده من الجهة الشرقية



طريق القصيم السريع عند مدينة الغاط

عنيزة فأعطاه محدث قطعة أرض في الغاط، فغرس فيها، واشتهر السديري بالكرم وبكثرة أنصاره، فخاف محدث من عاقبة الأمر فاستنصر بجماعته في حرمه، وحتى لا تقع الفتنة، قال له السديري: إما أن أشتري منك نصيبك من البلاد، وإما أن تشتري مني، فقال محدث: أنا أبيعك نصيبي فباعه ورحل إلى حرمة (٥).

وقد بين سليمان السديري حدود الغاط حين قال:

حنا حمانا من سويس إلى الخيس

والخيل ننحاها إلى المجدلية

معاني بعض الكلمات: سويس: شعيب بين الغاط



وسط مدينة الغاط

عدد من الأودية العكسية التي تنبع من حافة طويق، كما يغذيه من الجهة الغربية عدد من الشعاب التي تنبع من المناطق المرتفعة، وتتجه نحو الشمال الشرقي، ومن أهم هذه الشعاب التي تمد الوادي بالسيول (شعيب الوَسِيِّعَة).

وفي هذا الوادي عدد من المواقع الأثرية، وقد أكد ذلك ابن خميس حين قال: في هذا الوادي مناطق أثرية، بها بقايا أطلال ورسوم دوارس مثل: منطقة (مُغَيْرَان) و(السُّبَيِّخَة) (٨).

- **قلتة الرصفة:**

تعدّ قلتة الرصفة من المعالم الطبيعية والأثرية في منطقة الغاط، وهي تقع جنوب شرق الغاط على بعد ٤٠،٥ اكم تقريباً (بخط مستقيم) وشرق بريدة (بميل لا يذكر نحو الجنوب) على بعد ١١٧كم. تقريباً (بخط مستقيم). وعندما كانت السيارة تركض بنا من الغاط نحو قلتة الرصفة شاهدتُ على جانبي وادي الغاط الكثير من المزارع، كما رصدت إحداثيات موقع قريب من قلتة الرصفة وهي كالآتي:

دائرة العرض	خط الطول
٢٥ ٥٩ ٦٥	٤٥ ٠١ ٨٧

ويمكن وصف أهم المشاهدات الميدانية في قلتة الرصفة على النحو الآتي: (٩)

- **شلال القلتة:**

يبدو أن هذا الشلال نقطة تجمع وانطلاق لقوافل الرحلات القديمة، فحركة النقل والقوافل في المناطق الصحراوية ترتبط بالمواقع التي تتوافر فيها المياه منذ



كومة من الحجار يبدو أنها بقايا برج أو دائرة حجرية صغيرة

القدم. وزائر الشلال يشاهد منظراً عجيباً حيث تتدفق المياه طبيعياً من أعلى الحافة الصخرية بشكل طبيعي، وفي أثناء الزيارة الميدانية كانت كمية تسرب المياه متوسطة على شكل قويطير، وكان ماؤه حلو المذاق، وتقدر كمية المياه المتسربة بنحو بوصتين. وقد ذكر الدَّلِيّل: أن هذا النبع يستمر جريانه طول العام، وكمية المياه الجارية تختلف على حسب هطل الأمطار، وأكد أن كمية المياه المتدفقة في الوقت الحالي متوسطة. أقول: كانت زيارتي لهذا الموقع بتاريخ ٣ مايو ٢٠٠١م، وما ذكره الدَّلِيّل يدل على أن مصدر هذا النبع الأمطار. وقد اتضح لي ذلك جلياً بعد الصعود إلى قمة الحافة الصخرية، ومشاهدة المنطقة الحوضية شرق الشلال مباشرة فعند هطل الأمطار تتجمع المياه من جوانب سفوح الهضاب الصخرية في منطقة حوضية - أي على شكل حوض - يجتمع فيه ماء السماء ومن بين الفواصل والفتحات الصغيرة في الصخور الرسوبية (كلسية) تتسرب المياه من هذا الحوض - من أعلى الهضبة الصخرية - إلى أسفلها عبر الحافة الصخرية على شكل شلال طبيعي عند هطل أمطار غزيرة - أو نبع طبيعي إذا قلت الأمطار، ويظهر قرب هذا النبع عدد من الأشجار

شلال القلتة: نقطة تجمع وانطلاق لقوافل الرحلات القديمة، فحركة النقل والقوافل في المناطق الصحراوية ترتبط بالمواقع التي تتوافر فيها المياه منذ القدم



الكامينتزا (عش الدجاج)

الجميلة الخضراء، مما يدل على وجود مياه تغذيها عبر فواصل الصخور.

ويقيني أن هذا الموقع كان مورد المياه العذبة لكثير من الرحلات التي كانت تنطلق من منطقة الغاط، ونحن بحاجة إلى من يحقق لنا هذا الموقع الجميل، ويميط اللثام عن اسمه في الزمن القديم، وما ورد فيه من أبيات شعر تسر السامعين.

- السد:

يقع غرب الشلال على بعد ١٠٠م تقريباً. وهو سد حجري يبلغ ارتفاعه ١.٥م، وطوله ٣٠م تقريباً. ويظهر في طرفه الشمالي والجنوبي أشكال أسطوانية أعطت لهذا السد حماية قوية ومنظرًا جميلاً.

- ظاهرة الكامينتزا:

تقع ظاهرة الكامينتزا (عش الدجاج) جنوب الشلال، وهي ناتجة من التجوية الكيماوية بواسطة التحلل والذوبان الذي تتعرض له الصخور الكلسية المعرضة لعمل مياه الأمطار المحملة بغاز ثاني أكسيد الكربون الذائب، وبوجود الأشياء داخل الصخر (كالمواد العضوية) عملت على رفع قدرة الماء المذكور على إذابة الصخر الكلسي.

- أكوام من الحجارة:

تقع شمال شرق الشلال على بعد ٣٠٠م تقريباً، في أعلى هضبة صخرية، وهي أكوام من الحجارة يبدو أنها بقايا برج أو دائرة حجرية صغيرة شبيهة بما شاهدتُه قرب الدوائر الحجرية في أرض القصيم، وقد لفت نظري بمحاذاة الحافة الصخرية صخور يبدو أنها كانت جداراً - أو ذيل دائرة حجرية، ثم عملت عوامل التعرية على تراجع الحافة

الصخرية للخلف مما أدى إلى تراكم الصخور بشكل يشبه مذيلات الدوائر الحجرية.

وبعد كتابة ما سبق أكرمني الشيخ عبدالله الشايع - أكرمه الله - بزيارتي في منزلي وبإتحافي بأحد مؤلفاته، وبعد أن أطلعته على بعض الصور الفوتوغرافية لما شاهدته في القلتة، رجح أن تكون هذه المنشآت الحجرية (صوى) حجرية. كذلك ذكر لي بعض المواقع الأثرية في المنطقة التي تحتاج إلى تحقيق، كما حدثني عن اهتمام محافظ الغاط عبدالله بن ناصر السديري وتشجيعه للباحثين في هذا المجال (١٠).

كما أكد لي أحد سكان المنطقة (١١)، وجود مواقع أثرية تحوي كتابات قديمة يعتقد أنها نقوش ثمودية، ودوائر حجرية، وبقايا مستوطنات لا يعلم متى كانت.

والسؤال هنا: ما هو الغرض من المنشآت الحجرية المنتشرة في الجزيرة العربية؟ الحقيقة أن الغرض من المنشآت الحجرية موضوع يحتمل أحد الأمور الآتية: مدافن جاهلية، أو أعلام طرق للقوافل، أو أغراض تعبدية، أو محطات لطرق مواصلات قديمة، أو خرائط تبين الحدود، وقد تكون آثاراً لقوم عاد للعبث واللهو وإظهار القوة وليس للحاجة، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ الشعراء: ١٢٨.

وبما أنه لم يعثر حتى الآن - حسب علمي - على أي آثار إيجابية تدل على أنها مقابر، أو أطلال سكنية، فإنني أرجح أن تكون المنشآت الحجرية مدافن جاهلية أو أعلامًا للعبث واللهو، ولا أستبعد أن تكون العوامل الطبيعية أو البشرية قد أزالت ملامح من هذه المنشآت الحجرية.

فالمنشآت الحجرية مهمة، وتحتاج إلى دراسات دقيقة، ومجسات تميط اللثام عنها، وفي الحقيقة الآثار بمنطقة الرياض بشكل عام، وبمنطقة الغاط بشكل خاص لم تلق ما تستحقه من العناية والاهتمام !! ثم أليس من العيب أن نجهل حضارة آبائنا في الجزيرة العربية؟ لعل المعنيين بالسياحة والآثار يولون تلك المواقع ما تستحق من العناية والاهتمام. ولعلي أفرد حلقة خاصة عن المنشآت الحجرية في الجزيرة العربية.



سد قلتة الحجري

تعدّ حافة طويق أجمل منظر للكويستا في العالم، ويشاهدها عند الغاط من يعبر طريق القصيم ـ الرياض السريع. وأصل كلمة كويستا إسباني، وتعني جبلاً مختلف الانحدار



شلال قلتة الرصفة

المراجع والهوامش

١. ابن خميس، عبدالله: معجم اليمامة، ج٢، ص٢٠٩.

٢. ابن منظور: لسان العرب، (لغط)، المجلد ٧، ص٣٩١.

٣. الفيْروزآبادي: القاموس المحيط، (لغط)، ج١، ٨٨٥.

٤. الحموي: معجم البلدان،(لغاط)، ج٥، ص١٩.

٥. القاضي: ج١، ص٢٧٧.

٦. بصحبة أحمد بن عبد العزيز الشيبان، وأحمد بن سليمان الشقيق.

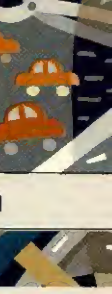
٧. البكري: جزيرة العرب من كتاب المالك والمسالك، تحقيق عبد الله الغنيم، ص١١٢.

٨. ابن خميس: عبدالله، معجم اليمامة، ج٢، ص٢١١.

٩. اعتمد الباحث في دراسته هذه على مشاهداته الشخصية على أرض الواقع، كما استفاد من بعض المصادر والمراجع، ومنها: لمحة تاريخية وجغرافية عن مدينة الغاط، ١٤١٤هـ.

١٠. أبو فيصل - يحفظه الله - غني عن التعريف وقد تفضل عليَّ بتزويدي ببعض ما احتجتُه من معلومات عن الغاط، كما دعاني - إلى زيارة المنطقة، وإطلاعي على الكثير من المواقع الأثرية والسياحية، فله مني كل الشكر والتقدير، ولا أنسَى هنا أن أشكر الأستاذ الفاضل عبدالعزيز السليمان العلي بما قدمه لي من معلومات، وكثّر الله أمثالهما ممن يشجع الباحثين.

١١. محمد بن أحمد الراشد.



اللغة والإعلام: علاقة الجوهر بال

...شكل والإطار

عبدالمؤمن بن عبدالله القين

جدة ـ السعودية

إن الحديث عن أي لغة وعلاقتها بالإعلام هو حديث عن علاقة الجوهر بالشكل والإطار.. فاللغة هي جوهر الإعلام الذي من خلاله يستطيع أن يعرض ويذيع وينشر رسائله وتعليقاته.. فالمضمون الإعلامي نفسه لابد وأن يكون ذا لغة سليمة نحويًا في المقام الأول لتكون الرسالة صافية خالية من التشويش.

ولنضرب أمثلة على ذلك منها:

ـ عدم التفريق بين المثنى والجمع في حالة النصب، كأن نقول: قام المتعلمون، قام المتعلمان.

ثم نخطئ ونكتبهما: قام المتعلمين، قام المتعلمين.

فالرفع يفرّق ـ وهو الصحيح ـ بين الجمع والمثنى (الواو/ الألف) أما النصب ـ وهو خطأ ـ فلا فرق بين الصيغتين ولا يمكن أن يكون الكاتب (المحرر) على يقظة تامة لكي يفتح ميم المثنى ويسكّن ياءه والفاعل لديه منصوب أساسًا؟!

ومن هنا ينشأ التشويش عند القارئ ـ بصفة خاصة ـ فلا يعرف الفاعل هل هو جمع أم مثنى؟!

ـ نصب المضاف إليه والاسم المجرور بأحد حروف الجر خطأ وقد أصبح شائعًا هذه الأيام في الصحافة الإلكترونية بصفة خاصة والورقية بصفة عامة، نتيجة الترجمة وجهل المحرر بقواعد النحو والصرف، صحيح أن عبارته مفهومة ـ كما يحتج ذوو الأغراض الهدامة للغة الضاد على الرغم من علمهم بقواعدها ـ ولكنها خاطئة، مثال ذلك: احتوت الميزانية عدة بنودًا للإنفاق.. إن (عدة) نكرة ولابد أن تكون معرّفة بالإضافة، والمضاف إليه يكون مجرورًا وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، ومثال الاسم المجرور ما ورد في إعلان جريدة الشرق الأوسط (ع ٩٣٢٢) في ٥/حزيران ٢٠٠٤م، حيث وردت عبارة (على مزيد) هكذا «على مزيدًا» بأحد الإعلانات المنشورة في الصفحة الخامسة.

ـ رفع خبر (كان وأخواتها) حيث ورد، في الإعلان نفسه بجريدة الشرق الأوسط خبر (أصبح) مرفوعًا هكذا: (حيث يصبح المستحيل واقع جميل) والصواب النصب، ويمثل هذا الإعلان نموذجًا للتحول اللغوي، حيث ترجم اللفظ اللاتيني إلى العربية بافتراض لا داعي له، فعنوانه (دبى لاند) Dubai land، وكان الأولى أن يكون لفظ (أرض دبى) الترجمة الصحيحة لكنه صراع الألفاظ كما يسميه علم فقه اللغة، فإلى متى تستمر هذه المهزلة التي نرى أمثلة كثيرة لها مثل: (جدة مول) بدلاً من (مول جدة) إذ إن كلمة (مول) ـ بفتح الميم وتسكين الواو على وزن غزو ـ وردت في «لسان العرب المحيط» بمعنى المال (ج٣/ص٥٥٠) وجمعها أموال، أم أن «الشياكة» والتحضر يفرضان اقتراض اللفظ اللاتيني في القاموس العربي من دون ضرورة؟

ثم هل يجوز في العربية تقديم المضاف إليه على المضاف مراعاة للشياكة ومحاكاة لتركيب الجملة في اللغة الإنجليزية؟



للإذاعة لغتها الصارمة

إننا نعرف الإجابة جميعًا بالنفي، وهذه المحاكاة تعدّ نوعًا من أنواع التداخل اللغوي بسبب تأثير لغة في أخرى (١)، ومن الطريف أن نقرر هنا أن جملة (مول جدة) هي عربية فصيحة وليس عكسًا لتركيب جملة Jeddah Mall الإنجليزية كما يتبادر إلى الذهن أول وهلة، وهكذا تسخر الحقيقة من المحاكاة والشياكة، وتنتصر الفصحى على يد كارهيها ومبغضيها، فيا لروعة هذه الحقيقة الناصعة!!

وبما أن هذه المحاكاة نجدها في الإعلان بصفة خاصة، الذي استغل سيطرة الصورة مع اللغة لخدمة فكرته القائمة على إيجاد رموز منشورة «من خلال استخدام علم اللغة وتحليل الصورة اللذين يمثلان أهمية قصوى في الإعلانات. فإن ذلك يعني أن دراسة لغة الإعلان وصورته تبحث دائمًا عن المسكوت عنه. بل إن الإعلان قائم أساسًا على رسالة ضمنية لا يمكن التصريح بها» (٢).

- رفع جواب الطلب، كما في الإعلان الذي يظهر في أيامنا هذه في اللافتات بالشوارع وفي قناة الـ M B C عن الترغيب في الصلاة هكذا: أقم صلاتك تصفو حياتك، والصحيح: أقم صلاتك تصفُ حياتك، وأصل الجملة: إن تقم صلاتك تصفُ حياتك، وفعل الأمر يجزم مثل إن الشرطية... وآخر إعلان في M B C: لتكون مكة المكرمة والمدينة المنورة خاليتين من التدخين. والصحيح: لتكن: اللام للأمر وهي تجزم الفعل المضارع، أما اللام المستخدمة في الإعلان فهي لام التعليل ويتوقع السامع أو القارئ كلامًا سابقًا للجملة التي دخلت فيها لام التعليل على الفعل المضارع فنصبته.

ومثل ذلك اسم البرنامج الفكاهي الذي تعرضه الفضائية المصرية وهو «اختار ضحكتك» بدلاً من «اختر ضحكتك» إذ لابد من بناء فعل الأمر بحذف حرف العلة.

- عدم التفريق بين هاء لفظة الجلالة (أحد أسماء الله الحسنى» والتاء المربوطة فتوضع النقطتان على الهاء بدل التاء، مثال: عبد الإله كما ورد في كتابة اسم الدكتور عبد الإله الساعاتي مساء الجمعة ١٤٢٥/٤/٢٣هـ الموافق ٢٠٠٤/٦/١١م في برنامج «الحوار الوطني» في القناة الأولى للتلفاز السعودي، هكذا: عبدالإلة، وهو - والحالة هذه - أقرب إلى كلمة الآلة لو وضعت همزة المد على اللام ألف.

- لافتات المطاعم وقوائم الطعام فيها، وهناك مثالان:

أ. مطعم فرن وصاج - ترجمت اللافتة بالإنجليزية إلى Forn w Saj وهذا جهل وإساءة إلى اللغة العربية لكتابتها



التلفاز وسحر الصورة

بحروف لاتينية وكان من المفروض وضع a بعد الـ w - مع التسليم بصحة كتابة واو العطف بالحرف اللاتيني - ولا يمكن اعتبار الأمر أنه من قبيل العلامة التجارية مثل: «رولكس» و«فولكس واجن» اللتين لا بأس من كتابتهما

الأخبار في الإذاعة والصحف والتلفاز سليمة في نحوها وصرفها وخالية من الأخطاء المطبعية في الأغلب الأعم، وإن النقد موجّه إلى أقسام الإعلام في الجامعات العربية بأنها لا تدرس مادة النحو والصرف وإنما تضمن ذلك - فيما يبدو - مادة التحرير الإعلامي

بحروف عربية إذ لا يوجد بديلهما في العربية.

- في قائمة طعام أحد المطاعم (❖) لاحظ الدكتور أحمد الضبيب - كما ورد في مقال له في المجلة العربية لشهر ربيع الأول الماضي ١٤٢٥هـ، أن المطعم يقدم ضمن قائمة «الآيسكريم» ما يأتي:

- عدد واحد بولة   السعر ....
- عدد اثنين بول   ....
- عدد ثلاث بولات   ....

فسأل المضيف: لم لا تكتبون: كرة وكرتان وثلاث كرات؟ فقال له: هذا أشيك ومدير المطعم أدرى بذلك.

وبناء عليه اقترح أستاذنا الدكتور الضبيب ساخرًا ما يأتي:

- تسمية اتحاد الكرة العالمي (باتحاد البولة العالمي).
- تسمية اتحاد الكرة الطائرة (باتحاد البولة الطائرة).
- تسمية الكرة الأرضية (بالبولة الأرضية)، ولا سيما أنها



المتخصصون .. ما دورهم؟

تلوثت بجميع الملوثات الفكرية والسياسية والبيئية والاقتصادية.... إلخ.

هكذا يأتي مثال الدكتور الضبيب صارخًا على عدم مراعاة البيئة العربية حين الأخذ من اللغات الأخرى - لا سيّما الإنجليزية دون رؤية والنظر في الحاجة إلى هذا الاقتراض الذي لا ضرورة له.

البطال لا البطل

وإنه لمن تكرار القول إن هذه الأخطاء يعدّها البعض كما في مؤلفاته أخطاء صحفية طريفة، فهي وإن كانت تثير الضحك والسخرية أحيانًا والعَجَب أحيانًا أخرى كما في الأخطاء اللغوية السياسية، إلا أنها أخطاء يؤسف لها ولا يجب أن تقع سواءً بقصد أو من دون قصد، ومثال على الخطأ السياسي الفادح ما كتبه أحد الصحافيين العراقيين عن صدام حسين في أثناء حرب تحرير الكويت بالأحرف الكبيرة:

الرئيس الفظ البطال، والصحيح هو: الرئيس الفذ البطل

وهنا يعلق الدكتور منذر الأسعد في كتابه «طرائف

تناول الدكتور مرزوق بن تنباك قضية الثنائية اللغوية وعدّها باعثًا على التحلل الذي يفتك بجسد اللغة وينهكه حتى يقضي عليه مع مرور الزمن، ويصيب إناء الثقافة بالصدأ والتكلس، وهو ما يؤدي إلى تفتيت الثقافة وتبديدها

الأخطاء الصحفية» قائلاً: لقد نطق الخطأ بالحقيقة....

وننتقل إلى قنوات الإعلام الأخرى، فالأخبار في الإذاعة والصحف والتلفاز سليمة في نحوها وصرفها وخالية من الأخطاء المطبعية في الأغلب الأعم، ولا تقع فيها هذه الأخطاء بشكل مقصود؛ أبدًا، لأن إدارة التحرير في هذه القنوات حريصة على تحرّي الدقة اللغوية وتضم كفاءات لغوية جيدة، وإن كان النقد موجهًا إلى أقسام الإعلام في الجامعات العربية بأنها لا تدرس مادة النحو والصرف وإنما تضمن ذلك - فيما يبدو - مادة التحرير الإعلامي.

ولغة الأخبار وإن كانت سليمة لغويًا لكن ليس لها صفة الخلود، ولا تستعمل المجاز إلا نادرًا كأن يقال: طار مندوبنا إلى القاهرة لتغطية مؤتمر القمة .. وبدهي أن الجاحظ لو سمع هذا الكلام لتصوّر أن للمندوب أجنحة يطير بها إذ لم تكن الطائرة موجودة في عصره.. والجاحظ - بصفة خاصة - كما أثبتت الدراسات الحديثة كان صحفيًا متنقلاً وإن كانت بعض الدراسات الحديثة تقول إن القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى» هو من ابتكر التحرير الصحفي، وليس هذا مجال بحثنا وإنما باب المجاز مفتوح لمن أراد، دون الاخلال.

أما مسألة تعامل المذيعين غير الأكفاء في الأخبار فهم يتابعون في الغالب قاعدة «سكّنْ تسلم» وفي مجال الربط البرامجي يتحاشى بعضهم الفروق الدقيقة بين الكلمات، كذلك الفرق بين كلمتي «إذ آن»، آذان» فلا يقول المذيع: ننقل لكم الآن آذان المغرب، وإنما يقول: حان الآن وقت صلاة المغرب، وننتقل الآن إلى المسجد الحرام لننقل لكم شعائر صلاة المغرب.. وهكذا يتحدث «واصل بن عطاء» الجديد إلينا.

وبرامج الحوار التلفازي والإذاعي تُراوح فيها صرامة والتزام المتحاورين باللغة وقواعدها من برنامج إلى آخر. فإن كان البرنامج دينيًا أو علميًا أو أدبيًا أو سياسيًا فالنحو والصرف بخير وعافية إلى حد كبير جدًا؛ ذلك لأنه في البرنامج السياسي أو العلمي (طبي مثلاً) تستخدم عادة اللهجة العامية والمصطلحات العلمية

لغة الخطاب العربي المقبول عبر وسائل الإعلام لا يمكن أن تكون العامية المحلية مهما كانت مسوِّغات أخصائيي علماء النفس والاجتماع الذين يسيرون مؤيدين للانبهار بوسائل التشويق والجذب الإعلامية على حساب اللغة الفصحى

بالإنجليزية ولكن العامية هنا راقية إلى مستوى الفصحى.

روح الشباب

أما إذا كان برنامج الحوار تديره المرأة الشابّة أو الرجل الشاب المثقفان بثقافة الغرب، فغالبًا ما يدخلان في حوارهما الكلمات الإنجليزية. سألت إحدى المذيعات الشابات في برنامج (يللا يا شباب) التلفازي في قناة M B C (على ما أذكر - شابًا: ليش ما تنضم لقروب G R O U P) أي لماذا لا تنضم إلى فريق؟ هكذا... والمصيبة أن البرنامج كان ذا موضوع ديني ثقافي!! فبالإضافة إلى استخدام اللفظ الأجنبي كانت المذيعة متبرجة وهي تظهر على الشاشة.. فأي مناسبة بين الشكل والمضمون هذه التي تجعل المسؤولين عن القناة يسندون برنامجًا كهذا لشابة أقل ما تؤمر به أن تغطي رأسها وتلبس لبسًا فضفاضًا محتشمًا؟ هل بني الاختيار على أساس روح الشباب التي يدار بها البرنامج؟ وهل اللغة العربية فقيرة إلى حد تلجأ معه المذيعة إلى الاقتراض لكلمة شائعة عربيًا هي (مجموعة أو فريق)؟

السينما واللغة

أما السينما فلا حاجة إلى تكرار هدمها للغة من خلال أفلام الخمسينيات - على سبيل المثال - وسخريتها من مدرس اللغة العربية كما في فيلم «غزل البنات» الذي يصوّر طبقة الباشاوات الجاهلة باللغة وذلك من خلال اعتبار الباشا «ما انحلّ» من أخوات «كان». فلعل ذلك لا يفوت على أن اللغة منتصرة على يد ذلك الجاهل حينما ضحك عليه المتفرج الواعي، الذي كان الهدف إمتاعه مع الحط من قدر معلم اللغة العربية (نجيب الريحاني) مع الأسف وإظهاره بمظهر رث يدعو إلى الشفقة.

وأحدث مثال على إفساد اللغة فيلم (الكيف) الذي أخرجه صلاح أبو سيف واعترف بنفسه أنه متهم



التداخل اللغوي بين السلبية والإيجابية

بالإساءة إلى اللغة العربية فضلاً عن زيادة تعاطي المخدرات بعد عرض فيلمه هذا، الذي يناقش - بصفة خاصة - لغة تجار المخدرات ومدى تأثير الجيل بها.

أما بالنسبة إلى دبلجة الأفلام الأجنبية وكذلك دبلجة المؤتمرات والمقابلات الصحفية في التلفاز فهي طيبة وتراعي قواعد النحو والصرف إلى حد كبير.. ولكنها - فيما يبدو - تتحاشى الصعوبات اللغوية مما يجعلها مصنفة تحت مسمى «الدبلجة القياسية» شأنها في ذلك شأن لغة الأخبار القياسية.

إذاعة وأغان ومسرح

إن هذه الدبلجة تعتمد على الجمل القصيرة ذات الفواصل وهي صحيحة - نوعًا ما - وناقلة لثقافة الآخر وحضارته، ولكنها تحتاج إلى دقة وعناية الإذاعات الموجهة مثال الـ B B C وصوت أمريكا وصوت ألمانيا، التي لجأت

إلى استخدام اللغة الفصحى في نشرات أخبارها بعد إخفاقها في استخدام العامية لاجتذاب جمهور المستمعين الذين كانوا قلة، لذا فإن اللغة العربية نفسها انتصرت على يديها - أي الإذاعات الموجهة - باستخدامهم لها منطوقة نطقًا سليمًا خاليًا من الأخطاء التي تقع فيها الإذاعات العربية نفسها، الأمر الذي لابد من الاعتراف به لإقبال المستمع العربي المثقف للاستماع إليها.

أما الأغاني فحدث ولا حرج فقد هبطت - بعاميتها المبتذلة - بالذوق اللغوي عند المستمع العربي إلى مستوى سيئ جدًا، ولا حاجة إلى ضرب أمثلة على ذلك فهي كثيرة من بداية ظهور أغاني ليلى نظمي وحتى الآن عندما أثيرت قضيتها في فيلم «الكيف».

العامية الراقية مستساغة في المسرح



الجنادرية والجمع بين العامية والفصحى



وبالنسبة إلى المسرح تبقى قضية العامية الراقية مستساغة مقبولة في مجال تحديد دور الصدق الفني الذي يؤديه البطل على خشبة المسرح، ولكن المسرح التاريخي نجح - أيضًا - حتى في المسلسلات التلفازية وفي أيامنا هذه في الحفاظ على اللغة العربية بنحوها وصرفها..

التداخل والتحول اللغويان

ولعل آخر قضية يمكن الوقوف عندها بالنسبة إلى علاقة الإعلام باللغة هي قضية «التداخل اللغوي والتحوّل اللغوي» وقد أثار هذه القضية علي القاسمي وهو باحث من المغرب بمجلة الفيصل في عددها رقم (٣٢٤) الصادر في جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ - أغسطس/آب ٢٠٠٣م، والذي يناقش فيه تأثر اللغة باللهجة العامية أو باللغة الأجنبية على عكس تعريف اللسانيين الذين يعرّفون التداخل اللغوي عامة بأنه تأثير اللغة الأم في اللغة التي يكتسبها المرء. أما مستويات هذا التأثر فهناك المستوى الصوتي، والمستوى النحوي، والمستوى المفرداتي، والمستوى الدلالي، والمستوى الكتابي.

أما أنواع التداخل اللغوي، فهناك التداخل السلبي والتداخل الإيجابي، وبالنسبة إلى تشخيص التداخل اللغوي، فهناك التحليل التقابلي، وتحليل الأخطاء ومصادر الأخطاء وأسبابها.

أما التحول اللغوي فيقوم على النظرة إلى التحول اللغوي وأسباب هذا التحول ودوافعه، وأنواعه هل هو بين الجمل أو داخل الجملة.

أما مستويات التحول اللغوي فهناك قيود على هذا التحول كالقيد الصرفي والقيد النحوي (قيد التعادل).

أسئلة واقتراحات

إن هذه الدراسة لابد وأنها مفيدة في مجال الإعلام

الذي يشهد تحولات جذرية خطيرة وجديدة على المجتمع العربي... ولنا أن نسأل من الآن:

- كم نسبة حفاظ الإعلام على اللغة؟

- كم نسبة تسيّب اللغة في قنوات الإعلام؟

- هل يمكن فرض غرامة مالية كبيرة أو صغيرة على مرتكبي الأخطاء في مجال الإعلام والإعلان التجاري، كما تقوم به بعض الدول (فرنسا مثلاً)؟

- أين برامج التوعية اللغوية كالبرنامج الذي كانت تعرضه القناة العراقية عن الأفعال والكلمات، خاصة وأن ما تعرضه القناة المصرية الفضائية حاليًا باسم «أصل الكلمة» يؤدي جزءًا بسيطًا جدًا في مجال التوعية اللغوية؟

- هل يمكن لمعجم الأخطاء الشائعة للدكتور محمد عناني أن يوفي بالنقص في مجال التوعية اللغوية، أم أن هناك إمكانية لتحويل هذا العمل إلى عمل مرئي ومقروء في الصحافة بحيث تخصص زاوية لغوية يوميًا تتعرض لقضية لغوية ما؟! وكذلك بالنسبة إلى كتّاب الفصحى ونظرية العامية للدكتور مرزوق بن تنباك؟! وكتاب ما تلحن فيه الصحف للدكتور محمد عبدالرحمن المفدى، وكتاب «لغة الإعلام بين الالتزام والتفريط» للدكتور إبراهيم درديري، وكتاب «اللغة والمرأة» للدكتور مصطفى عبدالواحد، وكتاب «اللغة والاقتصاد» للدكتور نبيل علي؟

- ما هو الطرح المناسب لهذه التوعية في ظل الحقائق الآتية:

- البرامج التوعوية السابقة والحالية: إيجابياتها، وسلبياتها.

- دراسة شرائح الجمهور وطرح التوعية بطريقة تعيدها إلى جادة الصواب وتقضي على السخرية التي تملأ نفوس قطاع كبير من المتعلمين والمثقفين لجهلهم بأهمية التراكيب النحوية الصعبة والألفاظ الغريبة لا سيما غير المستخدم منها.. وتسمى هذه الطريقة بدراسة اللغة وعلاقتها بالمجتمع.

- التنسيق مع المجامع اللغوية العربية بهذا الشأن للوقوف على آخر قراراتها بالنسبة إلى ما استجد من ألفاظ وتراكيب وغيرها، سواء سبق اسم الاختراع العلمي قرار المجمع في الشيوع أم لم يسبقه.

- محاولة إيجاد صيغة وسط بين اختلافات المجامع اللغوية في اجتهاداتها مثل كلمة الفاكس، قال البعض إنه: الفاقوس، والآخر قال: الفاقس، وأن أصله عربي... إلخ...

- التأكيد في التوعية على أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والحفاظ عليها يعني الحفاظ على لغة هذا الكتاب المقدس.

- ضرورة التوازن في حملة التوعية بين العامل

انتصرت اللغة العربية على يد الإذاعات الموجهة باستخدامهم لها منطوقًا نطقًا سليمًا خاليًا من الأخطاء التي تقع فيها الإذاعات العربية نفسها

تبقى قضية العامية الراقية في المسرح مستساغة مقبولة في مجال تحديد دور الصدق الفني الذي يؤديه البطل على خشبة المسرح، ولكن المسرح التاريخي نجح حتى في المسلسلات التلفازية وفي أيامنا هذه في الحفاظ على اللغة العربية بنحوها وصرفها



تفاوت في التزام اللغة وقواعدها من برنامج حواري إلى آخر

الاقتصادي والعامل المعرفي الذي لا يمكن أن يكون خاضعًا للعامل الأول فتحارب اللغة بسببه.. كما يجب النظر في اختيار الأكفاء لغويًا من الجنسين مع المظهر الجيد لهم بحيث لا يطغى على المضمون ولا يكون لافتًا للانتباه إلى حد البهرجة في الزي بالنسبة إلى النساء بصفة خاصة.

- دعم أقسام الرقابة اللغوية في كل من الصحافة والإذاعة والتلفاز والصحافة الإلكترونية والإنترنت والإعلانات التجارية في وسائل الإعلام المختلفة بكفاءات لغوية كفؤة وكذلك في المؤسسات الإعلانية والفنادق...إلخ.

- التوجه بالنصح والإرشاد لجميع المعلنين وأصحاب المحلات التجارية (مطاعم/ ملابس.... وغير ذلك) الالتزام قواعد اللغة نحوًا وصرفًا وترجمة... مع عدم كتابة الألفاظ العربية بالحروف اللاتينية أو العكس إلا إذا كانت ماركة أجنبية تجارية لاختراع نزل الأسواق قبل اتخاذ قرار بشأنه من قبل المجمع اللغوي فأصبح من الصعب محوه من الأذهان، إلا إذا كان هناك بديل في العربية يكتب إلى جانبه سواء بسواء.

- يمكن للدراما التلفزيونية والكاريكاتير الصحفي أداء دور مميز في السخرية من جهلة اللغة، كجزء من التوعية اللغوية عبر وسائل الإعلام. كأن تكون الطرفة في الإعراب - مثلاً - هي موضع السخرية.. فكلمة (وطني) أعربها أحد طلاب الصف الثاني المتوسط:



لافتات المحلات تحمل كماً هائلاً من الأخطاء اللغوية

الواو/ للعطف ـ طن/ وحدة وزن والياء للمتكلم.. وهكذا دواليك.

ـ بالنسبة إلى الصحافة الأدبية يحتاج البحث فيها إلى إمعان النظر في كثير من التراكيب اللغوية الجديدة سواء في النثر الفني أو غير ذلك من المقالات الأدبية النقدية، السياسية، الاقتصادية، القانونية...إلخ، ثم أساليبها المختلفة وعرضها على المنهج النحوي الصرفي واختيار التركيب اللغوي القياسي المناسب الذي يتأثر بعوامل كثيرة أهمها الترجمة والاقتصاد والبيئة مثلاً.

ـ مدى تأثير الهاتف في القضاء على أدب الرسائل: من الواضح أنه قضى عليه، والفئة الاجتماعية التي تكتب الرسائل هي الأدنى اقتصاديًا فتعتمد على

إجادة اللغات الأجنبية مطلوبة شريطة توظيفها بعقلانية، إذ من شأنها إيقاف الأساليب العشوائية في التواصل الدولي الذي تكاد فيه اللغة الإنجليزية تزيح ما عداها من لغات

البريد... وتكتفي الفئة الغنية والمتوسطة برسائل العمل الرسمية والمعاملات اليومية التي تخلو غالبًا من أي قيمة أدبية إلا رسائل التهاني بالأعياد والمناسبات التي انتشرت عبر الجوال شعرًا منثورًا، أو نثرًا شعريًا، إن هذه الظاهرة تستحق التوقف لدراستها.

- دراسة شعر أفراح الزواج حيث اتخذ بعض الشعراء المجيدين قرضه تكسبًا، كما يحاول كل من هب ودب أن يكون فارس الحلبة فيقرض بيتين ركيكين أو أكثر لإهدائها إلى العروسين.

- إحداث وظائف مصححين لغويين في الوزارات والأجهزة الثقافية - بصفة خاصة - وتكون هذه الوظائف متدرجة من مصحح لغوي لحامل البكالوريوس إلى خبير

"الثنائية اللغوية" تعني انفصام اللهجات المحلية عن اللغة الفصحى بشكل كبير، وهذا الأمر يزيد من الفجوة بينهما ويزيد من عوامل الفرقة بين شعوب لغة الضاد، وتنحصر الفصحى في الخطاب الديني والسياسي والتعليمي فقط

ومستشار لغوي أسوة بالمستشار القانوني والمستشار الإعلامي... وغيرها تبعًا للمستوى اللغوي الباراسيكولوجي الذي يعنى بدراسة الظواهر الخارقة التي لم تستطع التقنية الغربية من الوصول إليها وتحقيقها للإنسان بقدر ما تحققه له الروحانيات، كما يقول الدكتور أحمد تيمور الطبيب والشاعر (❖❖).

- الترخيص بمزاولة عمل التصحيح اللغوي للمؤهلين فما نراه الآن في مؤسسات الطباعة والتصوير والترجمة لا يرقى إلى المستوى الجيد المطلوب.

فيجب - والحالة هذه - معاملة التصحيح على أنه مهنة يزاولها المصحح اللغوي كمهنة المترجم والمحامي والطبيب...إلخ.

- إن ما تقدم يمثل أمثلة قليلة لا يمكن معها حصر ما تطلق عليه الدكتورة فوزية أبو خالد «بتهتك اللغة في كل وسائل الاتصال الإعلامي» تبعًا لامتهانها وتهميشها «في لغة التخاطب اليومي ولا نقصد - والكلام للباحثة - بذلك لغة التخاطب الشفهي الذي أصبح فيه تعدد اللهجات من مسلمات المجتمع العربي ولكن نقصد الامتهان الذي يلحق باللغة العربية في لغة التخاطب اليومي المكتوب والمتداول في مجال السياسة والاقتصاد والفن السينمائي والتلفزيوني وفي مجال العمل الأكاديمي(❖❖❖) والتربوي وشبكات ومواقع الاتصال الإلكتروني» (٣).

ويمكن وصف هذه الحالة «باغتراب اللغة العربية» التي لا تكاد تكون «لغة العصر ولا لغة الشباب ولا لغة الاتصال الإلكتروني ولا لغة السفر والسياحة ولا لغة الاستثمار ولا لغة الوظائف وبالذات في قطاع الاستثمار الأجنبي والمحلي الخاص...» (٤).

اكتساح

وتؤكد الباحثة أن إجادة اللغات الأجنبية أمر



تشرب اللغة من الصغر ضرورة

مطلوب شريطة توظيفه بعقلانية. من شأنها إيقاف الأساليب العشوائية في التواصل الدولي الذي تكاد فيه اللغة الإنجليزية تزيح ما عداها من لغات هذا التواصل إزاحة كاسحة تدعمها «حالة التبعية والاستسلام» (٥)، تلك الحالة التي ضربنا لها أمثلة في المثال الثالث في مطلع هذا المقال.

وتقترح الباحثة لإخراج اللغة العربية من غربتها ومواجهة التحدي اللغوي عدة اقتراحات من شأنها تحديد التحديات والبحث في شأنها بحيث لا يترك الأمر للغويين وحدهم، بل يشارك فيه علماء التربية والاجتماع والسياسة والمعلومات والقانون والمبدعون شعرًا ونثرًا، وذلك بناء على اللقاء المعرفي الذي حضرته الدكتورة فوزية دون أن تحدد زمانه ومكانه، وقد لخصت بعض توصياته، ويمكن تلخيصها فيما يأتي:

- اعتبار التعليم باللغة العربية في جميع مراحل التعليم حقًا من حقوق المواطنين على دولهم.
- اعتبار تعريب الكتاب المدرسي والجامعي في جميع التخصصات ذات المصادر الأجنبية واجبًا على الدولة.
- ضمان الحرية والدعم المادي والمعنوي للتأليف باللغة العربية.
- توفير المناخ البحثي لجميع التخصصات العلمية، مثل «البحوث السسيو لغوية» لتشخيص الواقع اللغوي الاجتماعي ميدانيًا.
- وضع التشريعات وسن المحددات القانونية الكفيلة



بصون كرامة اللغة وعدم تهميشها في وسائل الإعلام الرسمية وخطابه السياسي والديني الذي يوجد حالة نفور من الشباب تجاه لغتهم.

- إشراك جميع قطاعات المجتمع المدني في حماية اللغة العربية وتطويرها معًا.. «ويمكن في ذلك تأسيس جمعيات وطنية لإيجاد لحمة من الصداقة بين الشباب وبين لغتهم».

- التعاون والتنسيق مع الجهات العربية والإسلامية الرسمية والمدنية المعنية باللغة العربية وعلومها.

- إيجاد معاهد ميسرة وبرسوم رمزية لاجتذاب الجاليات الأجنبية نساءً ورجالاً لتعلم اللغة العربية.

- تعريب المصطلحات العلمية في العلوم الإنسانية والعلمية، كالطب والقانون والمجالات العسكرية.

- عدم التساهل في تغيير لوائح التوظيف لصالح اللغة الأجنبية... إلخ (٦).

- ويمكن - بالإضافة إلى ما تقدم من اقتراحات الباحثة - التأكيد على الشركات المنتجة والمؤسسات الإعلانية - وهذا الأمر يختص بالإعلان - عقد «ندوات علمية يحاضر فيها كثير من أساتذة علم الحاجة وعلم العلامات Semiotique وتحليل النصوص وتحليل الصورة (٧).

الثنائية اللغوية

وأخيرًا، ثمة قضية تشمل كل محاور الحديث عن علاقة اللغة بالإعلام - إلى حد كبير - وتتركز بصفة خاصة في القنوات الإعلامية المرئية والمسموعة، ألا وهي قضية:

«الثنائية اللغوية» التي تعني انفصام اللهجات المحلية عن اللغة الفصحى بشكل كبير، وهذا الأمر يزيد من الفجوة بينهما ويزيد من عوامل الفرقة بين شعوب لغة الضاد، وتنحصر الفصحى في الخطاب الديني والسياسي والتعليمي فقط.

وقد تناول الدكتور مرزوق بن تنباك هذه القضية بالتفصيل واعتبر الثنائية اللغوية باعثًا على «التحلل الذي يفتك بجسد اللغة وينهكه حتى يقضي عليه مع مرور الزمن، ويصيب إناء الثقافة بالصدأ والتكلس، الأمر الذي يؤدي إلى تفتيت الثقافة وتبديدها» (٨).

والعامية عند الدكتور مرزوق هي مثل لهذه الثنائية اللغوية، «وقد نبتت هذه العامية من ضلع الفصحى... وكلما قويت أوهنت وأضعفت أمها وحاضنتها (الفصحى)...» (٩).

ويعدّ مثال اليابان المعتزة بلغتها ومثال تركيا النابذة للغتها مثالين نقيضين ساقهما الباحث لتأكيد أهمية اللغة بالنسبة إلى حضارة الأمة وثقافتها وتقدمها


التعلم باللغة العربية حق من حقوق المواطنين على دولهم

وتطورها في جميع المجالات (١٠). أما حالة الانفصام أو الازدواج اللغوي فهي الخدعة للمثقف بالعامية الذي يظن أنه يستطيع أن يستغني عن الفصحى في شتى المجالات، وذلك يعود إلى جهله بسموّ اللغة الفصحى نتيجة تشبّثه بضرورات العامية التي تؤديها «في كل ثقافة وفي كل لغة» (١١).

ولا أذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور ابن تنباك في تصنيف اللغة إلى محلية بسيطة ورسمية (١٢). فلا أعتقد أن هناك لغة محلية مصرية أو سورية أو أردنية... إلخ، وإنما هنا لهجات مصرية وسعودية وسورية وأردنية...إلخ، أما اللغة فهي اللغة العربية (❖❖❖❖) المتميزة باسم رائع هو «لغة الناطقين بالضاد» وكل عربي ينطق هذا الحرف دون صعوبة إلا الغربيون المستشرقون الدارسون للغة العربية نفسها والمتخصصون في آدابها عدا الشاذ منهم. والشاذ لا حكم له. مثل الأستاذ شارل بيللا رئيس قسم اللغة العربية بجامعة السوربون، وهم يكتبون هذا الحرف باللاتينية بحرفين هكذا: DH مثله في ذلك مثل الحروف المشابهة، ولكنهم يضعون نقطة تحت حرف D لتميزه من الحروف الأبجدية العربية كلها كما يبدو. ولا أعرف أن أحدًا درس غير هذا الحرف من حروف العربية في كتاب مستقل، فتميزه وتسمية اللغة العربية به، دفعا أحد العلماء إلى تأليف رسالة خاصة به، وهو شمس الدين محمد بن أحمد بن داود المقري والمعروف بابن النجار، وحققه وقدم له الدكتور محمد بن يعقوب التركستاني وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، تحت عنوان «غاية المراد في معرفة إخراج الضاد» (١٣).

أما عند الحديث عن اللهجات العامية، فإن حرف الضاد يختلف إخراجه - لهجيًا - من بلد عربي إلى آخر ومن قبيلة إلى أخرى، ففي مصر ينطق بالعامية دالاً لدى البعض من المصريين، وفي وسط المملكة العربية السعودية (نجد) ينطق ظاءً في اللهجة النجدية.

ولكن في الخطاب التعليمي والديني والإعلامي ينطقه الجميع ضادًا لأنهم يعودون إلى الفصحى حينذاك، ولا يفعلون ذلك في حرف كالجيم - مثلاً - أو القاف لأن اعتزازهم هو في نطق الضاد نطقًا صحيحًا.

الضبيب يطالب بتسمية اتحاد الكرة العالمي (باتحاد البولة العالمي)، والكرة الأرضية (بالبولة الأرضية) ولاسيما أنها تلوثت بجميع الملوثات الفكرية والسياسية والبيئية والاقتصادية


التلفاز وخطورة الخلط بين العامي والفصيح

أما صلة ذلك كله بالإعلام، فيشير إليه الباحث بالتوجه العارم إلى العامية وتأييد وسائل الإعلام العربية له حيث «تنشره بين الناس متجاوزة مركزية الثقافة الفصحى وشموليتها إلى محلية العامية وضرورتها...» (١٤). أما «الإقليمية الحادة» التي يشير إليها الدكتور مرزوق فقد رسخ مبادئها أمين الخولي

يمكن للدراما التلفزيونية والكاريكاتير الصحفي أداء دور مميز في السخرية من جهلة اللغة، كجزء من التوعية اللغوية عبر وسائل الإعلام. كأن تكون الطرفة في الإعراب ـ مثلاً ـ هي موضع السخرية

في كتابه «فن القول» الصادر عام ١٩٤٧م (١٥)، فليس غريبًا أن ينادي بها الآن لويس عوض الذي اقتبس منه الباحث رأيه المنشور في جريدة السياسة الكويتية (العدد ١٧٥٧) في ١٤٠٧/١/٤هـ - ١٩٨٧/٥/٣١م (١٦) ، ويبلغ السيل الزبى حين يتحدث الدكتور مرزوق عن اغتيال الفصحى في دول الخليج على يد ٢٠ مجلة للأدب الشعبي الناطق باللهجة العامية والذي يهزأ «بحافظ الفصحى ومجتمع الخالدين من ورائه» (١٧)، إذ تقف الوفرة المادية (العامل الاقتصادي) خلف هذه الظاهرة الخطيرة، التي بلغت حدّ التحيز الكامل إلى العامية الثقافية في مهرجان الجنادرية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م كما يذهب إليه الدكتور مرزوق (١٨)، مستشهدًا باستنكار الدكتور منصور الحازمي - المعروف بتسامحه مع العامية - واعتراضه على ما حدث من فصم لعرى الفصحى في أرضها، وذلك في مقاله



المسرح وتأثير كبير في اللغة

الطويل بجـريدة المدينة المنورة، (ملحق الأربعـاء ١٤١٨/١٢/٢٥هـ) (١٩).

ويوصي الدكتور ابن تنباك بأن تحافظ الجنادرية «على الشعر النبطي والعامي في نمطيته المعروفة، وفي حلقات السمر والمجالس العامة ليكون حديث مشافهة ومجالسة»(٢٠)، وهي - في رأيه - «الطبيعة المقبولة للمحلية اللغوية واللهجة المتعددة والمتغيرة»(٢١) ويؤكد أن تكون الجنادرية محافظة على الثقافة العربية الفصحى بشمولها واتساع التعامل بها... «لتكون الفصحى لغة العرب ولغة التراث العربي الخالد، ولغة الإرث المشترك للأمة العربية في مشارق الأرض ومغاربها، بل ولغة الخطاب العربي المقبول...» (٢٢).

ويمكن القــول بناءً على ذلك إن لغـــة الخطاب العربي المقبول عبر وسائل الإعلام لا يمكن أن تكون العامية المحلية مهما كانت مسوِّغات أخصائيي علماء النفس والاجتماع الذين مع تقديرنا لحرصهم على علاج غربة المثقف العربي - الشباب بصفة خاصة - إلا أنهم بشكل أو بآخر (بقصد أو غير قصد) يسيرون مؤيدين للانبهار بوسائل التشويق والجذب الإعلامية على حساب اللغة الفصحى.

المراجع والهوامش

١. علي القاسمي، «التداخل اللغوي والتحول اللغوي»، مجلة الفيصل، العدد ٣٢٤، جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ - أغسطس ٢٠٠٣م، ص ٥٢ - ٥٣.

٢. محمد صالح الغامدي، «الصورة واللغة في الإعلان»، جريدة عكاظ، العدد ١٣٣٠/١، ١٤٢٣/٢/١هـ - ٢٠٠٣/٢/٢م، ص٢٣.

٣ - ٦ - د. فوزية عبدالله أبو خالد، «من يغل رغوة اللغة.. من يشارك في اغترابها.. ومن للتحدي اللغوي؟»، جريدة الجزيرة، زاوية (مقالات)، العدد ١١٤٧٤، ١٤٢٥/١/٧هـ - ٢٠٠٤/٢/٢٧م، ص١٣.

٧. محمد صالح الغامدي، السابق، الصفحة نفسها.

٨ د. مرزوق بن تنباك، الثقافة - اللغة - العولمة، طب١، مطابع الصفحات الذهبية المحدودة،؟، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٢٩.

٩. السابق، ص٢٩.

١٠. السابق، ص٣٢.

١١. السابق، ص٣٨.

١٢. السابق، ص٤٠.

١٣. شمس الدين محمد بن أحمد بن داود المقري، المعروف بابن النجار، تحقيق د. محمد بن يعقوب التركستاني، غاية المراد في معرفة إخراج الضاد، طب١، مطابع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٤. د. مرزوق بن تنباك، السابق، ص٤٢.

١٥. أمين الخولي، فن القول، دار الفكر العربي، طب، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، القاهرة، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، ص ٢٧ - ٢٨.

١٦. د. مرزوق بن تنباك، السابق، ص ٤٣.

١٧. السابق، ص٤٨.

١٨. السابق، ص٥٤.

١٩. السابق، ص ٥٤ - ٥٦.

٢٠. السابق، ص ٦١.

٢١. السابق، ص ٦٢.

٢٢. السابق، ص٦٢.

❖ ذكر الدكتور الضبيب أن المطعم في إحدى الدول العربية، وأضيف هنا أن باعة الآيسكريم يسمون الكرة - أيضًا - بولة أو Ball دون تثنيتها وجمعها فيقولون: واحد بول، اثنان بول، ثلاث بول.. وهكذا، ولم أشاهد قوائم مكتوبة بذلك ولكنني سألت أحدهم فأجابني بذلك بمدينة جدة.

❖❖ جاء ذلك في برنامج حواري في الفضائية المصرية الأولى في مطلع شهر يونيو/حزيران ٢٠٠٤م.

❖❖❖ كمثال على ذلك كتاب «تاريخ الإسلام» للدكتور حسن إبراهيم فقد وقعت فيه أخطاء مطبعية في آيات القرآن الكريم، في طبعته الخامسة عشرة الصادرة سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، انظر ج١، ص١٣٧، حيث سقط لفظ الجلالة (الله) من قوله تعالى: ﴿ومن أحسنُ دينًا ممن أسلمَ وجْهَهُ للَّهِ وهو محسن﴾. النساء:١٢٥.

❖❖❖❖ غني عن القول إن كلمة اللغة لم ترد في القرآن الكريم إلا بمعنى اللغو، قال سبحانه: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾. فصلت:٢٧. وتأتي كلمة «اللسان» في القرآن البديل الصحيح الفصيح لهذه الكلمة، وقد وردت في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وهذا لسان عربي مبين﴾. النحل:١٠٣. وقوله سبحانه: ﴿لتكون من المنذرين بلسانٍ عربيٍ مبين﴾. الشعراء:١٩٤، ١٩٥.

آثار فلسطين والعراق تـ



...تحت الاحتلال

فرج الله أحمد يوسف
الرياض ـ السعودية

دونت التوراة في الفترة الواقعة بين القرنين الخامس والثاني قبل الميلاد، مع أنها تروي أحداثًا دارت في القرن العاشر قبل الميلاد. إن قصة بني إسرائيل كما وردت في التوراة تهدف أساسًا إلى اختراع تاريخ لليهود.

يتكون الكتاب المقدس لدى المسيحيين من العهدين القديم والجديد، ويتألف العهد القديم (التوراة) من عدة أسفار هي: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، وتنسب هذه الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام. إلى جانب واحد وعشرين سفرًا تعرف بأسفار الأنبياء منها: يشوع، وإرميا، وحزقيال، وإشعياء، وثلاثة عشر سفرًا تعرف بالأسفار التاريخية مثل: أخبار الأيام الأول والثاني، والمزامير، وأيوب، ويتألف العهد الجديد من أربعة أناجيل هي: مرقس، ومتى، ولوقا، ويوحنا.

في العقد الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي مزج أتباع المذهب البروتستانتي بين نبوءة دانيال في العهد القديم، ورؤيا يوحنا في العهد الجديد، وخلصوا إلى أن فلسطين بوصفها الأرض المقدسة ستشهد الهزيمة الحاسمة للقوى المناهضة للمسيح في هرمجدون (جبل مجدو بفلسطين)، وأن المسيح سيعود إلى هناك ليحكم أتباعه ألف سنة، ولكي يتم تحقيق هذه النبوءة لابد من عودة اليهود إلى فلسطين.

وفي عام ١٧٩٨م عاد الغرب المسيحي إلى متابعة الحملات الصليبية، فاحتل نابليون بونابرت مصر، وتابع في السنة التالية إلى فلسطين، لكنه توقف عند أسوار عكا التي صمدت بفضل مناعة حصونها، وللمساعدة التي تلقتها من قبل القوات البريطانية التي كانت حريصة على أن يكون سقوط فلسطين بيدها لا بيد الفرنسيين: لأن الغرب جاء ليبقى فبعد انسحاب نابليون وقواته، نزلت في شاطئ عكا قوة بريطانية سارت حتى القدس، وهي تحمل الأعلام والرايات المسيحية، وكانت بذلك أول قوة غربية تدخل القدس منذ سقوط مملكة عكا الصليبية عام ١٢٩١م.

بعثات غربية

ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي أصبح مشهد الأعلام والرايات المسيحية في القدس مألوفًا، إذ انهالت على فلسطين موجات من البعثات الغربية للبحث عن الآثار، ولم يبق متر واحد في طول البلاد وعرضها إلا وجرت فيه حفريات أثرية كانت تهدف أساسًا إلى اختراع تاريخ لليهود تمهيدًا للاستيلاء عليها بحجة أنها أرض الميعاد، اعتمادًا على مرويات العهد القديم، وأدت الجمعيات البروتستانتية دورًا مهمًا في المشروع الصليبي الصهيوني لاغتصاب فلسطين، وكان في مقدمتها جمعية لندن لنشر المسيحية بين اليهود التي أسستها الحكومة البريطانية عام ١٨٠٩م.

شهد القرنان السابع عشر، والثامن عشر الميلاديان بداية اهتمام الأوربيين بدراسة تاريخ فلسطين وآثارها اعتمادًا على المحاولات التي تمت في القرون السابقة،

مثل دراسة الراهب السويسري فيليكس شميد الذي زار فلسطين بين عامي ١٤٨٠ و١٤٨٣م، وما كتبه الطبيب الألماني ليونارد راولف عن التاريخ الطبيعي لفلسطين عام ١٥٧٥م، ورسومات البلجيكي جان زولارت لبعض الآثار الفلسطينية التي نشرت عام ١٥٨٦م، وأخيرًا ما قدمه الألماني جوهان فان كوتفيك من وصف لمختارات من الآثار الفلسطينية نشرت في أواخر القرن السادس عشر الميلادي.

وفي عام ١٨٠٤م تم تأسيس رابطة فلسطين على أيدي مجموعة من الأثرياء الإنجليز بغرض استكشاف فلسطين، وقامت الرابطة بنشر ترجمة إنجليزية لأحد التقارير التي كتبها الرحالة السويسري أوليرخ ستيزن بعنوان: «تقرير موجز عن البلاد المشاطئة لبحيرة طبرية، الأردن والبحر الميت»، وكان ستيزن قد زار فلسطين عام ١٨٠٢م مرسلاً من قبل دوق ساكسه - غوتا بألمانيا، والقيصر الروسي ألكسندر الأول من أجل جمع بعض التحف والعاديات الشرقية.

وتضافرت الجهود الصليبية على ضفتي الأطلسي، فقد زار فلسطين في عام ١٨٣٧م إدوار روبنسون أستاذ كرسي الآداب المقدسة في معهد الاتحاد اللاهوتي بأندوفر في ولاية ماساشوستس برفقة إيلي سميث عضو البعثة البروتستانتية في بيروت، وتنقل الاثنان في كل أرجاء فلسطين، وفي عام ١٨٤١م عاد كل منهما إلى مقر عمله، وأصدرا بحثًا عن رحلتهما بعنوان: «أبحاث توراتية في فلسطين وجبل سيناء وبلاد العرب الصخرية»، وربطا بين الآثار الفلسطينية ومرويات العهدين القديم والجديد مؤسسين بذلك ما اصطلح على تسميته بعلم الآثار التوراتي. فكتبا عن بئر سبع: (هنا إذن المكان الذي عاش فيه الآباء الأولون: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وهنا نصب صموئيل ابنيه قاضيين)، وادعيا أنهما تمكنا من تحقيق الربط بين مرويات





المقدسات الفلسطينية لم تنج من عبث الصهاينة

العهدين القديم والجديد وأرض فلسطين، وعبرا عن ذلك بقولهما: «قادتنا الجولة عبر مشاهد مرتبطة بالعديد من الأسماء والأحداث والأفعال مثل إبراهيم، ويعقوب، وسليمان، وشاول، ويوناثان، وداود، وصموئيل، فقد تمكنا من تحديد الأماكن التي عاشا فيها، واستطعنا أن نتعقب ما يمكن اعتباره خطواتهم ذاتها».

أدى ترسيخ ما يعرف بعلم الآثار التوراتي إلى خلاف كبير بين الكاثوليك والبروتستانت، فقد رأت فرنسا أن ذلك سيفضي إلى سيطرة بريطانيا والولايات المتحدة على الأماكن المقدسة مما سيحرم أتباع المذهب الكاثوليكي من أي دور في السيطرة على فلسطين، فأقدمت على تعيين الآثاري بول إميل بوتا قنصلاً لها في القدس ليتولى الدفاع عن حقوق فرنسا والكاثوليك في فلسطين.

واصل الفرنسيون خدمة الأهداف الصهيونية، إذ قام أحد رهبان مؤسسة الدومينيكان برحلة إلى القدس عام ١٨٨٢م تمّ على إثرها اختيار موقع لبناء كنيسة ودير، ثم اقترح البابا ليو الثالث عشر إنشاء معهد للكتاب المقدس، ونفذ الاقتراح القس الفرنسي لاجرانج، وتم افتتاح المعهد عام ١٨٩٢م، وألحق به مقر لإقامة خمسة عشر باحثًا؛ وبهذا تمّ تأسيس المدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية بالقدس.

ثم أوفدت جمعية القدس للإغاثة المائية فرقة من سلاح المهندسين في الجيش البريطاني بقيادة النقيب تشارلز ولسن لعمل خريطة للقدس من أجل مد شبكة لمياه الشرب في المدينة، وإضافة إلى عمله في إعداد الخريطة قام ولسن بتمويل من اليهودي البريطاني موزس مونتفيوري باستكشاف الآثار الواقعة في الحي

اليهودي بالقدس فادّعى أنه كشف قنطرة تحت حائط البراق تعود إلى الهيكل الذي شيد في عهد هيرود.

جمعية الاستكشافات الأثرية

ألهب هذا الادعاء حماسة البريطانيين فأعلن جورج جروف وهو أحد قادة البروتستانت الدعوة إلى اجتماع في كنيسة وستمنستر تمّ خلاله وضع الأسس لتأسيس جمعية للاستكشافات الأثرية في فلسطين، وفي الثاني من مايو / أيار عام ١٨٦٥م تم إعلان قيام صندوق استكشاف فلسطين Palestine Expioration Found برئاسة وليم طمسون أحد أساقفة كانتربري، وأمانة سر جورج جروف، وحظي الصندوق بدعم الكثير من رجال الأعمال البريطانيين، وبعض رجال العلم، أمثال: ولتر سكوت رئيس جمعية العمارة الملكية، وروردي مورتشيسون رئيس الجمعية الجغرافية الملكية. وافتتحت أعمال الصندوق بكلمة من وليم طومسون جاء فيها:

«إن هذا البلد فلسطين عائد لي ولكم، إنه لنا أساسًا. فقد منحت فلسطين إلى أبي إسرائيل بالعبارات التالية: «هيا امش في الأرض طولاً وعرضًا، لأنني سأعطيك إياها»، ونحن عازمون على المشي عبر فلسطين بالطول والعرض؛ لأن تلك الأرض لنا. إنها الأرض التي تأتي أنباء خلاصنا منها. إنها الأرض التي نتوجه إليها بوصفها منبعًا لجميع آمالنا، إنها الأرض التي نتطلع إليها بوطنية صادقة تضاهي حماسنا الوطني لدى النظر إلى إنجلترا القديمة العزيزة هذه».

تم تأسيس الفرع الأمريكي لصندوق استكشاف القدس في شيكاغو عام ١٨٦٩م، وفي السنة التالية خلص الاجتماع السنوي للصندوق في لندن إلى أنه ليس من الممكن أن تبقى الأرض المقدسة (فلسطين) بأيدي أصحابها الحاليين (العرب).



ظلت بعثات الصليبيين تجول في أرض فلسطين.



آثار فلسطينية تحت رحمة الصهاينة

ويحمل مبعوثوها في جيوبهم فرمانات صادرة من الباب العالي لسلاطين بني عثمان يخرجونها في وجه كل معترض من أهل فلسطين، ومن أدلة حماية السلطنة العثمانية لهؤلاء الصليبيين أنه عندما تعرضت إحدى البعثات الإنجليزية للهجوم من قبل أحد شيوخ صفد سنة ١٨٧٥م، قامت السلطات العثمانية بمحاكمة الشيخ، وحكمت عليه بالسجن مدة تسعة أشهر، كما عاقبت كل من شاركه من شيوخ صفد وشبابها بالسجن لمدد تراوح بين سنة وعشر سنوات، وألزمت جميع أهالي صفد بدفع غرامة قدرها مئتان وسبعون جنيهًا لصندوق استكشاف فلسطين تعويضًا عن خسائره، وتوضح هذه الحادثة مدى تواطؤ العثمانيين مع الصليبيين، كما تبين أن الفلسطينيين لم يكونوا غافلين عما يحاك ضدهم من مؤامرات.

واصل صندوق استكشاف فلسطين إنجازاته في ظل حماية الفرمانات العثمانية فأصدر في عام ١٨٧٨م الخريطة التفصيلية الشاملة لفلسطين، كم أصدر عددًا من التقارير والمذكرات منها:

- كتاب الملازم كتشنر للصور التوراتية.

- Lt. Kitcheners Guinea Book of Bible Photographs.

ـ عمل ميداني في فلسطين سجل اكتشاف ومغامرة. من تأليف كلود كندر.

- Tent work in Palestine: A Record of Discovery and Adenture.

في أواخر القرن التاسع عشر بدأت الخطوات الأولى لعلم الآثار الحديث على يد الألماني هانريش شليمن الذي قام بالكشف عن طروادة بناءً على ما جاء في الإلياذة والأوديسة للشاعر هوميروس، فالتقط أعضاء صندوق استكشاف فلسطين الفكرة فعندما عقدوا اجتماعهم السنوي الحادي والعشرين في لندن عام ١٨٨٦م قرروا السير على خطا شليمن، ومحاولة إثبات ما جاء في العهد القديم عن فلسطين، لكن محاولاتهم الكثيرة باءت بالإخفاق وعدم النجاح.

نصب وتواطؤ

ولم تقف الجهود الصليبية لإثبات مرويات العهد القديم عند حدود العلم بل بلغت حد الهوس والهلوسة، فقد ادّعى محتال فنلندي أنه اكتشف من خلال نص قديم لنبوءة حزقيال في العهد القديم مخبأ الهيكل الذي يضم تابوت العهد الذي أخرجه بنو إسرائيل من مصر، وحاول هذا المحتال إثبات نظريته فبحث عمن يمول رحلته إلى فلسطين، لكن أحدًا لم يلتفت إليه.

إلا أن البريطاني مونتاجو باركر اقتنع بالفكرة، وعمل على تنفيذها، فسافر إلى إستانبول، وحصل على فرمان عثماني يسمح له بالتنقيب في القدس، وبدأ باركر عمله في القدس منذ عام ١٩٠٩م، حتى عام ١٩١١م، ولم يكن



باركر قد وصل إلى مخبأ الهيكل فقام برشوة عزمي باشا الحاكم العثماني للقدس بمبلغ كبير لتمكينه هو وأربعة من معاونيه بالحفر في ليلة الثامن عشر من إبريل/نيسان ١٩١١م داخل قبة الصخرة فلفتوا انتباه أحد حراس الحرم الشريف الذي هب يستصرخ أهل القدس، ففزع الناس من نومهم وتجمعوا في الشوارع فأمر الحاكم الخائن عزمي باشا بإغلاق أبواب الحرم ليحمي باركر ومعاونيه لكن الناس تمكنوا من الدخول لحماية الحرم، ودبر عزمي باشا لباركر وأعوانه منفذًا فهربوا تحت جنح الليل إلى يافا ومنها عادوا إلى بلادهم وهم يجرون أذيال الخزي والخيبة والعار.

ولا يعرف أحد الآن على وجه التحديد أين يوجد تابوت العهد. وقد جرت العادة أن يحفظ التابوت في أقدس مكان داخل الهيكل، وفي مكان يطلق عليه اليهود اسم «قدس الأقداس»، ولا يسمح لأحد أن يطلع على التابوت، سوى كبير الكهنة. كما أن كبير الكهنة نفسه لا يطلع عليه إلا في أوقات ومناسبات معينة.

يعتقد كثير من العلماء في عصرنا الحديث أن هذا التابوت قد تحطم وتم تدميره بالفعل، ولعل أحسن ما قيل بهذا الصدد، هو ما جاء على لسان القس البروتستانتي الإنجليزي أ. ر. بكلاند Rev. A. R. Puck-land في كتابه: «المعجم الشامل للكتاب المقدس» Univer-sal Bible Dictionary, London, 1963 إذ قال ما نصه:

«من المرجح جدًا عندما دمر البابليون مدينة القدس، ونهبوا كل ما في الهيكل أن يكون نبوخذ نصر قد استحوذ على التابوت وهشمه، إذ إنه لا يوجد أي أثر أو ذكر لهذا التابوت بعد هذا الحادث. فمثلاً لم يرد ذكر للتابوت من ضمن الأواني المقدسة التي أعيدت من بابل إلى بيت المقدس (انظر: سفر عزرا، الإصحاح الأول ٧-١١). كما أن المؤرخ الروماني تاسيتوس Tacitus يشير إلى أن قدس الأقداس كان خاليًا تمامًا عندما قام القائد الروماني بومبي بدخول الهيكل، ثم إن خلو الهيكل الثاني من التابوت هو أحد الأسباب التي جعلته أقل منزلة في نظر اليهود من الهيكل الأول».

الحملة البريطانية

انتهزت بريطانيا فرصة قيام الحرب العالمية الأولى واشتراك الدولة العثمانية ضدها، فأرسلت حملة من مصر للاستيلاء على فلسطين في ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩١٦م، وسارت في الطريق الذي سلكته من قبل حملة نابليون بونابرت عام ١٧٩٩م، ووصلت الحملة إلى القدس في الحادي عشر من سبتمبر عام ١٩١٧م بقيادة الجنرال البريطاني إدموند اللنبي، وهكذا سقطت القدس مجددًا في أيدي الصليبيين، وعبر اللنبي عن ذلك بقوله: «الآن انتهت الحروب الصليبية». لكنها لم تنته إلى الآن فقد وصف الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن حربه ضد المسلمين في مطلع الألفية الثالثة بعد الميلاد بأنها «حرب صليبية». وبدأت بالحملة الأمريكية على أفغانستان في أكتوبر / تشرين الأول عام ٢٠٠١م، والحملة الأنجلو أمريكية على العراق في مارس/ آذار عام ٢٠٠٣م.

ظلت القدس في أيدي الصليبيين حتى عام ١٩٤٧م فسلموا نصفها للصهاينة، وساعدوهم على الاستيلاء على نصفها الآخر عام ١٩٦٧م، وكان من أهم غنائم البريطانيين في القدس بعد احتلالها عام ١٩١٧م نحو مئة وعشرين صندوقًا مليئًا بالقطع الأثرية التي جمعها العثمانيون من التنقيبات والحفريات التي أجريت في القدس، وقام البريطانيون بتأسيس جمعية استكشاف فلسطين اليهودية:

The Jewish Palestine Exploration Society، وأطلقوا أيدي الصهاينة في أرض فلسطين، وجاء في المادة ٢١ من صك الانتداب البريطاني وجوب صدور قانون للآثار خلال سنة واحدة من تاريخ بدء الانتداب، كما أشار

صك الانتداب إلى الروابط التاريخية المزعومة بين اليهود وأرض فلسطين، وأسس البريطانيون مصلحة الآثار الفلسطينية عام ١٩٢٠م، وكان أول رئيس لها جون جارستانج الأستاذ في جامعة ليفربول.

وطوال سنوات الاحتلال البريطاني حاول الصليبيون والصهاينة اختراع تاريخ لليهود على أرض فلسطين، لكنهم لم ينجحوا أو أخفقوا في العثور على أي شواهد حضارية تدل على بناء الهيكل المزعوم في مكان المسجد الأقصى المبارك مع أن البحث الأثري قد بدأ بالقدس منذ القرن التاسع عشر الميلادي.

ومن المؤرخين الصليبيين الذين ساندوا الادعاءات الصهيونية، المؤرخ والآثاري الأمريكي وليام أولبرايت (١٨٨٥ ـ ١٩٧١م) الذي شغل منصب مدير المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية بالقدس، وأستاذ الدراسات السامية في جامعة جون هوبكنز، ومع أنه يعترف بأن المسح الأثري قد تغير تمامًا في فلسطين بعد قيام سلطة الانتداب البريطاني، وصار هدفه إثبات الدعاوى الصهيونية، إلا أنه نشر تصورًا لتاريخ إسرائيل القديم عام ١٩٤٠م بالتعاون مع منظمة الكتاب المقدس، وهي منظمة تقصر جهودها على دراسة الأبحاث والدراسات المتعلقة بالعهد القديم ونشرها إمعانًا في ترسيخ هذه المفاهيم والتصورات في المجتمع الأمريكي. ويزعم أولبرايت أن وجود إسرائيل المهيمن على فلسطين حدث منذ نحو عام ١٢٠٠ ق.م، ويحاول إثبات مرويات العهد القديم: إذ تتركز دراساته في تعزيز مكانة اليهود، ومحاولة إظهار فضلهم المزعوم على الحضارات الشرقية القديمة في مصر ووادي الرافدين، وأسهمت كتابات أولبرايت التي تفيض بالعنصرية البغيضة في الحض على استئصال العرب من أرض فلسطين، إذ جاء في كتابه: «التوحيد وتطوره من العصر الحجري إلى المسيحية» تعليقًا على ما جاء في سفر يشوع: «سيطرد الرب الكنعانيين من أمامكم»، وما جاء في سفر الخروج: «سأطرد الكنعانيين من أمامك طردًا» ما يلي: «وقد يحق لمعظم الأمم المعاصرة ولكن لا يحق لنا نحن الأمريكيين ـ رغم إنسانيتنا الصادقة ـ أن نحكم على الإسرائيليين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ما دمنا قمنا عن عمد أو غير عمد بإبادة آلاف مؤلفة من الهنود في كل زاوية من مساحة أرضنا الشاسعة، ثم عزلنا من بقي منهم في معسكرات خاصة... إن المؤرخ النزيه يرى على الأغلب أن من الضروري زوال شعب متخلف ليخلي مكانه لشعب آخر ذي ملكات متفوقة، فقد يؤدي الاختلاط بين الأعراق البشرية إلى نتائج مدمرة ... من حسن طالع التوحيد ومستقبله أن الغزاة الإسرائيليين كانوا غلاظًا أجلافًا وأصحاب إرادة لا ترحم ليحلوا محل الكنعانيين الوثنيين عبدة الخصوبة ليمهدوا بذلك الطريق للرومان العظام لكي يسحقوا هؤلاء الكنعانيين فالرومان بقوانينهم الصارمة، ووثنيتهم المهذبة يذكروننا من عدة أوجه بإسرائيل الأولى».

ولم تثبت الحفريات التي أجريت في فلسطين قيام اليهود بتدمير أي مدن أو مواقع كنعانية، ولكن أولبرايت الذي عبر في كلماته السابقة عن مدى عنصريته حتى في التفريق بين وثنية الكنعانيين والرومان، حاول جاهدًا اختراع إسرائيل قديمة، وجعلها حلقة الوصل بين حضارات الشرق القديم وأوربا.

ولقد أوضح الكثير من الدراسات مدى التناقض بين مرويات العهد القديم والحقائق التاريخية والآثارية في فلسطين، وجاء في كتاب: «الانتداب على فلسطين» لفرانسيس نيوتن: «لم يوجد في فلسطين نقش واحد يمكن أن ينسب إلى المملكة العبرية. لقد فشلت اليهودية في أن تقدم أي أثر لداود أو سليمان، أو أي نقش أو حجر أو حتى نصب تذكاري، ولهذا فإن قضيتهم تفتقر إلى دليل



ذاكرة العراق بلا حماية

مادي مسجل على غرار الأمثلة التي توجد لحياة شعوب غرب آسيا».

ادعاءات ومحاولات

وبعد قيام كيانهم على أرض فلسطين أعلن الصهاينة القدس عاصمة لهم في الثالث والعشرين من يناير/ كانون الثاني عام١٩٥٠م، وبعد احتلال القسم الشرقي من المدينة عام ١٩٦٧م أعلنت دولة العصابات الصهيونية القدس بقسميها الشرقي والغربي عاصمة لها في الثلاثين من يوليو/ تموز عام١٩٨٠م، وشهدت القدس منذ احتلالها بالكامل عام ١٩٦٧م محاولات صهيونية لتهويدها بدأت بتصفية الآثار الإسلامية الموجودة بالمدينة، والبحث عن الهيكل المزعوم تحت أساسات المسجد الأقصى فتم إجراء حفريات تحت الجدارين الغربي والجنوبي للأقصى بلغت أطوالها أكثر من أربعمئة متر، وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها الرقم ١٥/٣٦ في الثامن والعشرين من أكتوبر/ تشرين عام ١٩٨١م الذي يطالب بوقف أعمال الحفر تحت المسجد الأقصى التي تهدد بانهياره إلا أن ذلك لم يوقف المحاولات الصهيونية التي لا تزال مستمرة إلى الآن.

وقد جرت عدة محاولات صهيونية لهدم المسجد

الأقصى، مثل الحريق الذي دبره الصهاينة في الخامس عشر من سبتمبر عام ١٩٦٩م، ومحاولة هدم المسجد الأقصى عن طريق تفجيره التي أجهضتها يقظة الحراس المسلمين في السابع والعشرين من يناير/ كانون الثاني عام١٩٨٤م، ولا تزال الجماعة الصهيونية المعروفة باسم أمناء جبل الهيكل التي يرأسها الإرهابي الصهيوني جرشون سلمون تسعى جاهدة إلى هدم المسجد الأقصى.

لقد أكدت الحفريات الأثرية التي أجريت في فلسطين عامة وفي القدس الشريف خاصة كذب الادعاءات الصليبية الصهيونية، ومن الجهات العلمية، والمؤرخين، والآثاريين الذين قاموا بدراسة تاريخ فلسطين أو أجروا بها تنقيبات أثرية، وأثبتت تنقيباتهم، ودراساتهم عدم تطابق مرويات العهد القديم مع تاريخ فلسطين، ولم يعثروا على أي أدلة أثرية تؤكد وجود يهودي بها، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- الآثارية البريطانية كاثلين كينون:

قامت بإجراء حفريات بالقدس في الفترة ما بين عامي ١٩٦١م و ١٩٦٧م، ومما قالته عن نتائج حفرياتها: «إن أورشليم داود هي مفتاحنا للولوج إلى التاريخ الإسرائيلي، ولكن تنقيباتنا لم تكشف إلا القليل مما يمكن أن نعزوه إلى تلك الفترة، ولقد جهدنا من أجل توضيح هذا القليل، وإني لعلى ثقة بأن البينات الآثارية على أي شيء آخر قد فقدت تمامًا... إذا كان على المرء أن يعتمد على البينات الأثرية في موقع أورشليم فمن المستحيل عليه أن يخرج بنتيجة عن نشاطات سليمان العمرانية»، وتعترف كينون بالتناقض بين التوراة والأدلة الأثرية بقولها: «لقد وصفت أسفار التوراة وبشكل احتفالي مجد المملكة الموحدة، وبقيت ذكراها مؤثرة على الأفكار والتطلعات اليهودية عبر العصور، ومع ذلك فإن الشواهد الأثرية عن هذه المملكة ضئيلة إلى حد كبير».

- الآثاري الصهيوني زئيف هيرتزوج:

رئيس قسم الآثار في جامعة تل أبيب أثبت من خلال أبحاثه وحفرياته التي استمرت ثلاثين عامًا أنه لا يوجد في طول فلسطين وعرضها دليل أثري واحد يثبت المزاعم اليهودية، وختم نتائج أبحاثه بعبارة: «مع الأسف لا وجود لنا في فلسطين».

وجاء في مقال نشره بصحيفة هآرتس في ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٩م عام ما يأتي: «إن الحفريات المكثفة في أرض إسرائيل خلال القرن العشرين قد أوصلتنا إلى نتائج محبطة، كل شيء مختلق، ونحن لم نعثر على شيء يتفق والرواية التوراتية. إن قصص الآباء في سفر التكوين هي مجرد أساطير... إن المملكة الموحدة لداود وسليمان التي توصف في التوراة بأنها دولة عظيمة، كانت في أفضل الأحوال مملكة قبلية صغيرة ...إنني أدري باعتباري واحدًا من أبناء الشعب اليهودي، وتلميذًا للمدرسة التوراتية، مدى الإحباط الناجم عن الهوة بين آمالنا في إثبات تاريخية التوراة وبين الحقائق التي تتكشف على أرض الواقع. إنني أحس بثقل هذا الاعتراف على عاتقي، ولكنني ملتزم بتدقيق ونقد وتعديل تفسيراتي ونتائجي السابقة».

- المؤرخ الأمريكي توماس تومسون:

يعد من أبرز العلماء الذين تصدوا للنظريات الصليبية الصهيونية بخصوص فلسطين، ودفع ثمن ذلك غاليًا، فبعد أن أنجز أطروحته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة توبنجن بألمانيا عام ١٩٧١م، رفضت الجامعة منحه الدرجة؛ لأنه ناقش في أطروحته تاريخ الآباء العبرانيين، وخلص إلى صعوبة إثبات تاريخية القصص الواردة في العهد القديم، كما توصل إلى أن فلسطين لم تقم بها أي سلطة سياسية ذات أهمية كبرى، ولم يقم بها تاريخ مشترك إلا في الفترات التي كانت تحكم فيها من قبل قوى خارجية مثل الآشوريين أو الفراعنة. واضطر تومسون إلى العودة إلى الولايات المتحدة عام ١٩٧٥م، ويتحدث عن تلك الفترة بقوله: «وفي عام ١٩٧٥م تركت ألمانيا وعدت إلى الولايات المتحدة، لكن



المواقع الأثرية العراقية لم تسلم من يد الدمار

الجدل حول كتابي عن الآباء منعني من الدخول إلى ميدان التدريس الجامعي، فامتهنت حرفة طلاء البيوت، وتفرغت لها كرجل هُيئَ لممارسة كل الأعمال». وظل تومسون يمارس عمله في طلاء البيوت، حتى عام ١٩٨٥م، فتم تعيينه أستاذاً في المدرسة التوراتية التابعة للرابطة التوراتية الكاثوليكية في القدس مدة سنة واحدة، عاد بعدها إلى الولايات المتحدة للتدريس في جامعة ماريت في ولاية ويسكونسن، وما إن نشرت مراجعة لكتابه: «التاريخ المبكر لبني إسرائيل» في إحدى الصحف البريطانية حتى طرد من الجامعة؛ لأنه تجرأ على القول بأنه لا مكان لداود وإمبراطوريته في تاريخ إسرائيل، ويعلق على الطرد بقوله: «كنت أطمع إلى أن أثبت في منصبي في جامعة ماريت، حيث كان المسؤولون غير سعيدين ببحثي. قد أثارت الدعاوى العقيدة اللاهوتية المحافظة، وبدا عملي يعارض الرسالة الكاثوليكية للجامعة».

ويذكر تومسون في كتابه: «الماضي الخرافي التوراة والتاريخ»: «في تشكيل العهد القديم لا نتعامل مع تراثات تم تقديمها واعتبارها قديمة. إذا كانت لفائف البحر الميت تعود إلى العهود الهلينية والإغريقية - الرومانية فإن أي شيء أقدم ليس معروفاً إلا كماض مسرود أو ماض منقول ... إن تاريخ إسرائيل في معظمه تاريخ أوروبي. سواء كان يهوديًا أم مسيحيًا قد كتبته أوروبا لغايات أوروبية خالصة»، ويؤكد التباعد بين مرويات التوراة وما أثبته علم الآثار بقوله: «إن إسرائيل التي يقدمها العهد القديم تقف في تباين حاد مع إسرائيل التي نعرفها من العمل الآثاري الميداني».

مما سبق نتبين أن إسرائيل لا تعود إلى أكثر من القرن الثالث قبل الميلاد، أما إسرائيل في التوراة فدولة كبيرة وأمة عظيمة كانت تهدد مصر نفسها، وفي أسفار التوراة: القضاة، وصموئيل الأول، وصموئيل الثاني، والملوك الأول، كانت إسرائيل تسيطر على الأراضي الواقعة بين النيل والفرات، ولا تزال هذه الخريطة التوراتية حلمًا يعمل الصهاينة على تحقيقه، وإن اكتفوا الآن برفعها فوق حائط الكنيست، وقد اقتربوا من تحقيق الحلم بعد اشتراكهم في الحملة الأنجلو أمريكية التي احتلت العراق في إبريل عام ٢٠٠٣م.

تزوير ومكابرة

ولا يزال الصهاينة يصرون على المكابرة وتزوير التاريخ، فقد أعلن الحزب القومي الديني الصهيوني في الثاني عشر من يناير/ كانون الثاني عام ٢٠٠٣م عن اكتشاف لوحة حجرية بالقرب من الحرم الشريف سجل عليها نقش بالخط الفينيقي ادّعى الصهاينة أنه يرجع إلى عام ٢٨٠٠ ق.م، وأطلقوا عليه اسم (نص يشوع)، وزعموا أنه يشير إلى ترميم معبد أورشليم، لكن لجنة من خبراء إدارة الآثار في الكيان الصهيوني أقرت بأن اللوحة مزيفة، لأن النقش يحتوي على أخطاء لغوية واضحة، وتوجد به أحرف لا تتطابق طريقة كتابتها مع الفترة التاريخية المفترضة مما يؤكد أنها مزيفة حديثًا وليس لها أي قيمة تاريخية.

وفي يونيو عام ٢٠٠٣م تكشفت أبعاد جريمة تزوير أقدم عليها الصهيوني عوديد جولان الذي قام بتزوير ما ادّعى أنه تابوت جيمس شقيق المسيح وابن يوسف،



المتحف العراقي ويبدو خاوياً على عروشه


نهب وخراب في المتحف العراقي

وأعلن الباحث الفرنسي أندريه لوميير أن النقش المكتوب بالخط الآرامي على التابوت يشير إلى جيمس شقيق المسيح، وبذلك أرجع التابوت إلى مطلع القرن الأول الميلادي.

اهتمت الدوائر العلمية الصليبية والصهيونية بالتابوت الذي وصف بأنه الاكتشاف الأبرز في تاريخ الأبحاث الأثرية، ونشر عنه بحث في مجلة الآثار التوراتية، وسُلطت عليه الأضواء الإعلامية فأشارت إليه مجلة التايم، وبثت عنه قناة ديسكفري فيلمًا تسجيليًا، وكان التابوت المزيف قد عرض بالمتحف الملكي بأونتاريو في كندا مدة شهر عام ٢٠٠٢م.

وبدأت الشكوك تحوم حول التابوت والنقش المدون عليه، وانقسمت آراء خبراء الكتابات القديمة، وعلماء الآثار حول أكان أصليًا أم مزيفًا، وأجريت عليه فحوص فيزيائية وكيماوية تركزت في الطبقة الدقيقة التي تغطى الحجر الذي صنع منه وأثبتت الفحوص أن الطبقة التي تغطي التابوت تم تحضيرها حديثًا بمعالجة كيماوية دقيقة، كما توصل خبراء الكتابات القديمة إلى أن الحروف الآرامية المدونة على التابوت قد استنسخت من نقوش آرامية نشرها أندريه لوميير من قبل، وفي الثامن عشر من يونيو / حزيران عام ٢٠٠٣م أعلنت اللجنة التي شكلتها إدارة الآثار في الكيان الصهيوني للبت في أمر التابوت أنه مزيف.

نهب المتحف العراقي

وبعد أن احتلت قوات التحالف بغداد في التاسع من إبريل/ نيسان عام ٢٠٠٣م، بدأت سرقة المتحف العراقي ببغداد يوم الجمعة الحادي عشر من إبريل/ نيسان عام ٢٠٠٣م، وشملت أعمال السلب والنهب نحو ٢٤ ألف قطعة من معروضات المتحف جمعت من ٦.٥٥٥ موقعًا أثريًا تعود إلى حضارات العراق المختلفة التي تبدأ من عصور ما قبل التاريخ مرورًا بالحضارات السومرية، والآشورية، والبابلية، والإسلامية.

ومن أهم المسروقات لوحة السبي البابلي التي لا بد أنها وقعت في أيدي الصهاينة الذين لن يتورعوا عن استخدامها من أجل تأكيد دولتهم المزعومة ما بين النيل والفرات، ومن المسروقات ثمانون ألف من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري التي تمثل أقدم مكتبة لدراسة اللغات القديمة في العالم، وسرق اللصوص من القاعة السومرية إناء الورقاء بعد أن كسروا قاعدته وقد عثر على الإناء فيما بعد وقد تهشم إلى أكثر من عشرين قطعة، وسرق من القاعة نفسها تمثال إتاناما الذي يصل وزنه إلى أكثر من ١٥٠ كيلو جرامًا، وفي القاعة الحضرية عندما لم ينجح اللصوص في سرقة تمثال زوجة هرقل اكتفوا باقتلاع رأسه.

ويوجد في المتحف العراقي خمسة مستودعات تحتوى على مئات الآلاف من القطع الأثرية، وقد سطا

اللصوص على ثلاثة مستودعات منها، واستولوا على أكثر من ثمانية آلاف قطعة أثرية، ويعترف أحد ضباط الحملة على العراق بسرقة مستودعات المتحف، ويشير إلى الدقة التي تحلى بها اللصوص بقوله: «لم تختر القطع المسروقة صدفة على العكس تمامًا دخل اللصوص وأحرقوا إسفنجًا لإنارة طريقهم، ثم توجهوا مباشرة إلى الصناديق التي تحوي القطع المطلوبة، فأخذوها دون المساس بغيرها».

وقد عبر د.دوني جورج المدير العام للدراسات والبحوث في الهيئة العامة للآثار والتراث بالعراق عما حل بآثار العراق بقوله: «ما حصل للمواقع الأثرية، وما حدث في المتحف العراقي يشكل جريمة العصر؛ لأن هذا أثر على تراث الإنسانية».

وكانت منظمة اليونسكو قد قدمت تقريرًا للسكرتير العام للأمم المتحدة في نوفمبر/ تشرين الثاني عام ٢٠٠٢م تحذر فيه من الأضرار التي يمكن أن تلحق بالآثار العراقية بعد أن بدأ الصليبيون والصهاينة الإعداد لحملتهم على العراق، وفي مارس/ آذار عام ٢٠٠٣م وقبيل بدء الحملة قدمت اليونسكو تقريرًا آخر إلى وزارة الخارجية الأمريكية يتضمن المواقع الأثرية والمعالم التاريخية في العراق مع قائمة بالمتاحف العراقية، وخريطة أثرية للعراق، ولكن قوات الحملة لم تكترث بشيء وأقدمت على تدمير آثار العراق ومعالمه التاريخية.

تدمير ذاكرة

فإلى جانب سرقة المتحف العراقي ونهب محتوياته، أشرفت قوات الحملة على إحراق مكتبة القرآن في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ببغداد التي تضم مخطوطات لمشاهير الخطاطين المسلمين مثل: ابن البواب، وابن مقلة، وياقوت المستعصمي، كما تم إحراق جميع المخطوطات الموجودة في دار صدام للفنون التي كان يوجد بها ٢٠,٢١٤ مخطوطًا مفهرسًا على النحو الآتي:

- ١٦,٤٦١ مخطوطًا باللغة العربية.
- ٢,٧٥٧ مخطوطًا باللغة الفارسية.
- ٧٨٦ مخطوطًا باللغة التركية.-
- ٢١٠ مخطوطًا باللغة الكردية.

ومن أقدم المخطوطات التي كانت موجودة في دار صدام رسالة أحمد بن الواثق إلى محمد بن يزيد الثمالي النحوي، وهي مكتوبة بخط أبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب (٣٥٠ - ٤١٣هـ/٩٦١ - ١٠٢٢م)، وأحرقت المكتبة الوطنية التي تضم آلاف الأطنان من الوثائق والمخطوطات التي تمثل أرشيف العراق بالكامل، التي كانت تضم ، كما قال مديرها شاكر الخزاعي تعليقًا على ما حدث: «لقد أحرقوا تاريخ هذا البلد الآن نقف هنا لنبدأ من الصفر لقد دمروا ذاكرتنا»، ونهب المتحف الوطني للفن الحديث الذي يضم روائع الفن العراقي الحديث.

وفي الوقت الذي كانت فيه قوات الحملة الأنجلو أمريكية تقوم بتدمير تراث العراق وحضارته في بغداد كانت القوات الكردية المتحالفة معها وفي اليوم نفسه (الجمعة الحادي عشر من إبريل / نيسان عام ٢٠٠٣م) تشرف على تدمير جامعة الموصل وسلب كل ما فيها، ونهب محتويات متحف الموصل الحضاري، الذي نزعت من حوائطه حجارة من الآجر عليها نقوش مسمارية، وأكثر من ثلاثين لوحة آشورية من البرونز.

وجاء في شهادة أمينة متحف الموصل برناديت حتى ما يأتي: «قبل الحرب أرسلنا ٥٥٠٠ قطعة أثرية إلى متحف بغداد، ووضعنا كل القطع الأخرى في مستودع خارج المتحف سد بابه بحائط من الأسمنت لكن اللصوص وصلوا إلى المستودع وسرقوا ما به، وفي منتصف ليل الخميس ١٠ أبريل / نيسان عام ٢٠٠٣م توقفت سيارة أمريكية كبيرة أمام المتحف، ونزل منها

أشخاص بالزي الكردي مكثوا بالمتحف ساعتين ثم رحلوا، وفي أثناء ذلك جاءت شاحنة نزل منها مسلحون سرقوا نحو ثلاثين قطعة».

أما في المواقع الأثرية فقد تواصلت أعمال النهب والتدمير ففي موقع نمرود سرق الكثير من النقوش والتماثيل، ومن أهمها نقش للمعبود آشور، وفي نينوى تم تحطيم حائط أثري في قاعة الملك سنحاريب يحتوي على نقش كانت تجرى به ترميمات بالتعاون مع بعثة أثرية إيطالية، وفي الحضر سرقت جميع التماثيل الموجودة في المواقع الأثرية، وفي بابل داست جنازير دبابات الحملة على المواقع الأثرية المفتوحة التي تجرى بها الحفريات، وصرح محمد طاهر عباس مدير متحف نبوخذ نصر في بابل أن أعمال السلب والنهب بدأت بعد ساعة واحدة من دخول قوات الحملة إلى بابل، وتم خلالها نهب متحف نبوخذ نصر، ومتحف حمورابي، وسرقة مسلة حمورابي، كما تعرض معبد نن ماخ «السيدة العظيمة» للنهب.

واستقال احتجاجًا على هذه الجرائم مارتن سوليفان رئيس اللجنة الاستشارية للشؤون الثقافية التابعة للرئيس الأمريكي واثنان من أعضائها، ويكفي أن نقف أمام شهادة أحد شهود العيان على تدمير تراث العراق وحضارته على أيدي قوات الحملة الأنجلو أمريكية، وهو الصحافي روبرت فيسك الذي قال في شهادته: «ابتلعت ألسنة النيران مكتبة بغداد ... تبخرت المكتبة الوطنية والأرشيف بما فيه الأرشيف الملكي القديم للعراق ... رأيت الناهبين بأم عيني وشتمني أحدهم حين طلبت من فتى لم يبلغ العاشرة أن يعطيني كتابًا كان يحمله ... لم يحرك الأمريكيون ساكنًا وبالنسبة إلى العراقيين عاد التاريخ إلى نقطة الصفر مع تدمير محتويات المتحف وإحراق الأرشيف الوطني والمكتبة القرآنية. لقد اندثرت هوية العراق الثقافية بلمح البصر».

وعلق د.صالح لمعي منسق المجلس الدولي للآثار والمواقع «إيكوموس» على ما حدث للآثار العراقية بقوله: «ولا يسعنا إلا أن نسأل: هل كان الهدف من هدم ونهب وسلب حضارة العراق الانتقام من نبوخذ نصر (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) وحملاته في فلسطين وأسر ملوكها وهدم معابدها ونقل خزائنها في العصر البابلي الأخير؟ سيظل هذا الحدث الخطير محفورًا في ذاكرة التاريخ، ولن ينسى سكان الأرض ما حدث للتراث الثقافي في العراق».

لا فائدة

ومما يؤكد النية المبيتة لنهب تراث العراق الحضاري أن مسؤولين من وزارة الدفاع الأمريكية اجتمعوا في الرابع والعشرين من يناير/ كانون الثاني عام ٢٠٠٣م مع المجلس الأمريكي للسياسة الثقافية، ومثل وزارة الدفاع في الاجتماع جوزيف كولينز نائب مساعد وزير الدفاع للعمليات الخاصة، وأربعة آخرون من المسؤولين في الوزارة، في حين مثل المجلس الأمريكي للسياسة الثقافية كل من: رئيس المجلس آشتون هاوكنز، ونائبه آثور هوتون، وماكسويل أندرسون مدير متحف ويتني للفنون الأمريكية بنيويورك، وماجواير جيبسون رئيس الرابطة الأمريكية للأبحاث في بغداد، واستمع مسؤولو وزارة الدفاع خلال الاجتماع إلى آراء الآثاريين عن ضرورة الحفاظ على المواقع الأثرية والمتاحف، والمكتبات وغيرها في أثناء الغزو، لكن قوات الحملة تجاهلت تلك الآراء، وقد عبر ماجواير جيبسون عن ذلك بقوله: «... كنت فعلاً آمل أن تقوم القوات الأمريكية باحتلال المتحف العراقي لحمايته. لقد كنت ساذجًا؛ لأن ما كنا نتكلم عنه يقع في أسفل أولويات القيادة العسكرية ... طلبت منهم التأكيد بأنهم سيقومون بجهود لمنع النهب، وقالوا: إنهم سيفعلون ذلك، وظننت أننا حصلنا على تأكيدات، غير أنها كانت من دون فائدة».

وذرًا للرماد في العيون أعلنت الحكومة الأمريكية أنه

تم ضبط آثار مهربة من العراق مع بعض الصحافيين، والجنود العائدين إلى أمريكا، وفي أواخر إبريل / نيسان عام ٢٠٠٣م عرضت نحو خمسمئة قطعة أثرية مسروقة من العراق للبيع في فرنسا، وإذا كان قادة الحملة على العراق قد ركزوا في قيام مجموعات من الغوغاء بنهب آثار العراق فإننا نذكرهم بأن الجيش الأمريكي يضم فوجًا مكلفًا بالأعمال القذرة من سرقة وسلب ونهب، وإن هذا الفوج قد تم تأسيسه منذ عام ١٨٨٦م، مما يعني أن لهم خبرة عريقة في أعمال النهب والسلب والتدمير.

وفي إطار محاولة قادة الحملة على العراق التغطية على تآمرهم في نهب آثار العراق وتدميرها قاموا في يونيو / حزيران عام ٢٠٠٣م بفتح المتحف العراقي وعرض مجموعة المجوهرات الآشورية التي عثر عليها في موقع نمرود، ويبلغ وزنها نحو ثلاثين كيلو جرامًا من الذهب، ومع أنها كانت محفوظة في مستودعات المصرف المركزي ببغداد منذ عام ١٩٩٠م إلا أن قادة الحملة ادعوا كذبًا بأنهم أنقذوها من السرقة.

اختراع التاريخ

وكان الصهاينة قد أعلنوا في عام ٢٠٠٢م أنهم قد استولوا على ما ادعوا أنه أقدم مخطوط للتوراة من بلدة ذي الكفل الواقعة في وسط العراق التي استماتت قوات الحملة الأنجلو أمريكية للاستيلاء عليها في بداية العدوان على العراق، ولا نعرف ما جرى في هذه البلدة بعد احتلال العراق، ومن المرجح أن يتم تسليمها إلى الصهاينة في محاولة لاختراع تاريخ لهم في وادي الرافدين، ولنستمع بهذا الصدد إلى التحذير الذي أطلقه د.زيدان كفافي الأستاذ بجامعة اليرموك: (الخوف ليس من الأمريكان والإنجليز على التراث الثقافي العربي والإسلامي ... الخوف من أن يسمح هؤلاء للصهاينة بالتنقيب في أور وبابل وغيرهما من المواقع التي يعتبرون أنهم كانوا بها ذات يوم ... ينادون بحق تاريخي مزعوم ... صحيح يهمني استرجاع ما نهب من قطع أثرية وفنية لكن ما يهمني أكثر هو أن تبقى أبواب بابل مغلقة في وجه المعاول الصهيونية».

ويبدو أن مخاوف د.زيدان كفافي في محلها فقد بدأت الجامعات والمراكز العلمية الغربية والصهيونية، والعصابات التي تتاجر في الآثار بإجراء حفريات أثرية مكثفة في عدد من المواقع الأثرية بالعراق، وفي أغسطس / آب عام ٢٠٠٣م قام وفد من الآثاريين الصهاينة بزيارة سرية للعراق جالوا خلالها في عدد من المواقع الأثرية، وتفقدوا متحف نينوى بمدينة الموصل بصفة خاصة وهو المتحف الذي نهبت منه ١٠,٧٣٧ قطعة أثرية بعد احتلال العراق في إبريل / نيسان عام ٢٠٠٣م، وأعيد منها نحو ٦٧١ قطعة فقط حتى نهاية يوليو من السنة نفسها.

وبدأت العصابات المسلحة التنقيب عن الآثار في العراق بعد الاحتلال في ظل عدم اهتمام قوات الحملة الأنجلو أمريكية بتوفير الأمن في المدن العراقية فضلاً عن المواقع الأثرية، ومن تلك المواقع موقع شوخا المدينة السومرية التي بدأت فيها أعمال الحفر الأثري منذ عام ١٩٩٩م، ولقد زارت الموقع جوان فرشخ الكاتبة المتخصصة في الآثار، وتصف الوضع الذي آل إليه الموقع بعد عمليات الحفر العشوائية التي جرت فيه بقولها: «تبدو المدينة أشبه بساحة معركة دارت اليوم، ولو قصفتها طائرة من طراز بي ٥٢ لما أحدثت فيها هذا المدى من الأضرار ... حفر اللصوص تشبه فوهات البراكين وتجاوز عرضها أحيانًا أربعة أمتار وكسر الفخار تغطي أرض الصحراء المحيطة، وحطام الآجر مبعثر في كل أرجاء الموقع، وتهدمت جدران المعبد والقصر المشيدة من الآجر ... بأنفسنا أعددنا ٢٥ قطعة خزفية بحال ممتازة من شوخا إلى متحف بغداد».

وكان د.دوني جورج أعرب عن خشيته من أن يقوم

العمال الذين تدربوا على الحفر في المواقع الأثرية قبل الاحتلال على المساهمة في نهب المواقع التي عملوا بها، وهو ما أكدته جوان فرشخ التي زارت موقع أم العقارب الذي أشرف د دوني جورج على حفريات أجريت فيه بين عامي ١٩٩٩ و ٢٠٠١م ويعود الموقع إلى الفترة السومرية، ورأت به اللصوص الذين قادوها في جولة حول الموقع تأكدت من خلالها أنهم كانوا ممن يعملون به قبل الاحتلال.

وفي أكتوبر / تشرين الأول عام ٢٠٠٣م تم القبض في الناصرية على اثني عشر شخصًا وصفوا بأنهم من عصابات اللصوص المتخصصة في سرقة الآثار العراقية، وفي حوزتهم تسع عشرة قطعة أثرية سرقت من موقع جوخة الأثري الذي يقع في قضاء الرفاعي التابع لمحافظة ذي قار، والقطع الأثرية التي ضبطت مع هؤلاء اللصوص عبارة عن رقم حجرية وفخارية، وأوانٍ معدنية، وتماثيل يعود تاريخها إلى نحو ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

إن سرقة المواقع الأثرية في العراق تتواصل بصفة يومية في طول البلاد وعرضها وقوات الحملة تغض الطرف عن ذلك، ولا تحاول حتى الحد من هذه السرقات؛ لأنها سوف تستفيد من تدمير تراث العراق الحضاري، وفي النهاية سيتم تقويم الوضع على أن العراقيين هم الذين سرقوا تراثهم.

المراجع والهوامش

- الأحمد، سامي سعيد:
- نقد العهد القديم ص ص ٢١٥، ٢٣٨ (المؤرخ العربي، العدد ٢٢، بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
- تاريخ فلسطين حتى التحرير العربي (سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، الطبعة الأولى، بغداد، ١٩٨٨م).
- دراسة في معلومات العهد القديم التاريخية عن فلسطين، ص ص ٦٣ـ٧٧ (المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الأول، بغداد ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)

أولبرايت، وليم:
- اثار فلسطين (ترجمة زكي إسكندر، ومحمد عبدالقادر محمد؛ ومراجعة سعاد ماهر).

تومسون، توماس:
- الماضي الخرافي التوراة والتاريخ (ترجمة عدنان حسن، مراجعة زياد منى، الطبعة الأولى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠١م.

السواح، فراس:
- آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ التوراتي (الطبعة الأولى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق ١٩٩٥م).
- تاريخ أورشليم. (الطبعة الأولى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق ٢٠٠١م).

أبو طالب، محمد:
- آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة (وزارة الثقافة والشباب، الطبعة الأولى، عمان، ١٩٧٨م).

ظاظا، حسن:
- القدس مدينة الله؟ أم مدينة داود (مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٧٠م).
- الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه (دار القلم بدمشق، ودار العلوم ببيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م).
- أهل الكهف قراءة في مخطوطات البحر الميت (الطبعة الأولى، دار رياض الريس للكتب والنشر، إبريل، ٢٠٠٠م).

كفافي، زيدان:
- الدخول إلى بابل من بوابة الآثار. ص ص ٤ ـ ٨ (اليرموك، العدد ٨٠، حزيران ٢٠٠٣م، اليرموك).

المسيري، عبدالوهاب محمد، وآخرون:
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية «نموذج تفسيري جديد». (المجلدان الرابع والسادس دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٩م).
- مقدمة في تاريخ فلسطين القديم (الطبعة الأولى، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت، ٢٠٠٠م).
- تلفيق صورة الآخر في التلمود «يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأرميين» (الطبعة الأولى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٢م).

الناشف، خالد:
- تدمير التراث الحضاري العراقي. فصول الكارثة (مقاطع من كتاب قيد النشر، نشرت في صحيفة الحياة، العددان ١٤٨٥٤، ١٤٨٥٥، ٣٠ رمضان. ١ شوال ١٤٢٤هـ/ ٢٤ ـ ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٣م).

نيل سلبرمن:
- بحثًا عن إله ووطن صراع الغرب على فلسطين وآثارها (١٧٩٩ ـ ١٩١٧م)، ترجمة فاضل جتكر، مراجعة زياد منى، الطبعة الأولى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠١م).

قبائل الكلاش

بين تصفيق الغرب واحـ



...مال المسلمين

سعد الله الحمدي

بشاور ـ باكستان

لقد نزل جمع غفير من السائحين الأجانب ـ قبل المسلمين ـ على مدار الأعوام الماضية بمنطقة شترال التي تقع في أقصى الشمال الغربي بإقليم سرحد الباكستاني. ويطلّ عليها جبل تريشمير الشهير إحدى قمم هندوكش المرتفعة التي تناطح السحاب وتغطيها الثلوج على مدار السنة وذلك لارتفاعها الشاهق الذي يبلغ (٧٧٠٨) أمتار.

وانصبّ اهتمام السائحين على وجه الخصوص بقبائل الكلاش التي تعيش بين ظهراني المسلمين، ويتمتعون بعلاقات ودّية حميمة مع المؤسسات الغربية، ويحظون بدعم منقطع النظير من المتطوعين اليونان الذين أوقفوا حياتهم للحفاظ على ثقافة الكلاش وديانتهم كإرث تاريخي يجب أن يحفظ بعيدًا عن تأثير العولمة والانفتاح وتغيرات التحضر والتقدّم الحديث، كما يقولون.

وانطلاقًا من حرصنا على التعرف إلى أحوال المسلمين واهتمامًا بالدعوة إلى الله تعالى في المناطق النائية التي قلّما تصل إليها المؤسسات الإسلامية، ومحاولة للتعرف إلى الوجه الحقيقي لقبائل الكلاش، ومعرفة عقائدهم بهدف البحث عن سبل دعوتهم إلى الإسلام، وحرصًا على هدايتهم وإخراجهم من ضيق الوثنية إلى سعة التوحيد قمنا بزيارة ميدانية لمديرية شترال وقبائل الكلاش وفيما يأتي تقرير عنها:

معلومات أولية عن مديرية شترال

شترال: إحدى أهم مديريات إقليم سرحد الباكستاني، وهي منطقة إستراتيجية جدًا، وذلك لمناخها الطبيعي الخلاب وهوائها اللطيف الساحر الذي جذب السياحة العالمية إليه، ولحدودها مع الصين وروسيا وأفغانستان، ولكونها بوابة للجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى عبر طريق بدخشان.

تصل مساحة شترال إلى ١٤٥٠٠ كيلو متر مربع. بينما يبلغ عدد سكانها ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة. أما الحالة الجوية: فإن المنطقة تعدّ شبه منفصلة عن بقية الوطن لستة أشهر في موسم الشتاء بسبب وقوع الثلوج الغزيرة عليها، والتي تتسبب في إغلاق الطرق العامة، وإيقاف المواصلات، وإخلال في مواعيد الرحلات الجوية كثيرًا.

تبلغ نسبة المسلمين في شترال ٨٠٪ ، ومعظمهم من الأحناف، وفيهم من السلفيين وأهل الحديث. وتأتي الإسماعيلية في المرتبة الثانية إذ تبلغ نسبتها ١٩٪ وهي التي تعرف بالآغاخانية أيضًا، نسبة إلى آغا خان إمام الإسماعيلية في العصرالحديث الذي وُزن بالذهب الخالص في بومباي ونيروبي عام ١٩٣٧م، ووزن في كراتشي بالبلاتين عام ١٩٥٤م، أما قبائل الكلاش فإن نسبتهم هي ١٪ وهي قبائل وثنية بدائية.. يغلب على عامتهم الجهل، ولهم عادات وتقاليد لا توجد لدى غيرهم من شعوب العالم تقريبًا، أصلهم ما زال يغلف باللغز إذ تقول الأساطير: إن خمسة جنود من فيالق



إحدى رقصات قبائل الكلاش

الجيش الغازي الإسكندر الأكبر المقدوني استقرّوا هناك وخلّفوا هؤلاء الناس، ولكن علماء الأنثروبولوجيا والمؤرخين ما زالوا في شك من أصولهم الغامضة.

موطن قبائل الكلاش

تعيش قبائل الكلاش في ثلاثة أودية جميلة من مناطق: «بمبوريت » و«رومبور» و«برير» التي تبعد عن شترال ٤٠ كيلو مترًا والتي تبدو أول وهلة مثل شيء ما من التاريخ القديم.

«أيون» هو المدخل الوحيد إلى أودية الكلاش التي تطلّ عليها الجبال الخضراء والتلال العالية والهضاب المنحدرة من كلّ جانب .. ويضيف هدير المياه والجوّ اللطيف وزقزقة الطيور على المنطقة جمالاً وروعة ورونقًا من نوع خاص، وتنفرد منطقة الكلاش بين مناطق شترال بالزروع الخضراء والحدائق الوارفة والطبيعة الرائعة التي يحسّ الناظر إليها بعجائب قدرة

قبائل الكلاش هي قبائل وثنية بدائية.. يغلب على عامتهم الجهل. ولهم عادات وتقاليد لا توجد لدى غيرهم من شعوب العالم تقريبًا

الله وجلائل نعمه التي تتغنى بها طيور المنطقة قبل سكانها الكفرة.

وتصنف لغة الكلاش ضمن اللغة الهندو أوربية، وتشتهر منطقتهم بـ «كافرستان» أي بلاد الكفار، وهم وثنيون يعبدون الآلهة الكثيرة ويعتقدون في كاهنهم «متن» الذي يتحدث إليهم عن المواسم والحقول والحبوب والجدب والرخاء.

روافد الحياة في منطقة كلاش

الحياة في وادي كلاش تقليدية جدًا إذ تعتمد القبائل في معيشتها على الثروة الزراعية فيزرعون في حقولهم – التي تروى بماء نهر بمبوريت وبعض العيون – يزرعون الذرة والقمح وبعض البقوليات وتعطي أرضهم محصولات ممتازة من الحبوب والجوز والتفاح والخوخ والتوت. ويكثر اهتمامهم بالثروة الحيوانية التي تعدّ

تطوّع أناس كثيرون من الدول الأوربية لخدمة ثقافة الكلاش حتى إنهم وضعوا معجمات إنجليزية للغة قبيلة الكلاش في دولهم، وكتبوا عنها الشيء الكثير

الرافد الثاني من روافد حياتهم، فيقومون بتربية الأغنام والأبقار حيث يرى الناظر سيولا كبيرة لها في طول الوادي وعرضه، وتشتهر لديهم المنتجات اللبنية من القشطة والزبدة والجبنة الشهيرة.

وتحتل الثروة الخشبية المرتبة الثالثة في مقومات معيشتهم ، فهم يستطيعون توفير الأخشاب من الجبال القريبة لاستعمالها في بناء البيوت أو استخدامها وقودًا في الشتاء.

وتكثر في المنطقة الصناعات اليدوية من تطريز قمصان نسائية سوداء مزخرفة ومزركشة بكثير من الألوان على الأكمام والصدور وخط الذيل، إضافة إلى صنع القلائد والعقود النسائية من طبقات الخرز الأصفر والأبيض والأحمر التي تثقل رقاب نساء الكلاش، والطاقيات الخاصة التي تتوج رؤوسهن، وتشارك المرأة الرجل في العمل وتغلب عليها روح المرح والقدرة على تحمّل المشاق.

عادات وتقاليد غريبة

تتميز قبائل الكلاش التي تعتمد على الزرع والضرع من بقية الشعوب ببعض العادات والتقاليد الغريبة ومنها:

- كان من عاداتهم أنهم يضعون الميت في صندوق خشبي - غير مدفون - فوق الأرض ومعه شيء من ماله وسلاحه، فكانت المقبرة القديمة التي زرناها بمنزلة معرض للصناديق الخشبية التي توجد بها الهياكل العظمية للعظام البالية لأجداد الكلاش، وانتهت تلك العادة لتحل محلها عادة دفن الميت مع الصندوق الخشبي فقط من دون أن يدفنوا معه المال أو السلاح.

- ومن عاداتهم أنهم يرقصون عند جثة الميت ويتغنون ويصفقون ويقرؤون الأشعار والمراثي على الغني ثلاثة أيام ومتوسط المال يومين والفقير والمرأة يومًا واحدًا، ظنًا منهم أنهم يقيمون حفل تكريم للإنسان


طفل من الكلاش يلهو

عندما يولد وحفلة وداع له عندما يرحل عن الدنيا، وأنهم يريدون أن يودعوه في فرح وسرور وهناء كما أنهم استقبلوه ببشاشة عند مجيئه إلى الدنيا.

- ومن عاداتهم الغريبة أن الرجل يقضي العدّة إذا ماتت زوجته !! وتتمثل العدّة في جلوس الرجل على باب البيت فلا يبرح الباب ولا يعمل، بل يلقى إليه الطعام، ويطلق اللحية خلال تلك الفترة، وتكون نهاية عدّته بمهرجان جلم جوشت السنوي.

- ومن عاداتهم أن المرأة تستطيع استبدال زوج آخر بزوجها إذا دفع الثاني ضعفين من مهرها إلى الزوج الأول، وإن مثل هذا الزواج يكون محل فخر واعتزاز بين نساء الكلاش.

مركز الحوامل والحيّض

«بشالين» مبنى جميل يقع فوق نهر بمبوريت محاط بأسوار قوية، ومنسوب إلى إله الميلاد حسب زعمهم .. هو ذلك المركز الذي أقيم لنساء الكلاش برعاية المؤسسات اليونانية حفاظًا على عادة القبيلة التي تخرج النفساء والحيّض من البيت إلى المركز الجماعي، ويبقين هناك إلى وقت الطهارة الكاملة .. وهيئت في المركز غرف للراحة، وحمامات للسباحة، وبه حوش جميل وأخضر للتشمس، أما الطعام فيقدم إليهن من أسرهن عبر فتحة مستقلة في بوابة المركز.

أعياد الكلاش واحتفالاتهم

مناسبات كثيرة اتخذها الكلاش أعيادًا لهم؛ فمناسبة نضوج الثمار عيد، ودخول موسم الربيع عيد آخر وأعياد صغيرة وكبيرة تستلزم الطقوس الدينية والموسيقا والرقص والمرح، يجتمع فيها الرجال والنساء إلى محافل الرقص والغناء التي يعدّونها رمزًا لشخصيتهم، والذكور يتقاسمون الخمر في أثناء رقص النساء في الزي البهيج في الأعياد الآتية:

- «جلم جوشت» ويوافق ١٤.١٥ مايو / آيار ويدوم ليومين، ويقام هذا الاحتفال احتفاء بوصول فصل الربيع بالآمال الجديدة والطموحات والتطلعات.

- «جتر مست» ويبدأ في ١٢ ديسمبر/ كانون الأول ويستمر عشرة أيام، وهو من أهم مهرجانات السنة ويتزامن مع الانقلاب الشتوي ويعدّ عيد الشكر لهم

تكثر في المنطقة الصناعات اليدوية من تطريز قمصان نسائية سوداء مزخرفة ومزركشة بكثير من الألوان على الأكمام والصدور وخط الذيل

لحصولهم من الفواكه والطعام والحيوانات التي خزنوها للشتاء، وفيه يضحي الناس الحيوانات باسم الآلهة.. ويبتهجون بالخمر والفاكهة في أثناء المشاركة في الرقص والغناء .. والكلاش لا يصافحون خلال هذه الأيام لزعمهم أنهم في حالة نجاسة .. ومن يصافح شخصًا تجب عليه الفدية، كما أنهم يأكلون الميتة خلال هذه الأيام، ونتلخص أعماله في الرقص الكثير حول دوائر النيران، وترديد الترانيم السحرية بضرب طبلة مصاحبة بالأصوات، وغالبًا ما تختار الفتاة العزباء لنفسها زوجًا خلال هذه المهرجانات.

ويأتي الناس بأنواع من الأطعمة بما فيها التوت والجوز والفواكه المجففة يأتون بها إلى معبد الكلاش «جش تك هان»، ويضعونها خارج المعبد لأرواح الأجداد، ويغلقون الباب على أنفسهم حتى لا يخوفوا أرواح الأجداد التي سترشف مذاق الأطعمة حسب زعمهم، ويشعلون المشاعل النارية في الداخل .. وبعد المراسم يخرجون، ويعدّون الطعام الملموس من قبل أرواح الأجداد غير نقي للاستهلاك من قبل الرجال، ويسمحون للنساء قبل سن الحمل على أن يتناولنه فيتشاجرن بمرح على تقسيمه وتوزيعه بينهن.

- «أجهال» ويبدأ في ٢١ أغسطس/آب، ويحتفل فيه بنضج الفاكهة قبل الحصاد، ويعدون الخمر والجبن والحبوب للاحتفال بهذا المهرجان.

واحتفالات الأعياد السابقة تقام في مراقص وملاهٍ مستقلة شيدتها منظمة الأساتذة اليونانيين بشكل قاعات للجلوس مخصصة للرقص والغناء، ومن أهم المراقص التي شيدتها المنظمة مرقص «جش تك هان» وهو مبنى بسعة ١٨ × ١٢ مترًا مربعًا تقريبًا في وادي بمبوريت، ولونه أسود غامق ومخيف أيضًا، وزُيِّنت أعمدته وأبوابه بأرقام توحي بحياة الإله اليوناني .. ويستخدم المبنى في حالة حدوث الوفيات بين القبائل أيضًا.

متطوعون فرنسيون

لقد تطوّع أناس كثيرون من الدول الأوربية لخدمة ثقافة الكلاش حتى إنهم وضعوا معجمات إنجليزية للغة قبيلة الكلاش في دولهم، وكتبوا عنها الشيء الكثير، ووصل الأمر ببعضهم أن اختاروا هذه المنطقة لقضاء العمر والوقت. ومن هؤلاء المتطوعين السائح الفرنسي جوردي مليكرنير الذي قضى ١٥ سنة في شترال، منها ثماني سنوات في منطقة الكلاش وحدها .. حيث اختار هذا الوادي وطبيعته الجبلية على أسواق باريس المضيئة وحدائق السربون الناضرة

تكثر عند الكلاش صناعة الملابس المطرزة



وعاش هناك حتى آخر رمق في حياته.

انتابتني عدّة هواجس .. وانهال على ذهني عدد من الأسئلة والاستفسارات عندما وقفت في مقبرة خاصة بالكلاش على قبر هذا المتطوع الفرنسي الذي تقلّد ديانة الكلاش واختارها مذهبًا له، واستأجر بيتًا في المنطقة ليعيش بجوار الكلاش مع حراسه الشباب، وكلابه المدربة، ووسائله التكنولوجية الكثيرة التي أثارت فضول الجماهير واهتمامهم.

وحسبما افادتنا به المصادر العليمة فإن الرجل كان يقوم بأنشطة مشبوهة تحت الراية البيضاء وشعار العمل الذي رفعه وهو ما أدى إلى مقتله على أيدي مجهولين في ليلة من ليالي الشتاء الباردة عام ٢٠٠٢م.

ماذا يقول الكلاش عن مستقبل مذهبهم؟!

شير أحمد خان صاحب محلّ متواضع من أهل الكلاش، اعتنق والده سيف الرحمن واثنان من أخواته الإسلام، ولكنه ما زال على عقيدة الكلاش ومذهبهم سألناه:

ألا يعيب عليه أن تقوم زوجته بالرقص أمام الأجانب؟ قال: إنها العادات ولا نجبر عليه أحدًا من البنات بل هن يتطوعن لهذا العمل في المناسبات والمهرجانات.

وفي سؤالي له من أقرب الناس إليكم؟ قال: المسلمون أقرب إلينا، ولا فرق بيننا وبينهم، فكلنا باكستانيون.

وعن دعم المؤسسات الخارجية قال: لقد دعم أولادنا بثمانية آلاف روبية لكل واحد من قبل جمعية الأساتذة اليونانيين لنوفر لهم الكتب والوسائل التعليمية.

وعند توجيهي السؤال إلى عبدالمتين - صاحب فندق في وادي كلاش - حول المعتقدات القديمة لمذهب الكلاش ووضعهم الحالي: قال: المذهب ينحلّ حاليًا، فالعادات القديمة والتقاليد على قيد الفناء والهاوية .. وكادت هذه البقية الفريدة من التاريخ القديم تفقد



تكثر في المنطقة الصناعات اليدوية الملونة

للأبد، وأبشرك أخي القارئ أن الرجل أسلم، ولله الحمد، بعد أيام من مغادرتنا وادي الكلاش إذ بشرني به أحد زملائي الأفاضل من هناك.

نشاط الفرق الضالة في المنطقة

تستغل المؤسسات التبشيرية التخلف العلمي

مناسبات كثيرة اتخذها الكلاش أعيادًا لهم: فمناسبة نضوج الثمار عيد، ودخول موسم الربيع عيد آخر ، وأعياد صغيرة وكبيرة تستلزم الطقوس الدينية والموسيقا والرقص والمرح



والاقتصادي وجهل الناس بدينهم في المنطقة فتبادر إلى نشر أفكارها ومعتقداتها في أوساطهم بمختلف الطرائق والأساليب، ومن هذه الفرق والجمعيات:

- **جمعية الأساتذة اليونانيين:**

(GTA)Greek Tichers Association

تعمل هذه الجمعية للأساتذة النصرانيين اليونانيين في منطقة كلاش، اعتقادًا منهم أن ديانة اليونان وديانة الكلاش تنبعان من أصل واحد مشترك، وأن رابطة اليونان بالكلاش تمتد إلى أكثر من ٢٣٠٠ سنة إلى الوراء زاعمين أن الكلاش هم إخوان الإغريق القدماء .. ولذا قامت المنظمة بفتح المدارس الابتدائية والمتوسطة يدرس بها أبناء المسلمين والكلاش على السواء، بينما خصصت ثلاث مدارس ابتدائية مستقلة لتعليم أبناء الكلاش في مناطق كركال، برون، انير. والتعليم مجاني تمامًا، بل تفتح المدرسة باسم كل طالب رقم حساب مستقلاً، وتضع فيه شهريًا مبلغًا معينا لكل واحد منهم، حتى يتمكن من تكميل تعليمه الثانوي والجامعي في المدارس والجامعات الأهلية المتميزة. كما قامت هذه الجمعية حتى الآن بابتعاث ١٨ طالبًا إلى الجامعات الأوروبية، و١٥ طالبًا إلى اليونان حتى يعودوا إلى المنطقة ناشرين النصرانية وداعين إليها، ومتمسكين بالأصول التاريخية لليونان القدماء، وتعمل الجمعية في الوادي بجدّ ونشاط إلى حدٍّ أنها تعارض إنشاء الاستراحات الكبيرة والفنادق الفخمة في أودية كلاش، بل تعارض السياحة أيضًا خوفًا من انتهاء الثقافة الإغريقية المنتشرة في الكلاش.

- **مركز ثقافة الكلاش:**

تعمل هذه الجمعية منذ عام ٢٠٠٢م، في قرية «برون» على إنشاء مركز ثقافة الكلاش الذي يهدف إلى النهوض بثقافة الكلاش، والعمل على تخليدها، وزرعها في الأجيال القادمة.

ويشتمل المركز على بناء مكون من أربعة طوابق، وكل طابق مكون من ثلاثة أجنحة مبنية على أحدث وسائل الإعمار بشكل يجمع بين الأصالة الإغريقية من تزيين الأعمدة بطراز خاص يُقلِّد ما لدى الكلاش، والمعاصرة الراقية من فن التعمير، وحسب ما أفادتنا به المصادر العليمة فإن المركز سيشتمل على مكتبة ومستوصف

تشتد الحاجة في المنطقة إلى العمل الإسلامي الكبير، فالفراغ أعظم من أن تملأه مؤسسة أو جمعية، والتبشير عشش وفرّخ في المنطقة من خلال العمل المتواصل

وقاعة كبيرة بمنزلة متحف لعرض التراث والمنتجات ومعظم ما يخص تلك القبائل من عادات غريبة وتقاليد عجيبة في شؤون الحياة، إضافة إلى مراقص وملاهٍ وغرف الراحة ومواقف السيارات.

يشرف على إنشاء المركز الوحيد من نوعه في المنطقة متطوع يوناني يُدعى «أتانيسي» وهو يشرف على العمل بكل ما تحمله كلمة الإشراف من معانٍ ومدلولات، فهو يراقب أعمال الإنشاء عن قرب، ويقف على رأس المهندس والعامل على السواء؛ ولا يفارق المركز حتى في أثناء الليل أيضًا. ذكر لنا شهود عيان من أهل المنطقة أن الجمعية قامت بشراء أرض المركز وحدها بـ ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ روبية باكستانية، ولا يوجد في المنطقة مركز مماثل له لا للمسلمين ولا لغيرهم.


الزراعة مصدر رئيس لمعيشة قبائل الكلاش


أطفال الكلاش يتلقون تعليمهم

كما تقوم المنظمة بإصلاح نظام الري وتوفير مياه الشرب من العيون البعيدة وإنشاء خزانات كبيرة لها في القرى بهدف استفادة الكلاش.

- **الآغاخانية: منظمة محلية في شترال:**

(AKRSP) Aga Khan Rural Support Program

تتمتع الفرقة الآغاخانية ومنظمتها السابقة بكل الوسائل والإمكانات الاقتصادية والمعنوية، إذ تموّل من المملكة المتحدة «بريطانيا» وتدعم من قبل بعض المنظمات الخارجية مثل DFIP، وتبلغ ميزانيتها السنوية أكثر من ٨٠ مليون روبية باكستانية، وأنفقت في شترال بين عامي ١٩٨٨ و ٢٠٠٠م ثمانية ملايين دولار أمريكي دعمًا من المملكة المتحدة، في مجالات التعليم والصحة، وتوفير المياه ومن أهم مشروعاتها في المنطقة:

- **مشروعات تعليمية:** إقامة ٢٤٠«معهد إمامي» وترتفع نسبة التعليم في مناطق الإسماعيلية بشكل لافت للنظر إذ تبلغ في هنزة وحدها أكثر من ٩٥٪. كما تقوم المنظمة بفتح المدارس في القرى البعيدة وتعيين المدرسين، وتقوم بنقل الطلبة الحاصلين على الشهادة الثانوية لإكمال تعليمهم الجامعي إلى جامعة آغاخان بمدينة كراتشي على حسابها الخاص.

- **مشروعات زراعية:** إقامة شبكة واسعة من الجداول والأنهار بهدف الرّي والاستفادة من الأراضي غير الصالحة للزراعة، وقلما يوجد في شترال منطقة لم تنفذ فيها الأنهار والجداول بدعم الآغاخانية.


تكثر مناسبات الاحتفالات عند الكلاش

- **مشروعات إنشائية**: إقامة السدود والجسور على الأنهار، وتصليح الطرق وشقها وتوسعتها في المناطق الجبلية المنحدرة والضيقة، خصوصًا أن الحكومة تتغافل عن هذه المشروعات مما يضطر الناس إلى مراجعة الإسماعيلية في حل مشكلاتهم وتلبية حاجاتهم.

- **مشروعات طبية**: قامت المنظمة بإقامة مستشفيات مجهزة بأحدث الوسائل في بعض المدن الكبرى، واستقطبت لها مجموعة من الأطباء المشهورين والمتخصصين، الذين يقيمون بعض الدورات المختلطة في الإسعافات الأولية أيضًا.

- **مشاريع إنمائية**: أقامت المنظمة سدودًا لإنتاج الطاقة الكهربائية في المناطق التي لا توفر فيها الحكومة خدمات الكهرباء، ويجدر بالذكر أن قرى المسلمين في منطقة «كرم جشمة» التي توجد بها عيون للمياه الساخنة بحيث لا يمكن الاغتسال بها إلا بمشقة وعسر مازال أهل تلك المنطقة يعيشون في الظلام الدامس لرفضهم قبول الكهرباء من الآغاخانية، وعدم تمكنهم من توفير الكهرباء لمنطقتهم بأنفسهم؟

- **مشروعات سكنية**: قامت المنظمة إضافة إلى إنشاء دور وبيوت سكنية لأفرادها في قرى مستقلة تعرف بـ «كريم آباد» نسبة إلى كريم آغا خان، قامت بإنشاء سكن جامعي مختلط للطلبة والطالبات في منطقة «بُني» حيث مركز الإسماعيلية، ويتسع السكن لـ ٣٠٠ طالب وطالبة، وجاءت فكرة السكن الجامعي بعد أن لمست



أحد بيوت الكلاش التقليدية

المؤسسة حاجة الطلاب الدارسين من مناطق نائية في الجامعات الرسمية وعدم استطاعتهم العودة إلى أهاليهم يوميًا، الجدير بالذكر أن بعض المسلمين الغاضبين من نشاط الإسماعيلية قاموا بحرق سكن جامعي للإسماعيلية مماثل لهذا السكن في عاصمة شترال قبل اثنتين وعشرين سنة تقريبًا.

- **أهم الممتلكات الآغاخانية:** تمتلك الإسماعيلية في شترال، إضافة إلى مراكزهم الكثيرة ومدارسهم المنتشرة وقراهم المستقلة ٩٠ سيارة فاخرة، وطائرتي هليكوبتر أيضًا.

- **منظمة العفة:** عفت فاونديشن: عندما أفتى المسلمون بتحريم أخذ تبرعات منظمة آغاخان وقبول مشروعاتها، قام الآغاخانيون بإنشاء منظمة أخرى باسم منظمة العفة التي يوحي عنوانها بالتقرب للمسلمين، وبدأ الإسماعيليون أعمالهم تحت ستار الاسم الجديد، ولكن عرف المسلمون أن «هذا الطربوش من ذاك العقال» فقاطعوها أيضًا.

الجمعيات والمراكز الإسلامية

يتلخص نشاط الجمعيات الإسلامية في شترال

تعتمد القبائل في معيشتها على الثروة الزراعية فيزرعون في حقولهم - التي تروى بماء نهر بمبوريت وبعض العيون - يزرعون الذرة والقمح وبعض البقوليات



ووادي كلاش بالآتي:

- **جمعية تعليم القرآن:** هذه الجمعية أنشأتها مجموعة من العلماء الديوبنديين في كراتشي، وتقوم في شترال بالأنشطة الآتية:

- تعيين القراء والمحفظين في المساجد ويبلغ عدد حلقاتهم ٨٠ حلقة.

من عاداتهم أن المرأة تستطيع استبدال زوج آخر بزوجها إذا دفع الثاني ضعفين من مهرها إلى الزوج الأول، وإن مثل هذا الزواج يكون محل فخر واعتزاز بين نساء الكلاش

- نشر كتب ورسائل تعرض للناس عقيدة الديوبنديين وأفكارهم.

- نقل أبناء المنطقة إلى مدارسهم الخاصة على حسابهم.

- يصل عدد الحلقات والمدارس الإسلامية بوادي كلاش إلى أربع مدارس وحلقات فقط.

- **صديقي ترست:** تقوم هذه الإدارة ببناء المساجد وتساعد كذلك على توفير الأدوات البنائية لتصليح المساجد القديمة، وجهودها متواضعة في مجال عملها، وهناك مؤسسات إسلامية تعمل في الساحة مثل إدارة المساجد والمشروعات الخيرية التي تقوم بتنفيذ بعض المشروعات الدعوية والخيرية.

حاجات المنطقة

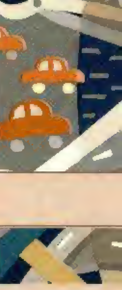
تشتد الحاجة في المنطقة إلى العمل الإسلامي الكبير، فالفراغ أعظم من أن تملأه مؤسسة أو جمعية، والتبشير عشش وفرّخ في المنطقة من خلال العمل المتواصل، مما يهيب بضمير المسلم ويناشده إلى الوقفة الصامدة مع المسلمين في المنطقة، بإنشاء المساجد، وحفر الآبار الارتوازية، وإقامة حلقات دعوية، وتعيين الأئمة والدعاة من المسلمين النورستانيين الذين يجارون الكلاش ويعرفون لغتهم، وإيجار سكن للطلبة المسلمين وتعيين داعية على إشرافهم يستطيع القيام بالعمل الدعوي في أوساط المعاهد والجامعات الرسمية.. وإنشاء معهد شرعي مستقل في شترال، وإعطاء الأولوية لأبناء الكلاش للقبول في الجامعات الإسلامية.

وبهذا سيكون العمل الخيري الإسلامي قد سد الثغرة، وأنجز الخير الكثير، وساعد على نشر التوحيد، والتضييق على التبشير الذي يحظى بحفاوة المنصرين وتصفيقهم

وأختم هذا المقال بقول الشاعر:

ولا بد من شكوى إلى ذي حفيظة

يواسيك أو يسليك أو يتوجع



فان جوخ: الإبداع الفائق و

صورة الدكتور غاشيه (١٨٩٠م)

ـعقل الحـــزين

فاضل كمال الدين
بابل ـ العراق

"حسنًا.. ففي نهاية الأمر لن يتحدَّث عنّا سوى لوحاتنا".

جاءت هذه الكلمات في الرسالة الأخيرة التي كتبها ڤنسنت ڤان جوخ إلى أخيه ثيو، والتي وُجدت في جيبه في اليوم الذي مات فيه. وهو التاسع والعشرون من يوليو/ تموز من عام ١٨٩٠م. ومنذ ذلك الحين تحدثت لوحاته عنه لجميع الناس. وبلغة أخوية تشعّ نورًا (١). وعندما هُرع إليه أخوه قادمًا من باريس وهو على فراش الموت قال لأخيه: "لنْ ينتهي الحزن أبدًا"(٢) ففي التاسع والعشرين من يوليو/ تموز ١٨٩٠م. ووسط تلك الحقول التموزية الغارقة في الشمس والعُزلة. تلك الحقول التي كان يرسمها في كل فصل من فصول السنة أطلق ڤنسنت ڤان جوخ النار على صدره منتحرًا.

هناك التحام شديد بين فن ڤنسنت ڤان جوخ وشخصيته إذ إنَّ كلّ لوحة من لوحاته هي صورة ملتهبة للواقع واستحضار لبواطنِ ذاته، وكل لوحة من لوحاته هي صرخة عالية من صرخات العذاب أو التهلُّل (٣).

حياته

وُلد ڤنسنت ڤان جوخ في قرية «زندرت» في هولندا قريبًا من الحدود البلجيكية في الثلاثين من مارس/ آذار١٨٥٣م. وكان أبوه هو القسّ في القرية، ولعدة سنوات لم يكن عارفًا بطبيعة المهنة الملائمة له، وكان يقول لنفسه: «هناك شيء في داخلي، فماذا يمكن أن يكون؟».

وفي شتاء عام ١٨٨٠م وعندما بلغ السابعة والعشرين، وكان يعيش وسط عمّال المناجم المدقعين في «بوريناج» حيث كان يعمل بصفة واعظ، بدأ فجأةً يدرك حقيقة المهنة الملائمة له. وبعد أن ارتعب من شدة التعاسة والظلم الاجتماعي اللذيْن رآهما في ما حوله تحوَّل حماسُه الديني، ودون أن يفقد ذلك الحماس إلى قصر نفسه على فن الرسم الذي عدّه أمله الأخير في الخلاص. وهكذا شقّ ڤنسنت ڤان جوخ طريقه من الظلام إلى النور، ومن الشمال الغارق في الضباب إلى الجنوب ذي السماء الصافية.

ونحن نستطيع تعقُّب المراحل المتعاقبة، في بحر ذلك المسار المحموم، خلال السنوات العشر اللاحقة من ذلك الصعود الباهر نحو القمة والذي قدِّرَ له أن ينتهي نهاية مأساوية في «أُڤير ـ سور ـ واز» في فرنسا.

كانت الفترة الهولندية (١٨٨١ ـ ١٨٨٥م) فترة تحضيرية مكثفة، وفترة تجريب جرَّب فيها ڤان جوخ تقنيّات مختلفة، وقد عالج ذلك بطريقة منهجية، فقام أولاً برفع مستوى قدرته التخطيطية إلى درجة الإتقان قبل أن ينتقل إلى استخدام الألوان في رسومه، وشكَّلت اللّوحات التي رسمها في «نونين» صورة كاملة لحياة الفلاحين في «برابانت» وهي حياة الكدح القاصم للظهر التي كان يتحملها الفلاحون باستسلام حزين، وتعكس لوحاته تلك، التي جعلها معتمة ومتجهِّمة بشكل مقصود، تعكس الكآبة المخيّمة



بيت ريفي

على الريف في «برابانت»، وبعد ثلاثة أشهر قضاها في «أنثورب» في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٨٨٥م إلى فبراير/ شباط ١٨٨٦م التحق بأخيه ثيو في باريس حيث التقى بالفنانين بيسارو وغيلومين ولوتريك، وسورا وسنياك، وبرنارد، وغوغان.

وخلال سنتين مثيرتين من فبراير/ شباط ١٨٨٦م إلى فبراير/ شباط ١٨٨٨م أتقن فنسنت فان جوخ اللغة الجديدة في فنّ الرسم، وقام بتكييفها لاستلهاماته الشخصية.

وفي حالة من الاستثارة الغامضة بلغ فان جوخ، وهو في «أرل» من فبراير/ شباط ١٨٨٨م إلى مارس/آذار ١٨٨٩م، أعلى نقطة في فنه أيّ، وحدة الشكل واللون وحدة كاملة، وكان يقول: «هي مثل ألوان الشبابيك المطلية بطلاء لمّاع مع خطوط مرسومة بجرأة». وكان يقول أيضًا «أُريد أن أرسم بطريقة تجعل المرء الذي له عينان قادرًا على إدراك

هناك التحام شديد بين فن فنسنت فان جوخ وشخصيته إذ إنّ كلّ لوحة من لوحاته هي صورة ملتهبة للواقع واستحضار لبواطن ذاته

ما أعني بوضوح. وطبّق أيضًا مفهومًا جديدًا في فنّ رسم صُور الأشخاص يقوم على أساس القيمة التعبيرية والرمزية للألوان النقية. وقد انتهى الشهران اللذان قضاهما مع غوغان - النقيض الكامل له كإنسان وكرسام - بقيام ڤان جوخ بتصرف جنوني عندما قطع أُذنه هو، وازدادت أعماله في «سانت - رمي» في مارس/آذار ١٨٨٩م إلى مارس/آذار ١٨٩٠م عمقًا، وقلَّت حدَّة، وانتقل تأكيده من اللون إلى التخطيط، ومن التشبيع اللوني إلى دينامية الخطوط. وتفضح الالتواءاتُ المحمومة في رسومه قلقَهُ الملتهب، ومحاولاته اليائسة للسيطرة على ذلك القلق (٤).

أزهار تتفتح



وتقول «لارڤنكا ماسيني» في كتابها المعنون من «ڤان جوخ»: إنه قد أصبحت الآن حياة ڤان جوخ - وكما هو الأمر في فنّه - جزءًا من أسطورة، فهو يُوضع عمومًا في صفّ القلة من الأبطال الأواخر في العالم الرومانطيقي الذين يقطن نفوسهم ابتلاء لا فكاك منه، ابتلاء مقيم. وهناك أُناس حاولوا أن يتعرفوا إلى علامات تعود إلى زمن طفولته، وتدلّ على عناصر يمكن أن تكون قد ساهمت في تكوين شخصية ڤان جوخ الذي هو واحد من أكثر الفنانين أصالة في الفن الحديث، وإنسان كان عظيم الإدراك لحقيقة المشكلات في زمانه، وشديد الإحساس بالأزمة الاجتماعية.

ولكن حياته كانت اعتيادية تمامًا ابتداءً من طفولته إلى فترة مراهقته (٥).

وعندما بلغ السادسة عشرة استخدم من قبل «غوبيل» (وهو تاجر معروف يتاجر في الأعمال الفنية، وقد استخدم لاحقًا أخاه ثيو) في «لاهاي».

وفي عام ١٨٧٣م نُقِلَ إلى لندن حيث تلقى أول إخفاق له في الحب عندما رفضت «أُورسولا ليجر» - ابنة صاحبة المنزل الذي نزل فيه ڤنسنت - طلبه الزواج منها. وقد عجَّلَ هذا الحدث بظهور المرحلة الثانية في حياته، وهي مرحلة بحثه عن هدف لوجوده ممّا دفعه في البداية إلى التفكير بامتهان مهنة دينية. ومن تلك اللحظة أخذ الإخفاق يلازمه دائمًا. وأولاً في اختبارات القبول في معهد اللاهوت في جامعة امستردام، وثانيًا في مدرسة التبشير العملي في بروكسل عام ١٨٧٨م.

وجاءت بعد ذلك تجربته القاسية بصفته واعظًا للعاملين في المناجم في قرية بوريناج التي كانت أكثر القرى بؤسًا، ثم أصبح ڤان جوخ أكثر تواضعًا من المتواضعين بعد أن تخلّى عن كل شيء: البيت والملابس



بيير تانغي (١٨٨٧م)

والطعام من فرْط سخائه الذي لم يتقبله ولم يفهمه حتى عمال المناجم الذين غمرهم فان جوخ بالرعاية الروحية والحماسة الدينية، فأحبّوه، ولكنهم لم يستطيعوا فهمْ سبب حماسه المفرط. وخلال انتشار وباء التايفوئيد، نجح في الشفاء من إحدى الحالات المرضية، وعند ازدياد تفشّي المرض، كان يقضي الليل والنهار في المناجم ليقوم بما يستطيع من مساعدة، وتخلّى حتى عن ملابسه القليلة البالية التي مزّقها، وصنع منها ضمادات، وخلال ذلك الشتاء نفسه وفي أقسى ظروفه المادية والنفسية، وجد فان جوخ المهنة

المناسبة له، وهي أن يصبح فنانًا (٦).

وبعد ذلك تابع تدريبه المكثَّف من عام ١٨٨٢م إلى عام ١٨٨٥م، تحت توجيه أساتذة الرسم الشماليين، ثم تأتي تجربته في باريس (١٨٨٦ - ١٨٨٧م)، ومصالحته لنفسه في عزلته في «آرل» عام ١٨٨٨م، ثم التجاؤه إلى المستشفى في «سانت - رمي» عام ١٨٨٩م، ومكوثه الأخير في «أوفير» عام ١٨٩٠م مع الدكتور غاشيه، وكان ڤان جوخ دائم الفحص لحياته التي قضاها في تعاسة عميقة دون أن يتلقى مساعدة من أحد سوى أخيه ثيو الذي بذل غاية جهده لمساعدته، وفي «آرل» وبعد جدال ساخن مع صديقه غوغان، الذي جاء للالتحاق به والسكن معه، هرب «غوغان» من أمامه وهو مرعوب من ثورة صديقه ذي الشخصية الأضعف والأعنف والأكثر حساسية والمعرَّضة إلى ثورات فجائية مخيفة، وبواسطة موسى الحلاقة قطع ڤان جوخ إحدى أُذنيه، ومن حيث الأساس كان هذا العنف الموجَّه دائمًا ضد نفسه هو الذي قوَّضَ صحبته، وحطَّمهُ كإنسان، وقاده إلى ارتكاب العمل العنيف ضد نفسه وهو الانتحار.

وتبقى رسائل ڤان جوخ شاهدًا دائمًا وقاطعًا على جميع لحظات حياته ابتداءً من عام ١٨٨٢م، وكان معظم تلك الرسائل موجَّهًا إلى أخيه ثيو الذي كان يساعده بلا كلل ولا ملل وبجميع الطرائق الممكنة، والذي لم يفقد الثقة به يومًا من الأيام، والذي لم يتحمل البقاء بعده حيًا فمات بعد أقل من ستة أشهر من موت أخيه بعد أن تدهور عقليًا وبدنيًا. وهناك أيضًا رسائل أخرى من ڤان جوخ إلى صديقه أميل برنارد وإلى ڤان رابارد، ولكنها لم تُنشر إلا في عام١٩٥٠م. وهناك رسائل قليلة موجهة منه إلى والدته وإلى أُخته ولهلمين. ومن رسائله، يستطيع المرء إدراك رقته المنقطعة النظير وعطفه العميق وقصر نفسه بصورة كاملة على مُثُلِه الأخلاقية والفنية (٧).

رسم ڤان جوخ صوراً رائعة لأشخاص



عصرُهُ وفنُّهُ

بخلاف معظم الفترات السابقة لم يَسُدْ في فنّ القرن التاسع عشر أسلوب واحد فقط. ففي بداية القرن كانت الرومانطيقية في ذروتها، وكانت لا تزال هناك أساليب من الكلاسيكية الجديدة و(الباروكيّة) و«الرُكوكيّة» وكان لتلك الأساليب مؤيّدون في الوقت الذي أصبح فيه معظم الفنانين رومانطيقيين، وركّزوا في الخيال والطبيعة والمغامرات. واعتمدت الأعمالُ العاطفية التي أنتجها الرومانطيقيون على الألوان بدرجة متزايدة بالقياس إلى الحركات الفنية السابقة.

وعندما أصبحت الرومانطيقية هي الأسلوب

الفني المقبول، نشأت حركة جديدة هي «الواقعية»، وقد اعتمد الفنانون العاملون وفق هذا الأسلوب على خبراتهم الفعلية، ولم يكن أحدهم يرسم أيَّ شيء ما لم يكن قد رآه رؤية مباشرة أو اختبره فعلاً، ولذلك اختفت صور الملائكة من رسومها.

وتركَ الواقعيون - الذين كان يقودهم غوستاف كوربيه - أثرًا هائلاً - في عالم الفنّ. وبخلاف الأساليب التي سبقت، ومنها الرومانطيقية، لم يكن من المُسِرّ دائمًا النظر إلى الأعمال الفنية «الواقعية»؛ لأنها لم تكن تعبِّر عن خيالات محلّقة، وكانت خالية من المبالغة. ولم يكن أسلوب الكلاسيكية الجديدة، أو فخامة الأسلوب «الرُكوكي»، أو المغامرات في الرومانطيقية، لتنسجم مع المشاهد التي كان يرسمها «كوربيه» عن رجال يعملون على الطريق.

وفي عام ١٨٦٣م عندما كانت «الواقعية» تحظى بتأييد متزايد، قدَّمَ إدوارد مانيه لوحته المعنونة «غداء على الحشيش»، وهي اللوحة «الانطباعية» الأولى التي أثارت استغراب كوربيه والفنانين الواقعيين الآخرين، ومع ذلك، فإنَّ مانيه والانطباعيين قد أحدثوا انقلابًا في عالم الفن.

وكان كلود مونيه هو السبب في تسمية الحركة الجديدة دون قصْد منه إذ إن أحد نقّاد الفنّ الناقمين سمّى الحركة الجديدة بالحركة «الانطباعية» بعد رؤيته لوْحة «مونيه» المعنونة: «انطباع: شروق الشمس»، وتلك السخرية التي جوبهت بها «الانطباعية» ناتجة جزئيًا من عنوان تلك اللوحة والفلسفة التي تنطوي عليها، ففي ذلك الزمن، لا يُفترض في الفنّ أن يكون مجرَّد انطباع، بل المفروض فيه أن يحكي حكاية أو يعكس معنى من المعاني أو ينطوي على عنصر أخلاقي أو أن يصوِّر حدثًا معينًا، وباختصار، كان المنتظر من الفن أن يكون له هدف أرفع من ذلك، ولكن الانطباعيين ارتؤوا أن الواقع

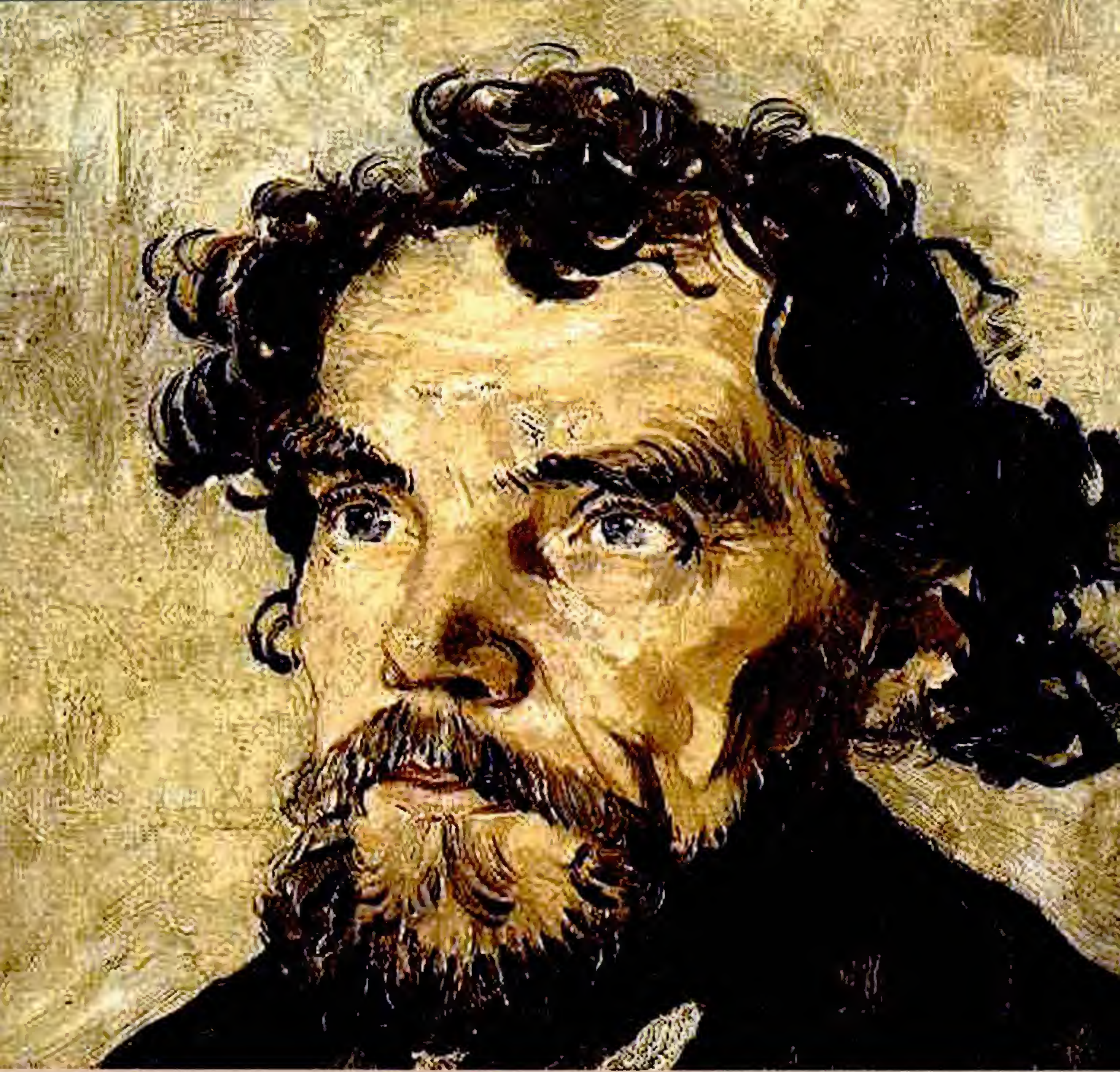
خلال عمله الفني الذي دام عشر سنوات فقط أنتج ڤان جوخ أكثر من ثمانمئة لوحة فنية، وما لا يقل عن هذا العدد من المخططات، خلال السنوات الأربع الأخيرة من حياته

المرئي له كلّ الأهمية، وهكذا أكثر الانطباعيون من رسمهم مشاهد الطبيعة بدلاً من قيامهم بتصوير حالات دينية أو تاريخية أو أخلاقية.

وركّز الانطباعيون، ضمن اهتمامهم بالواقع المرئي، في اللون والضوء. ومن الأمثلة الجيدة على تأثير الانطباعية هي لوحة ڤان جوخ المعنونة «حديقة الزهور» ولوحته الأخرى المعنونة «امرأة في مقهى تامبورين». وكان الانطباعيون يفضلون عادةً، عند رسمهم الظلال، تعميق اللون الأصلي بدلاً من استخدام الألوان البُنّيّة والسوداء التقليدية، وهذا التأكيد للون والضوء، وحذف الكثير من التفاصيل، وتقليل استخدام الخطوط، نتج منه صور مسطحة بعض الشيء.

وأوضح سِمَة في الانطباعية هي ضربة الفرشاة القصيرة، ومثلما نلاحظ ذلك في لوحة ڤان جوخ المعنونة «صورة ذاتية بقبعة لبّادية رماديّة»، ويعود

من المهمّ أن نتذكر أن ڤان جوخ كان من حيث الأساس فنانًا علَّمَ نفسه بنفسه وكان يسعى أيضًا طوال حياته الفنية إلى الحصول على نصيحة الفنانين الآخرين الأكثر تجربة منه



بورتريه

تبنّي التقنيّة إلى سببين: الأول هو أنّ هذه التقنيّة تمنح الشيء المرسوم خاصية الوميض والترقيط، وبما يماثل التأثير الطبيعي للضوء المتسلط على شيء، والسبب الثاني هو أنَّ لهذه التقنية ميزة السماح بإنهاء اللوحة بسرعة كافية، وقبل أن يتغير الضوء، فيتغير بذلك الواقع المرئي.

ولم تعقب الانطباعية حركة جديدة واحدة فقط وإنما وجدَ المؤرِّخون للفن أنهم مضطرون إلى استعمال عبارة غامضة هي «ما بعد الانطباعية» في وصفهم مجموعة مختلفة من الأساليب التي أعقبت

الانطباعية، وقد اشترك «ما بعد الانطباعيين» في اثنين فقط من الخصائص هما، أولاً: «الاهتمام المستمر باستخدامات وتأثيرات اللون والضوء، وثانيًا محاولة إعطائهم الأشكال والهياكل صلابة في فنهم.

وممّا يساعدنا على فهم أسلوب ڤان جوخ أن نتذكر أنه كان قد قضى المرحلة الأولى من عمله الفني في الريف الهولندي، وقد استخدم من الأعمال التي أنتجها في تلك الفترة ألوانًا دكناء، وبما يتماشى مع الأسلوب التقليدي في الفن الهولندي. والشيء الذي لم يكن اعتياديًا فيه هو اختياره الموضوعات ومعالجته لها.

وكان «ڤان جوخ» على دراية بأسلوب «دولاكروا» في استخدامه الألوان، وقد تأثر بذلك وكان رسمُهُ اللوحة المعنونة: «بييتا Pieta» شكلاً من أشكال الإجلال للفنان «دولاكروا». وكان ڤان جوخ مولعًا أيضًا بطريقة تعامل روبنز مع الألوان، ولكن بعد وصوله إلى باريس في عام ١٨٨٦م أخذ يشعر بالقوة الكاملة للمدرسة الانطباعية، وتعرَّف إلى أسلوب استخدامها الألوان، ومن المعتقد أن بيساور قد ساعده على فهم الانطباعية وبالطريقة نفسها التي ساعد فيها سيزان في ذلك.

وعلى الرغم من أنَّ ڤان جوخ كان انطباعيًا في وقت من الأوقات، لكنّه تجاوز الأسلوب الانطباعي كثيرًا، وبينما حاول سيزان تحقيق الثبات في فنّه، تحرَّكَ ڤان جوخ في الاتجاه المعاكس مستخدمًا فنه للتعبير عن أحاسيسه ومنطلقًا من رؤية أن الانطباعية تقيِّد أهدافه جدًا.

وبينما كان سيزان يحتاج أحيانًا إلى سنين لإنهاء لوحة واحدة، كان ڤان جوخ ينتج لوحات بسرعة خارقة. وخلال عمله الفني الذي دام عشر سنوات فقط أنتج ڤان جوخ أكثر من ثمانمئة لوحة فنية، وما لا يقل عن هذا العدد من المخططات، ومعظم هذا

فان جوخ طبَّق مفهومًا جديدًا في فنّ رسم صُور الأشخاص يقوم على أساس القيمة التعبيرية والرمزية للألوان النقية

الإنتاج كان قد حققه خلال السنوات الأربع الأخيرة من حياته. وبسبب استعجاله، كان كثيرًا ما يستخدم الزيت على القماش من الأنبوبة بصورة مباشرة.

وفي حين أن سيزان يُعدّ جدّ «التكعيبيين» يعدّ «ڤان جوخ» جَدّ «التعبيريين» (٨).

ومن الأشياء الطريفة المرتبطة بشخصية ڤان جوخ هو أنه عندما كان يعمل في مكتب شركة «غوبيل» في باريس كان يبدي للزبائن آراءه الخاصة بشأن الجوانب الفنية المتعلقة بالمعروضات بحيث أصبحت الشركة تخسر الكثير في مبيعاتها، وأخيرًا وعلى الرغم من تأثير عمِّه، طُرد ڤان جوخ من الشركة. ثم قادته رغبته في رؤية أُورسولا من جديد إلى تقديم طلب للحصول على عمل مدرس في مدرسة ذات قسم داخلي في لندن، وأعقب هذا العمل عملٌ آخر كان ڤان جوخ يدرِّس فيه موضوعات دينية، وعندما فقد عمله الثاني،

بواسطة موسى الحلاقة قطع ڤان جوخ إحدى أُذنيه. ومن حيث الأساس كان هذا العنف الموجَّه دائمًا ضد نفسه هو الذي قوَّضَ صحبته، وحطَّمهُ كإنسان. وقاده إلى ارتكاب العمل العنيف ضد نفسه وهو الانتحار



تمثال حصان

اضطر إلى العودة إلى بلاده وعائلته (٩).

ومن المهمّ أن نتذكر أن ڤان جوخ كان من حيث الأساس فنانًا علَّمَ نفسه بنفسه وكان يسعى أيضًا طوال حياته الفنية إلى الحصول على نصيحة الفنانين الآخرين الأكثر تجربة منه غير أنّ شخصيته لم تكن تسمح للفنانين الآخرين بتحمُّله مدة طويلة كتلميذ لهم، ولم يكن هو يستطيع تحمُّلهم مدةً طويلة. وعلى الرغم من اهتمامه بأعمال الفنانين الآخرين، وعلى الرغم من تعلُّمه منهم، فقد كان أسلوبه وتقنيته خاصين به حقًا (١٠).

ويتحدَّث جي. تي. مولر وفرانك ألغر في كتابهما «مئة عام من الرسم الحديث» عن فنّ ڤان جوخ فيذكران أنه في المرحلة الأولى من حياته الفنية كانت في شخوصه مهابة وفظاظة في الوقت ذاته، وألوانه كانت عمومًا دكناء ومُوحلة، وأسلوبه كان خشنًا وجريئًا. ومهما بلغت قيمة الأعمال التي رسمها بتلك الطريقة في تلك المرحلة، فإنها لم تكن لتحقق له سمعة تتجاوز حدود بلاده، لكنْ عند قدومه إلى باريس في عام ١٨٨٦م تحققت له المكانة اللائقة به في تاريخ الفن الحديث، وأضحى المنار الذي استرشد بهديه الفنانون الوحشيون والتعبيريون في مطلع القرن العشرين.

وبفضل اتصالاته بالفنانين بيسارو، وغوغان، وسنياك، تخلص فنُّه من ثقله وميوعته الريفية، فأشرقت



ألوانه، وخفَّت لمساته، وأصبح «تجزيئيًا» أو «تنقيطيًا» ورسم مناظر من باريس وأزهارًا وحياة صامتة وصورًا لأشخاص تثير العجب بهدوئها وبهجة تناغماتها واسترخاء تخطيطها. وما لبثت ضربات فرشاته أن اتسعت، وألوانه صارت أكثر حدَّة، وتخطيطه أصبح أكثر تماسكًا. وبسبب ولعه المتزايد بالشمس - وهو القادم من الشمال - فقد سَكَبَ في صُوره أقصى ما استطاع من رؤية مشرقة بالألوان لجنوب فرنسا وتفوق بذلك على سيزان الذي كان مواطنًا من «بروڤانس» ذاتها (في جنوب فرنسا)، وتألقت الألوان الخالصة أيضًا في الصور التي رسمها لأشخاص، وفي أزهاره، وحاول أن يمنحها قيمة رمزية، فرسَمَ لوحته «المقهى الليلي» ساعيًا إلى أن يعبِّر بالأحمر والأخضر عن اللّوعات المروّعة للكائنات البشرية (١١).

وكان ڤان جوخ يعمل دون كلل أو ملل في وهج الشمس، وفي غُمرة الريح المقبلة من البحر المتوسط، وكان أحيانًا ينصب مسند الرسم ليلاً، ويشرع في العمل وسط الحقول، ولم يكن يقنع بتسجيل ما تقع عليه عيناه، بلْ كان يعمد إلى الإفصاح عن أحاسيسه كلّها، وارتعاشات قلبه، واستلهامات عقله.

ومن أجل أن يكثِّف تعبيره، كان يبالغ في تأكيد ما كان يراه ضروريًا، ويغضّ الطرف عمّا كان في نظره تافهًا وعديم الأهمية.

ولم تفارقُهُ شفافيتُه في الرؤية حتى في نوبات مرضه الذي دهمه أول مرة في ديسمبر/ كانون الأول عام ١٨٨٨م بعد خصامه المعروف مع غوغان. وكان قادرًا بين نوبة وأخرى على تقويم وضعه وفنّه برؤية واضحة على الرغم من أنه لم يعد يمتلك ذلك التلوين الفرح الذي تميَّزَ به في الفترة التي أمضاها في «أرل»، وأصبح تخطيطه معذَّبًا ومضطربًا، وظهر بمظهر اللاهث، ومع أنَّ أعماله، في تلك الفترة،



عبَّرت عن قلق حزين، ومعاناة لا شفاء منها، فإنها لم تكن قط نتاج يد هاذية أو غير متزنة.

هل كان هناك اختلاف في الصور التي رسمها في «أوفير - سور - وَاز» في الشهريْن الأخيرين من حياته عن صوره السابقة؟ هو يبدو في بعضها وكأنَّ يده قد فقدت شيئًا من ثقتها مع أن قوته الخلّاقة لم يطرأ عليها وهن، وقد بَدَت سيطرته جليّة واضحة في «صورة الدكتور غاشيه»، وما الذي يمكن أنْ يكون أشد تعبيرًا من تلك المشاهد الطبيعية بسماواتها المتوعِّدة وهي تهتز قلقًا وانفعالاً حين لا تسوطُها ريح عاتية؟

صحيح أن أسلوبه صار الآن خاطفًا، لكنّه ظلَّ ممتلئًا بالنشاط، وبقي متحكمًا فيه، وبقيت رسومه ذات تكوين متماسك على الرغم من اليأس الحالك الذي قاده شيئًا فشيئًا إلى الانتحار (١٢).

وفي عام ١٨٨٧م اندفع ڤان جوخ في مشاركة غامضة مع ألوان العالم المرئي وقد دفعته نوازعُه العنيفة إلى تبنّي قواعد قاسية في التقنية. ولذلك في أثناء الشهور القليلة الحرجة التي أمضاها في باريس وجدَ أنَّ أساليب الفنان سورا أكثر ملاءمة له في التجريبية المشتتة التي تنطوي عليها الانطباعية.

وعقد ڤان جوخ صداقة حميمة مع سنياك الذي كان يصطحبُه للعمل معًا في الأرياف، والنقل عن الطبيعة مباشرة حتى أصبح ڤان جوخ معروفًا في الأماكن المجاورة لمنطقة «غراندجات» حيث كان سورا يمارس عمله. وانضم ڤان جوخ أيضًا إلى الفنان أَميل برنار في «أسنيير» حيث كان يمتلك محترفًا، ورسم التويلري والجسور وضفاف نهر السين في أثناء زياراته للفنان غويومان الذي كان يشغل آنذاك ستوديو الرسام «دوبيني» القديم في «إيل سانت - لويس». وكانت معالجة ڤان جوخ، في لوحته «صيد السمك في الربيع» وفي لوحاته الكثيرة عن باريس، كانت معالجة «تجزيئية» في الأغلب، مع أنه استطاع أن يمزج هذه التقنيّة بديناميّة، الفضاء وتشخيص الأشكال تشخيصًا معبِّرًا.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك لوحته «المطعم» الذي لوِّنت جدرانه تلوينًا دقيقًا بنقاط حمراء وخضراء وزرقاء وبرتقالية وخُفِّفت بمساحات بيضاء واسعة من الشراشف التي تغطّي المناضد الخالية، وقد أضاف في نظامه التنقيطي الدقيق للفضاء، نظرة عاطفية مؤثرة للأُمّ في لوحته «امرأة إلى جوار المهد» التي نلمس فيها تعبيرًا إنسانيًا. ولكن سرعان ما نبذَ ڤان جوخ تلك التجزيئية، ولو أنَّ فرشاته لم تفقد يومًا تماسكها المذهل وقوتها المؤثرة، وبقي إلى آخر حياته ملتزمًا قاعدة الألوان المتكاملة (١٣).



رجل وامرأة يعملان

المراجع

١. جان ليماري، كتاب «ڤان جوخ»، منشورات مؤسسة «ألبرت سكيرا». جنيف، عام ١٩٦٦م، ص٤.

٢. لاراڤنكا ماسيني، كتاب «ڤان جوخ»، الناشرون شركة «غروسيت/ دنلاب»، نيويورك، عام ١٩٧٨م، ص٥.

٣. جان ليماري، المصدر السابق نفسه، ص٣.

٤. المصدر السابق نفسه، ص ٣، ٤.

٥. لاراڤنكا ماسيني، المصدر السابق نفسه، ص٣.

٦. المصدر نفسه، ص٤.

٧. المصدر نفسه، ص ٤، ٥.

٨. إليزابيث إلياس كوفمان، كتاب «ڤان جوخ»، الناشرون شركة «أُوتنهايمر»، الولايات المتحدة، عام ١٩٨٠م، ص ٥ ، ٦.

٩. المصدر نفسه، ص٧.

١٠. المصدر نفسه، ص٨.

١١. جي. تي. مولر/ فرانك ألغر، كتاب «مئة عام من الرسم الحديث»، ترجمة فخري خليل، ومراجعة جبرا إبراهيم جبرا، منشورات «دار المأمون للترجمة والنشر»، بغداد، ١٩٨٨م، الصفحات٤٤، ٤٥، ٤٦.

١٢. المصدر نفسه، الصفحات ٤٤، ٤٥، ٤٦.

١٣. جان ليماري، كتاب «الانطباعية»، ترجمة فخري خليل، ومراجعة جبرا إبراهيم جبرا، منشورات «دار المأمون للترجمة والنشر»، بغداد ١٩٨٧م، ص ١٨١.

عـاطفة الخنسـاء بين الحـقـ



...يقة والادعـــاء

محجوب محمد آدم

الرياض ـ السعودية

تثيرني شخصية الخنساء كثيراً؛ فما قرأت لها شعراً، أو قرأت عنها شيئاً، إلا سألت عن مدى صدقها في رثائها لأخيها خاصة، ورثائها عامة. لماذا أشعر أنها تفتعل أحزانها، وتتكلف بكاءها! لماذا لا أكاد أتبين عاطفتها نحو من ترثيهم! وأشك أن يكون موقفي هذا نتيجة انطباع عابر: فقد دفعني ما حيرني في أمرها، واعتراني حيال رثائها، إلى قراءة شعرها، وما كتب عنها، والتفكير فيما أقرأ..

كانت الخنساء ذات جمال، ففتنت رجلاً مثل دريد بن الصمة (١)، الذي وصفه أبوها بقوله: إنك للكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يرد عن حاجته، والفحل لا يقرع أنفه (٢). ولكنه لم يكن كذلك في نظر ابنته الجميلة، فرفضته لما جاء يطلب الزواج بها. وشفع لغرورها في رفضها له أنها كانت صغيرة السن، وكانت جميلة، تحلم، كما هو شأن الفتيات في مثل سنها حينئذٍ، بفتى الأحلام. وفتاها كما قالت متمنية: أن يكون من بني عمها، وطويلاً مثل عوالي الرماح (٣).

الأثيرة المحبوبة

وكانت الخنساء البنت الوحيدة للأسرة، وأصغر من أخويها معاوية شقيقها، وصخر أخيها من أبيها؛ ولعلها لذلك كله كانت أثيرة في أسرتها، محبوبة؛ بل مدللة، لا يرفض لها أحد طلباً، يقول عنها والدها: إن لها في نفسها ما ليس لغيرها (٤). ولهذا رأى - خلافاً لما هو متوقع في البيئة البدوية - أن يستأذنها في الزواج لدريد، فلما رفضت الزواج بهذا السيد الكريم في جرأة وصراحة، لم يغضب الوالد، ولم يرد في سيرتها أنه أنبها أو أراد حملها على الزواج قسراً، لكنه بدلاً من ذلك اقتنع بموقفها، وحقها في قبول من ترى زوجاً لها أو رفضه؛ وتخلص من الخاطب بلباقة، قال: يا أبا قرة، قد امتنعت، ولعلها أن تجيب فيما بعد (٥). وجاء في رواية أخرى أن دريداً خطبها من شقيقها معاوية لما بينهما من صداقة وإخاء، فقال له قولاً لا يكاد يختلف عن قول أبيه، قال له: إن مثل الخنساء لا يقتات عليها، وأنا طالب ذلك إليها (٦).

ألأنها جميلة أعطيت حرية الاختيار! أم لعلها كانت ناضجة بادية العقل! أم تراها كانت متعجرفة لجمالها معتدة بنفسها؟ إنك لن تجد في كل ما كتب عنها قديماً تفسيراً لرد الأب أو رد الأخ الشقيق. وقد تكتفي معي بالقول ظناً: إن طغيان شخصيتها، لما ذكرنا من الأسباب كان وراء تصرفاتها الاجتماعية، وتعبيرها الفني في الرثاء.

الحزن العنيف

ولا شك أنه قد أثارك مثلي أنها ظلت تبكي أخاها صخراً ثلاثين عاماً دون توقف، منذ موته في الجاهلية حتى وفاتها سنة ٢٤هـ، ذكر ثعلب في شرح الديوان (ص: ٢١٨) أن بني عمها جاؤوا بها إلى عمر (رضي الله عنه)، وهي حينئذٍ تدبُّ من الكبر على

العصا، وقد قرحت مآقيها من البكاء، واشتكوا أمرها إليه. ولك أن تسأل إن كان ثمة حزن يبقى بهذا العنف، وهذه الحدة التي تجدها في رثائها، وبكائها دون كلل أو ملل ثلاثة عقود تامة. قد يحزن المرء لفقد عزيز في أول المصيبة بضعة أيام أو أسابيع، ولا شك أن الحزن يبدو قوياً في أول الأمر، ثم تخبو حدته، ويخفت لهيب الحزن قليلاً قليلاً، وقد يتلاشى تماماً بعد حين، وقد تجتاحه الذكرى آناً بعد آن في غير ما عنف أو ضجة، فلا يكاد المرء يبدي حزنه بالقدر الذي كان يبديه من قبل. أما الخنساء فإنها لا تكتفي في تعبيرها عن حزنها العميق بقصائد الرثاء ترسلها تباعاً في سمع الدنيا، وأفواه الرواة وما يسطرون.

لقد ذكر الرواة أمراً شديد الغرابة عن أسلوبها في إعلان حزنها؛ قيل إنها كانت تشهد الموسم بعكاظ، وكانت سوقاً تجتمع فيه العرب، وتسوم هودجها براية، وتقول: أنا أعظم العرب مصيبة، وتبكي والدها وأخويها في شعرها حتى عرفت العرب ذلك منها (٧)، أي: إنها اشتهرت بهذا الأسلوب الغريب في إعلان المصيبة. وقيل إن هند بنت عتبة عرفت بخبرها وأرادت أن تقلدها، وفعلت فعلها، ونظمت شعراً في أبيها عتبة بن ربيعة، وعمها شيبة، وأخيها الوليد، الذين قتلوا يوم بدر (٨).

إن تصرف الخنساء في التعبير عن حزنها، والمبالغة في البكاء كان معروفاً قبل الإسلام، قال النابغة الذبياني عنها: إن أخت بني سليم لبكّاءة (٩). يبدو أنه قال هذه العبارة بعدما سمع رثاءها في خيمته بعكاظ؛ كأنه يتهمها بالمبالغة في البكاء، أم لعله يتهمها بالتصنع في البكاء!.

ولك ألا تكترث بعد كل هذا بغرابة حزنها الطويل، بل لك أن ترى في ذلك دليلاً على تعلقها الشديد بصخر خاصة، وصدق عاطفتها نحوه.

الذين أرخوا لعلاقتها به. قالوا: إن صخراً كان كنحو مما ذكرت الخنساء في بأسه وشجاعته وفروسيته وسخائه (١٠)، وقالوا: إنه كان «حليماً، جواداً، محبوباً في العشيرة»، حكت الخنساء بنفسها قصة شهامة صخر معها، قالت: زوجني أبي رجلاً مبذراً فأذهب ماله، فأتيت إلى صخر؛ فقسم ماله شطرين، فأعطاني شطراً خياراً، ثم فعل زوجي ذلك مرة أخرى، فقسم أخي ماله شطرين، فأعطاني خيرهما» (١١). لا شك أنه كان يحبها ويشفق عليها، فهي أخته الوحيدة، والصغرى.

أما عاطفتها نحو صخر، فيفسرها موقفها مما كان يعانيه بعد أن طعن في جنبه لما غزا بني أسد: فمرض من تلك الطعنة عامًا كاملاً أو أكثر. قال أبو عبيدة: فلما طال عليه البلاء، وقد نتأت قطعة مثل اللِّبد من جنبه في موضع الطعنة فتدلت واسترخت، قالوا له لو قطعتها لرجونا أن تبرأ، فقال: شأنكم... الموت أهون عليَّ مما أنا فيه.. ووصفت امرأته سلمى ما بلغه زوجها من المعاناة حين قالت متضجرة: لا هو حي فيرجى، ولا هو ميت فينعى؛ قد لقينا منه الأمرين (١٢).

ولا شك أن الخنساء كانت تعرف ما يعانيه أخوها

ألأنها جميلة أعطيت حرية الاختيار! أم لعلها كانت ناضجة بادية العقل! أم تراها كانت متعجرفة لجمالها معتدة بنفسها؟ قد تكتفي معي بالقول ظناً: إن طغيان شخصيتها، كان وراء تصرفاتها الاجتماعية، وتعبيرها الفني في الرثاء

المحبوب من ألم عنيف، وتسمع ما يصدر عنه من أنين مفزع. ومع ذلك كله لم تعبر عن حالة أخيها في شعرها، ولم تترجم عن عاطفة شاعرة نحو أخيها وهي تراه يتعذب أمامها ليل نهار. إنها بدلاً من ترجمة مشاعرها في هذا الموقف الإنساني، كانت تسأل عن جانب آخر لا أظنه يخطر على بال شخص طبيعي العاطفة: قيل إنها كانت تسأل زائري أخيها في محنته عن مقدار جَلَده واحتماله للألم، تسألهم وصخر يسمعها: كيف وجدتم صبره؟!

فيرد عليها الرجل رغم ما يعانيه:

فإن تسأليني هل صبرت، فإنني

صبور على ريب الزمان صليب (١٣).

وما قاله مكابرة وعناد، فإن الآلام كانت تفضحه، وهو القائل: الموت أهون عليَّ مما أنا فيه! أم تراه قصد تطمينها على حاله بدافع شفقته عليها؟ أم تراه تعجب - كما نفعل - من صيغة سؤالها! واستنكر عليها اهتمامها الغريب!

استجداء الدمع

جانب آخر يلفت النظر إلى عاطفتها نحو أخيها، ذلك أنها لا تصف حزناً في شعرها؛ بل تؤكد في كثير من قصائدها أنها لا تجد في عينيها دمعاً تبكي به؛ فتلح في طلب الدموع، وتحث عينيها على البكاء. اسمعها وهي تقول:

أعيني جودا ولا تجمدا

ألا تبكيان لصخر الندى

أعيني هلا تبكيان على صخر

بدمع حثيث لا بكيءٍ ولا نزر

ألا يا عين فانهمري بغزر

وفيضي عبرة من غير نزر

يا عين جودي بدمع منك مغزار

وابكي لصخر بدمع منك مدرار

يا عين جودي بالدموع الهمول

وابكي لصخر بالدموع الهجول

يا عين جودي بدمع منك مهراق

إذا هدا الناس أو هموا بإطراق

يا عين جودي بالدموع المستهلات السوافح

يا عين جودي بدمع منك مسكوب

ولو كانت حزينة كما تدعي لاندفعت الدموع من مآقيها مدرارًا، ولهذا كانت تستنكر حينًا أن عينيها لا تسعفانها بالدموع، أليس هذا واضحًا في قولها؟

لا تخذليني حين جدَّ البُكا

فليس ذا يا عين حين الخذول

يا عين مالك لا تبكين تسكابا

إذ راب دهر وكان الدهر ريابا

يبدو أنها كانت تحس فتوراً في عاطفتها نحوه، فتحفزها إلى البكاء، وتدعو عينيها إلى الاستمرار في الدموع الغزيرة، خصوصًا أنها لم تنظم كل قصائدها بعد موته مباشرة، بل لعلها نظمت بعضها بعد عدة سنوات من موت أخيها. وهذا ما يؤكد أنها لم تكن تستشعر بعد كل تلك السنوات إحساساً

لا شك أنه قد أثارك مثلي أنها ظلت تبكي أخاها صخراً ثلاثين عاماً دون توقف، منذ موته في الجاهلية حتى وفاتها سنة ٢٤هـ ولك أن تسأل إن كان ثمة حزن يبقى بهذا العنف. وهذه الحدة التي تجدها في رثائها، وبكائها دون كلل أو ملل ثلاثة عقود تامة



حقيقياً يدعوها إلى البكاء، بقدر حاجتها إلى الاستمرار في إظهار الحزن، وإن لم تكن حزينة بالفعل لحظة نظمها لكثير من قصائدها، بل لعلك واجد في صياغتها الأسلوبية تأكيداً لهذا الفتور في العاطفة، من نحو حرصها الشديد على التأنق اللفظي فيما عمدت إليه من التصريع في المطالع، كما مرَّ بك، وما حرصت عليه من الموسيقى الداخلية في التقسيم، على نحو قولها:

طلاع مرقبةٍ، مناع مغلقةٍ
وراَّد مشربةٍ، قطاع أقران
شهاد أندية، حمال ألوية
قطاع أودية، سرحان قيعان
جواب قاصية، جزار ناصية
عقاد ألوية، للخيل جرار
حمال ألوية، هباط أودية
شهاد أندية، للجيش جرار
خطاب مفصلة، فراج مظلمة
إن هاب مفظعةً أتى لها بابًا
حمال ألوية، شهاد أنجية
قطاع أودية للوتر طلابا



الشاطئ: «إن الخنساء قد ازدهاها إعجاب القوم بمراثيها، واستمرأت طعم التغني بأشجانها؛ فراحت تنكأ جراحها عامدة، وتجهد قريحتها لتسعفها بجديد من المراثي في صخر بعد أن بعُد العهد وتراخى الزمن؛ فألجأها هذا إلى تكرار ألفاظها ومعانيها» (١٤).

ولك أن تقارن شعرها في رثاء صخر، والمبالغة في إظهار حزنها، بموقفها لما سمعت أن أبناءها الأربعة قد استشهدوا جميعاً في يوم واحد. لقد كانت دفعتهم دفعاً إلى الجهاد. قالوا: إنها حضرت معركة القادسية سنة ١٦ هـ، ومعها بنوها أربعة رجال فأوصتهم من أول الليل، قالت: «يا بني أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية.... فإذا أصبحتم غداً فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى مساقها؛ فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة». فلما أصبحوا باشروا القتال واحداً بعد واحد حتى استشهدوا جميعاً(١٥).

فلما بلغها خبر استشهادهم، قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. ولا تجد في ديوانها أو في سيرتها ما يفيد أنها رثتهم، أو بكت لفراقهم، أو عبرت عن أساها لفقدهم بدمعة واحدة. وترى الدكتورة بنت الشاطئ أن موقف الخنساء من بنيها شاذ منكر، مصدره انحراف في طبيعتها جعل عاطفة الأخوة فيها تطغى على عاطفة الأمومة التي هي جوهر الأنوثة،

استمرار

ولعلك تعجب مثلي أنها تنتقل بعد مطلع القصيدة في غالب رثائها إلى مدح الفقيد وذكر صفاته بلا فاصل، دون أن تعرِّج كثيراً إلى بيان لوعتها بفقده، وذكر ما تعانيه من الأسى والحزن بعده. فإذا عنَّ لك أن تحصر معاني الرثاء في شعرها هالك منها هذا التكرار للمعاني والألفاظ في كل أجزاء القصيدة، بل إن بعض مطالعها لا يكاد يختلف عن مطالع أخرى إلا بلفظ أو أكثر، ولعلها كانت تراعي القافية وأحكام الوزن في هذا الاختلاف اليسير. وتقول الدكتورة بنت



والعنصر الأصيل في مقومات الفطرة لحواء (١٦).

ولك أن تأخذ بتعليل محمد جابر الحيني فيما لزمته الخنساء من صمت في بكاء بنيها، فعنده أن الخنساء كانت تنظر إلى المال الذي يؤدى إليها من بيت المال على أنه دية أولادها، على ما جرى في العرف الجاهلي من سقوط الثأر بقبول الدية، وأنها بهذا فقدت عامل الإثارة لرثائهم. (١٧) ولا يشغلنك كثيراً أن الخنساء ظلت تبكي معاوية حتى بعد أن

أخذ صخر بثأره فقتل قاتل أخيه.

قد تفترض أن عاطفتها الدينية غلبت على عاطفة الأمومة عندها فمنعتها من أن تبكي أبناءها الأربعة أو تحزن لفقدهم، فيدفعك ذلك إلى التأكد من صدق عاطفتها الدينية من واقع سيرتها؛ خصوصًا أنها عاشت أكثر من ستة عشر عاماً بعد إسلامها مع قومها في السنة الثامنة للهجرة. غير أن الذين كتبوا عنها، وأرخوا لها قالوا إنها لم تتجاوب مع تعاليم الدين تجاوباً يؤكد عاطفتها الدينية، بل لم يكن للدين تأثير حقيقي فيها وفي شعرها، ذكروا أنها استمرت تمارس سلوكاً جاهلياً في حدادها، فحرمت نفسها من التزين تماماً، وأنها كما يقول ثعلب شارح ديوانها: لم تدع ما كانت عليه من تسلُّبها (أي لبس الثوب الأسود الخشن)، وأنها أتت عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) وعليها صِدار أسود من شعر، وهي حليق الرأس، (١٨) وقيل إن الخليفة عمر بن الخطاب رآها وهي تطوف بالبيت محلوقة الرأس، وتلطم خدها، وقد علقت نصل صخر في خمارها؛ فوعظها، فقالت: إني رزئت فارساً لم يرزأ أحد مثله. فقال: إن في الناس من هو أعظم مرزأة منك، وإنه لا يحل لك لطم وجهك، ولا كشف رأسك (١٩).

ولك بعد كل هذا ألاّ توافقنا في إحساسنا بضعف عاطفة الخنساء، وأن تأخذ بما ذكره أحد الباحثين عن رثائها؛ فعنده أن رثاءها من أصدق ما وصل إلينا من الشعر العربي في نوعه، وأخلصه عاطفة في التعبير عن الحزن العميق. وحجته أن الشاعرة بما هي أنثى لا تصغي إلا لنبضات قلبها الجريح، ولا ترى إلا ما واراه من صفات وأخلاق كانت لا تزال نصب عينيها مثال الكمال البشري، فهي تذكرها وتعددها كما تخرج من خلال عواطفها المتألمة دون تكلف، بل دون ترتيب (٢٠).



المراجع والهوامش

١. دريد بن الصمة: سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم، قتل يوم حنين على الشرك.
٢. محمد أبو موسى: قراءة في الأدب القديم، ص: ٩٦.
٣. الأغاني ١٥/٧٣، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٧/٦١٤
٤. محمد أبو موسى: قراءة في الأدب القديم، ص: ٩٦.
٥. محمد حمود: الخنساء شاعرة الرثاء، ص: ١٣٠ .
٦. شرح الديوان لثعلب، ص: ٢٢٠ .
٧، ٨. الأغاني ٤/٢١٠ .
٩. الأغاني ٤/١٧١ .
١٠. شرح الديوان لثعلب: ٢١٦ .
١١. الإصابة ٤/٢٨٩، وانظر شرح الديوان ٢١٩ .
١٢، ١٣. الأغاني١٥/ ٧٦ .
١٤. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن: الخنساء ١٢١.
١٥. الإصابة ٤/٢٨٨، والنص في جمهرة خطب العرب ١/٢٣١.
١٦. بنت الشاطئ: الخنساء ٤٢
١٧. الحيني، محمد جابر عبد العال: الخنساء شاعرة بني سليم ص: ٩٠ وما بعدها.
١٨. شرح الديوان لثعلب ٢١٨.
١٩. محمد حمود: الخنساء شاعرة الرثاء، ص: ٢٤.
٢٠. محمد حمود: الخنساء شاعرة الرثاء، ص: ٥٨.





تائه!

سعد البواردي
الرياض ـ السعودية

بحثتُ عنكِ يا حبيبتي
تصوري!!
حيٌّ بلا مكان. أو زمانْ
بحثتُ عني! لم أجدْ
سوى ظِلال خطَّها الحرْمانْ
في لوحة مجهولة بلا عنوانْ
بحثتُ عني! يا حبيبتي
مذ أقلعتْ بكِ السفن
وأَوْدَعَتْكِ رِيْحَهَا..
وأَوْدَعَت لِيَ الحَزَنْ
فما وجدتُ أنني
أعيش في زمنْ
حتى إليكِ يا حبيبتي
أمضي..
وما بعد الكفنْ
لأنك الوطنْ
وهل حبيب في الورى مثل الوطنْ؟!



روابي الاغتراب الراقص

يحيى بن صديق حكمي
جازان ـ السعودية

أسَفَحَ النَّوَى.. بَعَّدْتَ عنّي المَهَا الأحْوى
وأنْأَيْتَ عن وهج الأماني رُؤى المأوَى
تأسفتَ.. لكنَّ الأهازيجَ لا تَفي
عشيقًا إذا غنَّى أهازيجُهُ تُطْوَى
ومَنْ غارَ في أعماقِهِ البُعْدُ تَمَّحي
أحاسيسُهُ والهجْرُ يَغْدُو لَهُ مَثْوَى
أطلّتَ انْصِهاري والحنايا كُؤُوسُها
أمانيُّ حُبٍّ راقِصَاتُ الهَوَى نَشْوَى!
ولم أنتبهْ إلا وبُستانُ مُهجَتي
مُلَظّى، ورَوْضُ الوَعْدِ تَمْضَغُهُ البَلْوَى
ولَمْ يَكُ جسمي نائيًا، كيف لَوْ نَأى
مَعَ الرُّوحِ، لازدادَتْ كَوَاهِلُهُ شَجْوا
وذي الروحُ ما إن تَنْتَحي عَنْ جُنُودِهَا
بَدَتْ في زوايا صَمْتِ عُزلتِها تُكْوَى
حبيبةُ قلبي الزهْرُ أفْوَافُكِ التي
تُرَنِّحُني، والزَّهْوُ مَهْيَعُكِ الأضْوَى
سَلَبْتِ جَوى الألحاظِ مُذْ أنْ تفتحتْ
عيوني، ولحْظِي في مآقيكِ لا يَقْوَى
يُسافرُ قلبي فيك.. والقَلْبُ - مُنيَتي -
لهُ غايةٌ، لكنَّ غايَتَهُ قُصْوَى
وإن تُلفِهِ الأكْدَارُ في سفْرِهِ الذي
تَعَنّى فإنَّ الكدْرَ يُعقُبُهُ صَفْوا
تُصنِّفُني الأشياءُ.. لا شيءَ يحتوي
فؤادي سوى ذِكْراك في نَفْسِي يُرْوَى
حللْتِ.. فحَلَّ الحُبُّ في القلب والهَوَى
لَكِ انصَاعَ لا «لَيْلى» تَحُلُّ ولا «أرْوَى»
فلا تَطْرُقي لَوْمي فبَرحَائي التي
لأَتْ أضْلُعِي ألْقَتْ على مَنْظَرِي العَدْوَى
ولسْتُ أنا في الحُبِّ شاكٍ وإنما
دُرُوب الهُيَامَى ماثلاتٌ على الشكوى!
حبيبةَ قلبي في كَياني مِنَ الهوى
كَيَانٌ.. يُحيلُ الحُزْنَ نَهْرًا من السَّلْوَى
وفي أعمق الأعماقِ سِرٌّ لَوَ انَّهُ
تَبدّى لألفَيتِ الصَّبابةَ في النَّجْوَى
لأنْتِ.. ضميري.. في ضميري مَوَاجِدٌ
من الطَّيفِ.. في أطيافك العقلُ مُسْتَهْوَى!
إذا الأوْرَقُ المَحْزونُ يستلهم المَدَى
بألحانه يَشدو لعاشِقِهِ شَدْوَا
فإن لحُوني - يا عيوني - مَواجِدٌ
من الدمع تزهو في رُبا مَدْمَعِي زَهْوَا
وتلْكَ أناشيدي.. أزاهيرُ من دَمي
إذا افتقدتْ مَاءَ الهَوَى العَذْبَ لَن تُرْوَى!



حانوت العم إدوار

طارق حسان
الدمام - السعودية

- تخرج إلى السوق..؟

كان الطقس معتدلاً والطريق مزدحمة بالعابرين، لا مجال لأن تحط على جبهتي النسمات، كما حدث أمس، حين قادني الهواء الطري والحكايات المسحورة عن بنات الحي إلى أماكن غير مألوفة، غيبتنا فيها الأحاديث إلى ما بعد شروق الشمس. تحدث الرفاق عن فتياتهم، سردوا قصصًا لم أصدقها، آثرت السكوت والإذعان إلى نور الصباح، وتأملت انتشار الضوء من حولي بانتشاء. قررت ألاّ أستجيب لإلحاحهم.. كيف أتحدث عنها وعلاقتي بها لم تتعد تخوم الابتسامات والنظرات الخائفة، ولم تتعد حدود الدهشة؟

- اخرج

انتعلت حذاء خفيفًا وسرت معها، ثمة دفء بهيج يذيب الروح ويجعلها أكثر ألفة وتألقًا. كان كائنًا ودودًا يتحرك بين الناس، لا يقول شيئًا، لكن محبته تسري بين الكلمات، وتبدو في العيون.. تحرر النفوس من تباريحها وتجعل الأحاديث ألوفة ورائعة.

في ذلك المساء، كانت الوجوه كثيرة ومتشابهة والأحاديث تمر بسرعة وهي تتعلق بألسنة أصحابها، عدا ضحكة عالية ذكرتني بجارنا الذي فقد ابنه في مياه الإسكندرية. كان المارون يتندرون على ضحكته حتى غيب البحر الولد، وأخذ مع الولد الضحكة، لم يعد يراه أحد بعد أن كانت ضحكته تهز الشارع. وتخرج القهقهات من أفواه الركاب في حافلات النقل العام التي كان يعمل محصلاً فيها.

كاد الزحام يستر الأشياء المتراصة على الجانبين.. المحال، والأضواء الملونة المنبعثة من عدة أركان، بيد أن فراغًا ضئيلاً يظهر من حين إلى آخر كان يتيح رؤية الأشياء.. أقراط وخواتم تلمع في خزانة ذات غطاء زجاجي، بائعو الخضار المتناثرون. لم يعد أثر لبائعي العرق سوس والتمر هندي والخروب.

الأماكن تبدل شاغلوها في النهار بآخرين جلسوا خلف قطع السجاد الصغيرة والأكواب الفارغة والشاب. تلكأت في سيري وأنا أنظر إلى المحال والمعروضات، أفكر بالمكان الثابت الوحيد في هذا الزخم المتبدل والرجل الذي لا يبرح مكانه، كم وددت أن أكون مثله، أحمل في يدي أداة مليئة بالثقوب، أسربل نصفي الأسفل بالخيش، وأقف خلف البناء المستدير، أرش السائل فوق المعدن الملتهب وأرقب الخطوط البيض حتى تنضج ثم ألمها ساخنة.

- بص قدامك

جذبتني من يدي ونبهتني للنظر إلى الطريق، وافقت أول الأمر ثم ما لبثت أن وجدتني أختلس النظرات نحو الحوانيت بجانبي، تأخذني حركات النساء بإشارات أياديهن وهن يساومن الباعة، وتأخذني تعليقاتهن الموحية، جاءت عيني على العم سيد، تذكرت ما قاله: إن غربته هدنة مع الحياة، وإن عودته إلى البلدة مسألة وقت، أطلت النظر إليه، كان يمد أعواد القصب إلى الماكينة الكبيرة ويسحبها ببطء من الناحية الأخرى، يكرر ذلك فتجف الأعواد بعد أن يأخذ ماءها. قال خالي: إن الغربة ستهون مع الصبر، ثم التفت إلي وأنا أتناول فخارية الماء من الدائرة الحديدية المعلقة بالشرفة وسألني إن كنت أريد شيئًا.

انحرفت جهة اليمين إلى شارع «القلايلي»، ومررت بجانب

سينما «الشرابية» واصلت السير حتى رأيته من بعيد يرشرش آخر الماء أمام الباب، ويرتب أشياء فوق طاولة قديمة. حينما اقتربت رأيت أكياس نشادر، رائحة الكعك، أصابع خميرة، أدوات النقش، وزجاجات صغيرة جدًا قالت: إنها «فانيلا».

حانوت العم إدوار صغير إلى حد ما وذو أرضية متدثرة بطبقة شفافة من الطحين. اتجه إلى الصندوق الخشبي الكبير، رفع الغطاء إلى أعلى، مدّ ذراعه كله داخله ونقل الطحين بعلبة بلاستيكية إلى الكيس القماش.

- ميزانه حلال

قالت للمرأة التي تقف بجوارها، وفي البيت أعدت العجين وجلسنا حول الطبلية، أخت تدير الماكينة وأخرى تقطع البسكويت التي وضعته أمامها، تتاوله برفق إلى الصينية المستطيلة في صفوف تحيطها الفراغات. أشارك أخي في الثرثرة والضحك بصوت مرتفع على مواقف سابقة أو على طرائف ننسجها بخفة روحنا. تستاء وتطالبنا بأن نكف أو ننصرف إلى مكان آخر.

أتمثل صوت المهندس ناجح القادم من الصعيد وهو يعقب على كل جملة يسمعها من أبي بحرف «ألف» مفتوح، وبعد عدة جمل ينطق الحرف ذاته وهو يطيل مده فتبدو بقايا أسنانه المتكسرة بألوانها الغريبة من فيه المفتوح، تزداد ضحكاتنا حين نتندر على أفعال ابن العمة وعلى جسارته في مماطلة العم صالح في ثمن المخدرات. «القصد».. قال أخي وهو يغلظ صوته تمامًا مثلما قالها ابن العمة للعم صالح لكي يقتصد في حديثه أو يتوقف عن سرد خلافه مع أخيه. قالها وهو يرفع يده كمن يقسم بخدمة الوطن.

- اسكت

نبهتني مرة أخرى فحبست ضحكتي، وجلست بعيدًا، أخذني الخاطر إلى العام الماضي حين ابتاعت «طبلية» جديدة، وكيف كادت أختي تفقد أصابعها. دهنت الصواني بزيت بذرة القطن، وحملت أختي قطعة من العجين إلى الفوهة التي تشبه وجه البوق، ضغطت عليها بيدها، كنت أول الجالسين لإدارة اليد ذات المقبض الخشبي، مدت يدها لتزج العجين العالق بالفوهة، تصورت أن يدها بأعلى المفرمة فتابعت العمل بينما كانت تغوص قرب عمود الحديد الحلزوني، وحين لامس أناملها سحبت يدها بسرعة.

تراجعت أختي عن المواصلة فتابعت العمل حتى غلبني النوم، وجلس أخي الذي بدأ نشيطًا ثم وهنت يداه بسرعة. في الليل سمعت صراخ الخالة أم سيد.. لابد أن سوءًا قد وقع، قالت أختي. صعدت الدرج المتكسر، كانت الخالة تحترق حزنًا ويمتزج بكاؤها بالكلام.

- العصارة أكلت أصابعه.. قالتها وهي تبكي قبل أن تخبئ إبهامها إلى الداخل، وتهز الكف المتدلي هزات متتالية، وكلما هزت يدها زاد بكاؤها. كانت أمي تجلس بجانبها، تخفف عنها بكلمات طيبة، وتستشهد بآيات قرآنية على قبول البلاء والرضا بقدر الله مهما كان، دخلت أختي وفي يدها كوب عصير الليمون التي أمرتها أمي أن تصنعه للخالة.

كان الصباح ينسج خيوطه الأولى، والنوافذ من حولي مظلمة، سكن الشارع إلا من صوته، كان يتحدث عن عدم استجابته للمخدر، وعن الطبيب الذي انشغل بمداعبة الممرضة، كان ينقل عينيه بين وجهها الشاحب وإصبعه المهروس، لم ينتبه إلى أن الخيط الطبي يلامس الجرح.

دلف الباب فتركت الشرفة الباردة، وبادرت أخبرها. قامت وضمته إليها، سرت رهبة داخلي، وشعرت بارتجافة في أطرافي حين سكنت أذني كلمات رقيقة، ولاحظت صدمة البتر على وجهها.

بعد أن برز الصبح ورمت الشمس أشعتها خرجت.. كل الحوانيت موصدة والنساء غائبات، كان الشارع هادئًا، فارغًا من الباعة ومن المارة إلا من صوت رجل يضحك بجنون، كان يسير وحيدًا، اقتربت، تابعت صوته حتى بوغت بصاحبه، كان جارنا الذي فقد ابنه في مياه الإسكندرية.

عازف الناي

فواز البطين

درعا - سورية

لا تلحوّا كثيرًا، ليس بوسعي غير هذا، راعوا ظرفي.

ألا يعجبكم ذلك، هناك يموت وأنا أعزف هنا.

انطلقت الأصوات محتجة:

ما بك ... ؟، أتيت تعزف لوجه الله، انهي ليلتك وخذ أجرك.

حميد .. هيا يا حميد، لا تشغلنا بدلالك، أسمعنا عزفك الذي يطرب الحجارة.

يا رجل ... (حرك حالك) .... لا تحرجني مع ضيوفي.

أنغام حميد التعس لجمت الأصوات ونظّمت الدبكة دائرية، رجال في المقدمة يجهد الأول ليظهر من براعته ما استطاع، ونساء في المؤخرة عند النشوة تعلو زغاريدهن لتصبّ في أذني حميد كالزيت المغلي.

ألا يعجبكم هذا، أصابعي تلاعب النّاي كما تشتهون، رجالكم في الحلقة مثل الديوك المنفوخة، أما هو فيخنقه السعال هناك.

رغم شرود عقله لم تكن ألحانه لتخرج عن رتمها، حاول التشبّث بالواقع، أرسل تحيّاته بحركة من حاجبيه، تقّل خطواته على أنغام مزماره، تمايل مع الرجال.

رغم ذلك، عقله في نوبات من الشرود.

مخيّلته تستحضر يوم قدومه إلى القرية.

هل تقبلوني بينكم، غريب دفن زوجته وفرّ بولده المريض.

تزاحمت النخوة على أفواههم:

الضيف ضيف الله، القرية قريتك والأهل أهلك، لك الصدر ولنا العتبة، ومن الآن أنت واحد منّا.

سرّني ردكم، ورؤية النّاي بخاصرتي أبهجتكم، حيث استطالت آذانكم وسرت قشعريرة الطرب في أبدانكم وصحتم:

أتعزف يا حميد ..؟

اسمعنا ياحميد فنحن أهل فرح وطرب، هيا اسمعنا وأغثنا ببعض ألحانك

لم يخيّب آمالكم، أطلق للنّاي عنانه ومن (جفرا هي يربع) بدأ العزف ...

من عرس إلى طهور، ومن طهور إلى عرس، وما إن تنتهي الحفلة حتى تتكور الألحان نقودًا في جيبه.

تعالت الأصوات من جديد

لقد تعبت يا حميد ارتح قليلاً ... الله يعطيك العافية

أحضروا الشاي ... ولا تنسوا علبة الدخان.

تسلم أناملك ياحميد. ثم أفرغ المسدس من طلقاته تحيّة لحميد، وفوق رأسه أطلقت أم العريس زغرودة صاعقة تحيّة له أعادته من شروده.

آه ... ولدي ... كم مضى من الوقت وأنا هنا ... ؟ تبخر في غمرة الاستراحة.



يشهد الطريق في تلك الليل بأنّه أسرع عدوًا من الغزال وتحلف الحصى الصغيرة بعدم شعورها بقدمه تصعد وتهبط فوقها.

تشجّع يا ولدي... حتى الصباح فقط، بقيت جولة واحدة وتكون النقود في جيبي.

عاد الصبيّ إلى نوبة من السعال الجاف يمزق حلقه ويحرق قلب والده.

عرف أنه لن يصحو منها قبل ساعة.

لماذا هذا يا ربي .... ساعده ليصمد حتى الصباح.

شوارع القرية ركضها، صدره يستجرّ هواء العالم.

ما الذي يشفيك، أعرف أن النقود تشفيك، لكن أين هي، قاتلها الله لماذ تتمنع عني.

كم من عرس حتى أجمع ثمن العمليّة، وكم من خنجر سيدخل قلبي بالإضافة إلى نوبات الألم ليطرب أهل الفرح

في الأزمة السابقة، حاصره السعال، دفعته نوباته إلى طرق الأبواب، ظلمة الليل سترته عندما قرع أبواب المضافات الساهرة :

ولدي يموت، حفنة من النقود تنقذه ....

أتوسّل إليكم ... أين كرمكم .... أين نخوتكم

ألم تقولوا ..... القرية قريتك ..... الأهل أهلك .....

لتكن دينًا، سأعزف لكم العمر كله دون مقابل ......، أنا رهن أفراحكم .....

أتذكرون ردكم، قُلبت دلال القهوة على صياح كبيركم: تريد دينًا وماذا ستردّه، أكيد ستردّه ٠جفرا ويازريف الطول)

تندرتم بقصّتي ليلكم الطويل وعند الفرح رهنتم شواربكم لخدمة قدمي ....

حميد أين أنت ... تعالت الأصوات ثانية:

أين ذهب ابن الحلال ...؟

أتعزم عليه حتى يعزف .....

ألم ينته من كأس الشاي؟

اختلط الحابل بالنابل كلّ يبحث عن حميد

صاح الصغير هناك:

أبشر يا أبي .... ذاك حميد قادم من العتمة، اصفعه ليعزف.

أين تختفي يا رجل ...؟ أهكذا سنعمل ...؟ هيا ... هيا حتى لا يبرد الرجال ...

عادت الألحان تراقص الحجارة وعاد عقله إلى الشرود والديوك استماتت في نفش ريشها يطربها زغاريد النساء المتمايلات.

وحده حميد سمع نباح الكلب، تذكر هذا النباح الطويل المتواصل

توقفت أصابعه عن الحركة، جفّ النفس في حلقه.

عادت الأصوات تتداخل في بعضها

ماذا يا حميد ... هل انتهت بطاريتك ...؟

حرام فيه الأجر ... ماذا تنتظر؟ ... اكسر الناي على رأسه.

لم ينتظر لسماع المزيد، انسل من الحلقة وما إن دخل في العتمة حتى أطلق ساقيه للريح.

راح يعدو بكل طاقته وصورة الكلب تتمايل أمامه رافعًا رأسه للأعلى في نباح متواصل.

يا ألله اطو الأرض تحت قدمي، ابني يغوص في سعال مميت، يحجب النفس من الوصول إلى قلبه.

ارتفع صراخه عاليًا حتى غطّى على نباح الكلب:

خذ قلبي ... خذ نفسي أيها السعال واتركه، اتركه وانزل في صدري، لقد تعبت من هذه الحياة، أخذت نصيبي منها، أما هو فما زال صغيرًا.

أرجوك يا والدي .... اصمد حتى الصباح ... فقط

ولدي، كل مرة تتجاوز الأزمة بشجاعة، تشجّع الآن وأعدك أن تكون آخر مرة، افرح يا ولدي، اكتمل ثمن العملية، تحولت الأعراس إلى نقود، النّاي يشهد كم قاسيت لجمعها.

لم يسمع سعاله خارج الغرفة، لهاثه فقط يطبق على صمت المكان، وعلى نباح الكلب المتواصل الآتي من العتمة البعيدة.

ولج إلى الداخل وداخل الفراش الصغير فتح عينيه وفمه واضعًا يديه على رقبته في استرخاء مخيف

حدق في وجهه ، وفي عينيه، في الزبد على جانبي فمه.

هل ارتحت يا ولدي ؟... أذهبت النوبة بسلام ...؟

انتظر ليسمع الإجابة، لكنها لم تأت

حرك رأسه بلطف، مال ولم يعد إلى ما كان عليه

ولدي ... ولدي ..... أجبني

أمسكه من كتفيه ....، أنهضه باتجاهه.

هل ذهب السعال إلى غير رجعة؟

لماذ لا تردّ .... هل ذهب السعال؟

أعاد الصبيّ إلى مكانه.

حدّق فيه جيّدًا، حاول أن يكون هادئًا، ودون أن يشعر انفلت الصوت خارجًا من قحف رأسه: ولدي ... لا تمت يا ولدي ...، لا تتركني وحيدًا ...، أعيش لأجلك ....

لا تعرف الألم الذي كان يعتصر قلبي وأنا أعزف لهم، كانت روحي تتمزّق مثل خيوط بالية، كلّه من أجلك .... نعم يا ولدي من أجلك،

بهذه السهولة تتركني .... لا تمت ... أرجو لا تمت، ماذا يبقى في هذه الدنيا إذا رحلت.

أطال المكوث أمامه. علّه يتحرك أو يفتح فمه مناديًا .... أبي....؟ يعرف أنه لن يتحرك ولن ينادي أبي.

نهض على قدميه، رفع يديه إلى السماء

يا الله ... ما ذنبي ...، أنا في العرس وابني يموت هنا، أنا أطربهم هناك ليقتل السعال ابني، لماذا لا أحد يشعر بحزني، لماذا ينمو فرحهم على سطح ألمي، ويقطفون سعادتهم من دوام شقائي.

أخرج النّاي من جانبه، قذفه باتجاه ركن الغرفة

ماذا أفعل لأحضر النقود، لم تعلّمني هذه الدنيا سوى العزف على هذه المصيبة، اللعنة عليك أيتها الحديدة، أقسم ألا أعود إليك مهما حييت

عاد يحدق في وجهه، لم يستطع حبس دموعه، بدأ نحيبه يعلو شيئًا فشيئًا، دفن رأسه في صدره ونحيبه يزداد حتى أجهش في بكاء مرير.

رفع رأسه ونحيبه يخرج غصاتٍ متقطعة، أراد أن يأخذه في حضنه لكنه وقف صامتًا لا يعرف ماذا يفعل، سار ببطء في أرجاء الغرفة وعيناه ما زالتا معلقتين بعينيه.

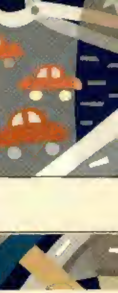
هناك في أقصى الركن، اصطدمت قدمه بالنّاي، نظر إليه ثم أشاح بوجهه متناسيًا إياه، لكنه أعاد النظر إليه، ودون أن يشعر، انحنى والتقطه من الأرض

هدأ نحيبه ثم تحول إلى شهقات متباعدة. تقدّم نحو ولده، جلس مواجهًا له تتدافع في داخله غيوم الحزن وتستعر لتكوّن بركانًا من الألم يكاد يثور من أنحاء جسده.

رفع النّاي ليستقر مستندًا على طرف شفته السفلى، عدّل مواضع أصابعه حتى طابقت ثقوبه، أطلق نفسًا طويلاً متقطعًا، استمرّ في تبديل أصابعه مع خروج النفس من الثقوب، أحس ببركان الحزن يتسرب من ثقوب الناي شيئًا فشيئًا،

تواصل انبعاث النفس إلى جوف النّاي ليخرج من ثقوبه لحنًا حزينًا يحمل بين طيّاته رؤى الموت ورهبة الحلم الذي حمل إليه طيف زوجته بثوبها الأبيض تفرد ذراعيها لولده الذي أخذ يركض بخطا واسعة وبطيئة، يقف حينًا لينظر إليه ثم يواصل سبيله، لتضمّه إلى حضنها وتستدير مبتعدة في ظلمة لا متناهية.

لم يشعر بالنّاي يعانق روحه الممزقة إلا حين أحسّ بدموعه الباردة تسقط على طرفي الناي ثم تسير متقاطرة لتهوى من الطرف الآخر نحو الأرض لحظتها أيقن أنه جزء من روحه بعد أن تركه ولده الوحيد في دنيا أنكرته وتركته يعارك مجتمعًا ظلومًا لا يعترف به إلا في حلقة الدبكة.



ظلال الكيمياء: الأساس الكيميائي للحياة على الأرض

صلاح عبدالعزيز ترك
المحلة الكبرى - مصر



ظلال الكيمياء: الأساس الكيميائي للحياة على الأرض
المؤلف: ديمتري ترايفونوف
ليونيد فلاسوف
دار النشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. الألف كتاب الثاني.
مقر دار النشر: القاهرة ـ مصر.
سنة النشر: ٢٠٠٠م
عدد الصفحات: ٣١٦ صفحة.

يبدو أن جانبًا كبيرًا من الحياة قد تمت صياغته بالمعادلات الكيميائية، ويعد هذا الكتاب الذي يعالج هذا الجانب من الحياة والصادر في طبعته الأولى عن الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة عام ٢٠٠٠م من الكتب العلمية الجديرة بالاطلاع عليها، ولقد بدأ الكتاب بتقديم اشتمل على ثلاث ورقات، بقلم الأستاذ جلال عبدالفتاح، ذكر فيه أن العلماء اكتشفوا حتى الآن أكثر من ٥٠٠ عملية مختلفة يقوم بها الكبد وحده، فضلاً عن باقي الأعضاء الأخرى. ثم جاءت المقدمة في خمس ورقات تناول فيها المؤلفان ديمتري ترايفونوف وليونيد فلاسوف ما تنطوي عليه مظاهر الحياة من عدد غير محدود من العمليات الكيميائية، وأنه بمرور الوقت تظهر اكتشافات كيميائية جديدة، وهو ما يجب أن يكون معروفًا للجمهور.

بدأ الكتاب بعنوان الفصل الأول: المقيمون في القصر العظيم، والمقصود به الجدول الدوري للعناصر الكيميائية، وأنه شفرة التصرفات التي تتبعها مئات العناصر الغريبة الموجودة على الأرض، أو التي أنتجها الإنسان صناعيًا. إنه مجموعة من النظم والقواعد السائدة في القصر العظيم الذي يضم العناصر الكيميائية. وأن لكل دورة من دورات هذا القصر (الجدول الدوري للعناصر) أو طوابقه، تصميمًا هندسيًا مختلفًا، فالطابق الأعلى (الأول) يمثل الدورة الأولى في جدول مندليف، يتكون من غرفتين أو صندوقين فقط. أما الطابقان الثاني والثالث فيضم كل منهما ثماني غرف، بينما نجد في الطابقين التاليين، وهما الرابع والخامس، ثماني عشرة غرفة في كل منهما، وكأنه أحد الفنادق. وفي اتجاهنا إلى أسفل نحو الطابق السادس، نجد أنه يتضمن غرفًا أكثر، وبالتحديد اثنتين وثلاثين غرفة. ولقد أوضح الفصل الأول عدة نقاط علمية حديثة، فهناك مثلاً خاصية أخرى لافتة للنظر عن ذرة الهيدروجين، حيث ينبعث منها إشعاع طول موجته ٢١سنتيمترًا، وهو ما

من المستحيل تقدير ولو على وجه التقريب، عدد التفاعلات الكيميائية التي تحدث في العالم، وليكن في غضون ثانية واحدة فقط

يطلق عليه الآن الثابت الكوني Universal Constant، لأنه طول موجي ثابت في أي مكان في الكون. ويراه العلماء حلاً لمشكلة تنظيم اتصالات الراديو مع مخلوقات محتملة في الكون خارج الأرض، عبر



من أهم مميزات الكيمياء الحديثة اتصالها بعدد من العلوم الطبيعية

موجات «هيدروجينية» فإذا كان هناك بالفعل مخلوقات على درجة من الذكاء في الكون، فلا بد أنها تدرك ماذا تعني ٢١سنتيمترًا، وعن الفوسفور «حجر الفلاسفة» أوضح الفصل الأول أنه ليس هناك عنصر آخر في الجدول الدوري له خصائص مهمة ومفيدة مثل الفوسفور، لأنه من دون الفوسفور، لن يوجد أي فكر، إذ إن أنسجة المخ تحتوي على الكثير من مركبات الفوسفور المعقدة، وأن الحياة مستحيلة من دونه، فعمليات التنفس لا تتم إلا في وجوده، وكذلك تخزين الطاقة في عضلات الجسم. وأن الفوسفور هو واحد من أكثر اللبنات أهمية لبناء أي كائن حي.

وتحدث الفصل عن الماء وأنه المكون الأساسي للحياة، وأنه من دون الماء لن نجد سوى فجوات غائرة موحشة في قيعان البحار والمحيطات، مغطاة بطبقة سميكة من الأملاح التي كانت مذابة في المياه، وأن جزيئات الماء شديدة الانجذاب بعضها لبعض عن طريق ما يسمى بالرابطة الهيدروجينية، وهذه الروابط الاتحادية بين جزيئات الماء، من الصعب جدًا تحطيمها، وهذا هو السبب في أن نقطة غليان الماء، ونقطة تجمده، تحدث عند درجة حرارة مئوية أعلى بكثير عما هو متوقع. ويستمر التحدث عن أكثر العناصر وجودًا على الأرض؟... فنجده الأكسجين Oxygen وأنه إذا تخيلنا أننا وضعنا كل موارد الأرض من الأكسجين في كفة ميزان وكل العناصر الأرضية في الكفة الأخرى، فسوف يعلن المؤشر عن اتزان تام تقريبًا.

فنصف أديم الأرض أكسجين، فهو في كل مكان: في الماء، في الهواء الجوي، في عدد هائل من الصخور، وفي جسم أي حيوان ونبات. ولقد تحدث الفصل الأول عما قدمه الكمبيوتر من نتائج حسابات تتعلق بعناصر الدورة الثامنة في الجدول الدوري للعناصر واعتبار العنصر رقم ١٦٤ هو الحد الأعلى

للدورة الثامنة وأن هناك قوانين أخرى غير معروفة حتى الآن وتكتنفها الأسرار، في هذه المساحة من عالم العناصر. وتحدث الفصل الثالث عن روح علم الكيمياء ومسار الحياة، وأنه من المستحيل تقدير ولو على وجه التقريب، عدد التفاعلات الكيميائية التي تحدث في العالم، وليكن في غضون ثانية واحدة فقط، فمثلاً حين ينطق شخص كلمة (ثانية Second) فإن تفاعلات كيميائية كثيرة قد حدثت لابد في مخه Bran، ونحن لا نرى أبدًا تلك التفاعلات، لكنّ هناك أيضًا عدد هائل من التفاعلات الكيميائية التي يمكن مشاهدتها يوميًا بتلقائية شديدة دون التوقف للتفكير فيها مثل اشتعال الكبريت (الثقاب) وتحول أعواده الخشبية إلى فحم نباتي، فهذا تفاعل كيميائي.

وتحدث الفصل الثاني عن عمود دلهي لماذا لم يصدأ..؟! وعلى الرغم من أنه مصنوع من الحديد منذ عدة قرون، إلا أنه لم يصدأ أبدًا. ويزعم بعض المتهورين، أنه ليس مصنوعًا بيد إنسان، وأن كائنات غريبة من العالم الآخر، قد شيدت هذه المسلة، لتحيي ذكرى وصولها إلى الأرض. ولكن ثبت أن السبب وراء عدم حدوث الصدأ في عمود دلهي راجع إلى أنه صُنع من معدن حديد عالي النقاوة ومصقول سطحه المعدني بدرجة عالية إذ إن السطوح المتعرجة قد تساعد على الصدأ.

وتحدث الفصل عن البلازما كحالة رابعة للمادة وأنها غاز ولكنها ليست غازًا عاديًا فهي تحتوي على أيونات وإلكترونات، بالإضافة إلى ذرات وجزيئات متعادلة، وأنه ظهر للوجود فرع جديد في الكيمياء، يسمى بكيمياء البلازما وعن طريق هذه البلازما، حاول العلماء إنتاج عمليات نووية حرارية Thermonuclear أي ليتم التحكم في التفاعل النووي الذي يحول الهيدروجين إلى هيليوم، والبلازما الباردة يمكن أن



اشتعال الكبريت من التفاعلات الكيميائية الملموسة

ليس هناك عنصر آخر في الجدول الدوري له خصائص مهمة ومفيدة مثل الفوسفور، لأنه من دون الفوسفور، لن يوجد أي فكر. إذ إن أنسجة المخ تحتوي على الكثير من مركبات الفوسفور المعقدة، وأن الحياة مستحيلة من دونه



قوانين كيميائية كثيرة يكتنفها الغموض

تحدث الفصل عن الماء وأنه المكون الأساسي للحياة، وأنه من دون الماء لن نجد سوى فجوات غائرة موحشة في قيعان البحار والمحيطات، وأن جزيئات الماء شديدة الانجذاب بعضها لبعض عن طريق ما يسمى بالرابطة الهيدروجينية

تقبل حرارة تفاعلاتها إلى ٩ آلاف درجة. أما الفصل الثالث فكان بعنوان روائع مقتنيات المتحف الكيميائي ومن أهمها في الوقت الحالي، ما يعرف بالمركبات الفلز عضوية Organometallic التي قد تزيد على ١٠ آلاف مركب، وهي مركبات لها درجة ثبات عالية، فهي ثابتة حراريًا حتى درجة ٥٠٠ مئوية، وهي مركبات مهمة فيما يتعلق بالاستعمال العملي التطبيقي لإنتاج الكثير من المواد الصناعية المتطورة في حياتنا. وتحدث الفصل الرابع عن وجود علاقة بين رائحة المادة وبين تركيبها الجزيئي، فمثلاً وجد أن رائحة الفراولة هي خليط معقد من ٦٩ نوعًا من الروائح الشديدة الاختلاف، ولقد تمكن الكيميائيون من فحص تلك الرائحة المعقدة للفراولة بطريقة التحليل الكروماتجرافي الغازي والسائل. أما الفصل الخامس فكان عن الانتشار الواسع للكيمياء في كل مجالات الحياة، إذ تم وصف كيفية صناعة الماس من الجرافيت الأسود (الفحم) تحت مئات الآلاف من الضغط الجوي، وآلاف من درجات الحرارة المئوية. أما الفصل السادس فتحدث عن الأوجه المتعددة لعلم الكيمياء الجديد وأنه هجين من علمين أو أكثر ويطلق عليه «التكامل»، وأن من أهم مميزات الكيمياء الحديثة أنها تتصل بعدد من العلوم الطبيعية، مبدئيًا بالأحياء والجيولوجيا، مما نتج عنه فرعان من العلم الطبيعي هما الكيمياء الحيوية Biochemistry وكيمياء الأرض Geochemistry وهما في تطور سريع الآن. والكتاب بما يحتويه من توصيف وتصنيف لمجالات الكيمياء الكثيرة وبطريقة جذابة حتى للقارئ غير المتخصص جدير بالقراءة، فقد استطاعت مترجمته جيهان عرفة المتخصصة في الثقافة العلمية أن تعبر بدقة عن المعلومات والمصطلحات العلمية التي لا يوفق البعض في الإحاطة بمدلولاتها العلمية الدقيقة.



معجم الأمثال العربية.. لماذا؟!

إسماعيل إسماعيل مروة
دمشق - سورية



معجم الأمثال العربية
خير الدين شمسي باشا
الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

الأمثال مادة من أغنى مواد اللغة، وأكثرها طرافة وتداولاً وشرفًا، وإن كان المثل قد تراجع عن مكانته فلأسباب كثيرة منها:

- اختلاط الرؤية للمثل بين العامي والفصيح.
- اعتماد مرددي الأمثال عادة على الأمثال الصريحة.
- نسبة الأمية العربية العالية التي أوهمت الكثيرين بأن الأمثال مادة العوام.

وكما جرت العادة في أغلب دراساتنا العربية الجادة. ألفّ العرب وصنفوا فيها، وضاعت تآليفهم عبر الأزمان الطويلة، وإن نشرت لم تأخذ حقها من الدراسة والعناية، إلى أن يأتي أحد الدارسين المستشرقين ليلفت الانتباه إلى أمر ما في هذه الدراسات..

وفي ميدان الأمثال وجدت عشرات الكتب في تراثنا التي صنفت في الأمثال خاصة، والكتب العربية النحوية والعامة تغصّ بمئات الأمثال، وذلك لأن:

- الكثير من الأمثال كانت شواهد نحوية.
- عددًا لا يستهان به من الأحاديث الشريفة جرت مجرى المثل.
- عددًا من الآيات القرآنية جرت مجرى المثل.
- الكثير من شعر العرب تحوّل إلى حكم.

وظهرت عدة كتب ودراسات عن الأمثال، وعاد الاهتمام بها إلى مركز الصدارة، وتجلت العناية بالتآليف المعجمية الكثيرة، التي أخذت مناهج مختلفة:

- جمع الأمثال مرتبة أبجديًا من الكتب القديمة.
- ترتيب الكتب القديمة معجميًا حسب أوائل الحروف.
- جمع الأمثال وقصصها كما جاءت في المصادر.
- تصنيف المعجمات التي تعنى بجانب موضوعي واحد من الأمثال..

ولكن لا بد من الاعتراف بأن العناية بالأمثال لاتزال دون المستوى، خاصة إن أخذنا في حسباننا وجود عدد

كبير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأبيات الشعرية فيها، ولم نجد لدى الناشرين والباحثين - على السواء - الجرأة الكافية لاقتحام ميدان الأمثال الرحب، خشية النقد أولاً، وخوف المغامرة غير المأمونة؛ لأن القرّاء قد يكتفون بما بين أيديهم من كتب في الأمثال.

معجم الأمثال العربية:

وعدنا منذ سنوات طويلة بصدور معجم الأمثال العربية للأستاذ المصنف خير الدين شمسي باشا، وقد طال الانتظار حتى صدر المعجم في العام السابق.

صدر المعجم بحلّة أنيقة، وتبويب سهل مميز عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وكان هذا الكتاب جديرًا بالانتظار تصنيفًا وإخراجًا، ولا يعرف قيمة هذا المعجم إلا من عانى العودة إلى كتب الأمثال بحثًا عن مثل أو قصة.

فعلى الرغم من الطبعات الكثيرة لكتب الأمثال، إلا أنها لم تخدم الخدمة التي تستحقها، فعلى سبيل المثال من أراد العودة إلى كتاب «مجمع الأمثال» وجد عنتًا وصعوبة؛ لأن الميداني لم يلتزم في تصنيفه الهجائية بشكل كامل، مما تسبب في خلط الأمثال في الحرف الواحد، ومع أن من عمل في هذا الكتاب من العلماء الأجلاء.........؟، إلا أنهم حافظوا على قداسة الترتيب الداخلي!!.

ومن أراد أن يبحث عن قصة مثل قابلته صعوبات لا تقل عن صعوبات البحث عن المثل، وليس من مبالغة القول: إن التأليف في الأمثال لم يكن على مستوى الأمثال. ولم تبذل العناية التي تستحقها الأمثال على أنها مورد مهم من موارد ثقافتنا اللغوية والأدبية والتاريخية.

وهناك مجموعة من المشكلات التي تواجه الباحث في كتب الأمثال:

- عوملت الأمثال معاملة الأشعار في المولد والدخيل، وبذلك فقدنا في كتب الأمثال الكثير من الأمثال التي حملت صبغة المولدين، وإن كانت بلفظ عربي! حتى الميداني قام بالفصل الحاد بين أمثال المولدين، والأمثال التي قرأها في الكتب العربية.

- غياب نسبة الأمثال إلى قائليها قلل من أهمية المثل، فصار المثل يأتي في تضاعيف كتب الأدب، وفي أثناء كلام المؤلفين، لذلك نجد الكثير من الأمثال تغيب عن فهارس الكتاب، لأن المحقق لم يتنبه إلى أن هذه الكلمة جزء من مثل أورده المؤلف القديم.

- غلبت على طائفة من الأمثال الألفاظ الصريحة والفاحشة، وكذلك كان شرحها مما أبعدها عن المصنفات التي تميز مصنفوها بالورع والابتعاد عن الفحش.

- اختلطت طائفة من الأمثال الدارجة بين الاستخدام العامي والاستخدام الفصيح، مما حدا بالمصنفين إلى إبعادها من قائمة الأمثال الفصيحة.

- الكثير من الأمثال القديمة قيلت من منظور قبلي، وهذا جعل المصنفين يبتعدون عنها تحرجًا من إثارة النفوس والكوامن تجاه أمور ولّى زمنها، ولا حاجة إلى إيقاظها من جديد.

- بعض الأمثال مغرقة بالمحلية والإقليمية مما يجعلها صعبة الفهم لو دونت في كتاب.

لهذه الأسباب وغيرها كان التصنيف في مجال الأمثال لا يجاري التصنيف في الأنواع الأخرى من الأدب الذي يستشهد به في النحو العربي وفي الدراسات المختلفة الأهداف والميول.

الأستاذ خير الدين شمسي باشا مصنف من الطراز المختلف، ومن يتابع كتبه التي صدرت له يجد أنه مصنف بامتياز، يحمل سمة التصنيف ويعتز بها، وأخلص حياته الطويلة للتصنيف وحده. وقد أصدر من

الكتب التي صنفها عددًا لا يستهان به من المجلدات، التي تدل على صبر وأناة ونَفَس طويل طويل قادر على الإبحار في أمات الكتب العربية لاستخلاص الموضوع الذي يريده وتبويبه وإخراجه، دون أن يكترث بأن عمله هذا لإحياء ذكرى الآخرين وأقوالهم وأشعارهم ومعانيهم.

وبهذه الصفات استطاع الأستاذ الجليل أن يقترب من مواصفات المصنفين العرب الأوائل، الذين تمتعوا بروح الإنصاف، وبالقدرة الفائقة على تتبع الأمور والغوص فيها حتى يصل إلى بغيته التي عمل من أجلها.

بعد سنوات طويلة من العمل وصل الكتاب إلى أيدٍ أمينة رأت صدوره ضرورة، فعملت على إصداره بشكل يليق بالمثل وبالجهد، وما كان لهذا الكتاب أن يصدر لولا أن قيَّض الله له مؤسسة مؤمنة به، وقادرة على إنجازه بالصورة المثلى.. وفي مقدمته يشير الأستاذ شمسي باشا إلى أن الكتاب كان أكبر من هذا الحجم، وأنه كان قد أضاف آلاف الأبيات الشعرية، لكنها لم تلحق بالكتاب حتى لا ترهقه، وحسنًا فعلت اللجنة في تجنيب الكتاب التطويل؛ لأن الكثير من الشعر الذي جرى مجرى المثل كان شرحًا لمثل، واقتباسًا من مثل أو ما يشبه المثل، ويمكن أن يفرد كتاب مستقل للشعر الذي جرى مجرى المثل، وبذلك لا ترهق الأمثال، ويأخذ شعر المثل أو الحكمة حقه من الدراسة والشرح والتفصيل.

كما ذكر في المقدمة أن اللجنة رأت استبعاد الأمثال الفاحشة، ومع أن هذا الأمر مثار خلاف بين الباحثين، إلا أن الرأي الذي رأته اللجنة معلل ومسوّغ، فما الحكمة من أن أسرد قصة غرّر فيها أحدهم ببائعة للسمن قبل خمسة عشر قرنًا؟! إضافة إلى أن إنساننا العربي اليوم بحاجة إلى أن يتخلص من الفحش الذي يحيط به من كل جهاته، ولن يضير المعجم الاستغناء عن طائفة من الأمثال التي تنحو منحى الإباحية

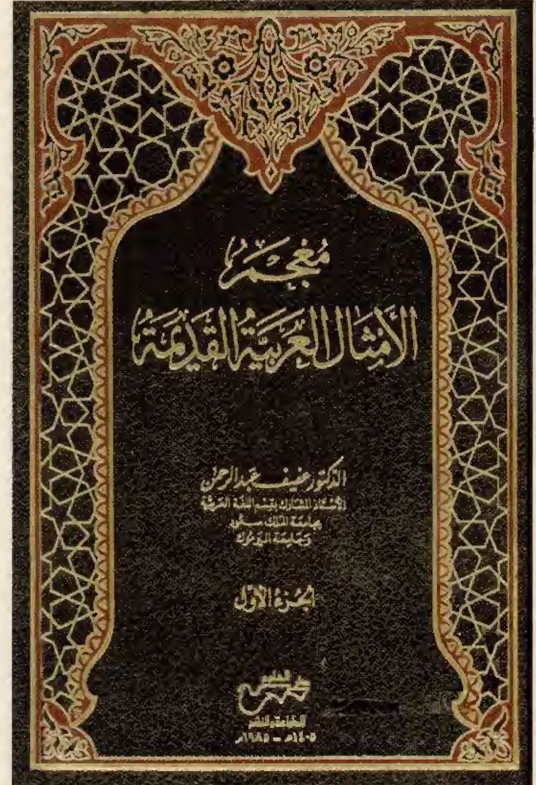


والفحش، حتى وإن تضمنت معاني جليلة، ويمكن أن نصل إلى هذه المعاني الجليلة بطرائق أخرى.

والكتاب بمجلداته الثلاثة يأسر قارئه ابتداء من التصنيف وانتهاءً بالإخراج النهائي، وليس من المفيد أن نقف عند الأمثال لنعرضها من جديد، وأكتفي هنا بالحديث عن أمور تتمثل في الآتي:

- **المقدمة:**

استوقفتني المقدمة؛ لأن المصنف لم يرد منها أن تكون تقديمًا عاديًا، وإنما أرادها مكانًا لتدوين رأيه ورؤيته في المثل ورحلته، وقد قسم المقدمة إلى عناوين فرعية ميزت باللون الأسود، لكن هذه المقدمة على جلالة ما فيها جاءت مختصرة، وكان الأجدى بالمصنف الذي عايش الأمثال أن يفصّل أكثر في هذه المقدمة



(الدراسة الموجزة) لتكون معيناً حقيقيًا للدارس، ومما يستحق التفصيل قصة الميداني والزمخشري، وحسد الزمخشري للميداني على كتاب مجمع الأمثال، وهو صاحب المستقصى، وما جاء به الأستاذ لا يروي الغليل إلا إذا بيّن صفات المستقصى وصفات مجمع الأمثال ليظهر للقارئ الكريم الدافع الحقيقي وراء هذا الحسد.

وفي هذه المقدمة عرض المصنف لتعدد طبعات كتب الأمثال، وهي بين يديه، ولم يبين للقارئ الخلافات بين هذه الطبعات، والمزيف منها من الأصيل، ولا أجد أقدر منه على فعل ذلك.

وذكر كتب الأمثال دون أن يفصل في مزية حملها هذا الكتاب عن ذاك، فما الخلاف بين مجمع الأمثال وتمثال الأمثال؟ ولماذا نجد في هذا الكتاب أمثالاً لا نجدها في آخر كان تابعًا للمؤلف الأول؟

لماذا جاء الميداني على ذكر أمثال المولدين ولم يفعل ذلك غيره مثلاً؟

لماذا ذكرت قصص الأمثال العربية وأهملت قصص أمثال المولدين؟

وأسئلة أخرى كثيرة لا يستطيع الإجابة عنها سوى رجل عاش مع الأمثال وكتبها سنوات طويلة، ولا ندري أكان الأستاذ قد كتب هذه الأشياء أم حذفت للتخفيف!

وإن كان المصنف الفاضل قد أهملها، لكونها معروفة، فهي معروفة عنده وعند قلة من الباحثين، لكنها غير معروفة عند جمهرة القراء، وهم المقصود من نشر الكتاب.

أما في رحلة المثال فقد بذل الأستاذ غاية الجهد في تقديم الرحلات الطويلة في عبارات موجزة وقادرة على توصيل المعلومة، وهذا الجهد مشكور، وإن كان القارئ يجد بعض الأمور للمناقشة:

أ. الزم المصنف نفسه ما لا يلزم في التفريق بين المثل والحكمة، وبالعودة إلى المقدمة نجد أن التفريق مع كل ما بذله الأستاذ الفاضل غير ممكن بهذه الحدية، فالمثل غير معروف القائل، والحكمة معروفة القائل، فكيف نعامل المثل المعروف القائل؟ وكيف نعامل الحكمة المجهولة القائل؟

والأمر يزداد صعوبة لو أدخل الشعر في كتابة، فكم من شعر مجهول القائل وهو ينحو منحى المثل أو الحكمة! لا داعي إلى هذا التفريق الحاد، لأن الأمثال لم تعش إلا لحكمة احتوتها، والمثل له قصة سواء أوصلتنا أم لم تصلنا، والحكمة لها قصة عرفناها أم لم نعرفها..

ب ـ توسيع الطاقة على المثل يجعله أقدر على استيعاب ما جاء في القرآن الكريم، وكان مثلاً يحتذى ويستفاد منه، وينسج على معناه من الشعراء والناثرين

على السواء، ولو عدنا إلى المصنفات القديمة وجدنا آلاف الأبيات الشعرية التي اقتبست المعاني القرآنية وما فيها من كنوز الحكمة.

وكذلك يجعلها أقدر على استيعاب الأحاديث الشريفة، خاصة ما عرف بجوامع الكلم، وإن حددنا المعنى الدقيق كما أراده بعض المصنفين القدامى وتبناه الأستاذ شمسي باشا كان الأولى أن يقسم الكتاب إلى قسمين: الأول الحكم، والثاني الأمثال.

جـ. يحمد للباحث المصنف ذكره لأغلب الأمثال عن العرب والمولدين دون أن يفصل بينها فصلاً حادًا.

د. يحمد له أيضًا. وما يحمد كثير. بحثه عن القصة الحقيقية للوصول إلى الغاية من المثل.

- منهج الكتاب:

وضع الأستاذ خير الدين شمسي باشا لنفسه منهجًا والتزمه كما في مصنفاته الأخرى ولم يخرج عنه، وهذا المنهج من أهم مسوغات تصنيف الكتاب، ومن أبرز المآخذ على المصنفات الأخرى، فقد التزم على صعيد الترتيب الألفبائية العامة للأبواب، ثم لأول المثل وثانيه وثالثه وهكذا..

وهو بهذا جعل المعجم أكثر قربًا من القارئ، وسهّل استعمال المعجم من أكبر شريحة من القراء.

وعلى صعيد عرض المثل كان يأتي بالمثل مرقمًا، ثم يذكر مصادره التي استقى منها هذا المثل، ثم يذكر ما يتعلق به من لغة وقصة، ويذكر أحيانًا من أهمله بالاسم، ويورد في تضاعيف القصة شعرًا إن كان ضروريًا.

والأستاذ شمسي باشا رجل علمي غير متزيد، فالمثل الذي لا قصة له في الكتب المصادر، يذكره دون أن يتزيد في الكلام، ومن ذلك المثل (٦٧٧) «أحمق من قابض كفه على الماء»، ذكر المثل، وذكر الشعر الذي أخذ منه هذا المثل. ومن ذلك المثل (٢١٥٣) «أقبح عمل المقتدرين الانتقام». لم يشرحه لألفة ولا غيرها، واكتفى بقوله: هذا من الأقوال السائرة كالأمثال. وقالوا في هذا المعنى: «العفو عند المقدرة». انتهى.

وعندما يرى أن المثل يحتاج إلى التفصيل والاستشهاد لا يتردد عن فعل ذلك كما في المثل (٢١٥٨) «أقبح من السحر»، إذ عرج على السحر وموقف الإسلام منه.

وهذه السمة إن دلت على شيء فإنما تدل على أمرين:

ـ احترام المصنف القارئ وعقله ومقدرته.

ـ الوعي الدقيق لموقف المصنف، دون أن يعبأ بعرض معرفته وقدرته.

ـ طريقة عرض الأمثال: كانت طريقة عرض الأمثال عند الأستاذ خير الدين شمسي باشا واعية جدًا ومتعددة، فلم يلتزم طريقة واحدة، ولو التزم طريقة واحدة لأخلّ بالكثير من أسباب التصنيف، فالمصنف كان يجمع المثل وقصته ومادته، ثم يعرضه بالطريقة المناسبة للمادة المتوافرة بين يديه دون أن يلوي عنق النص والمواد، وقد تتعدد طرائق العرض أكثر من اللازم، لكنها كانت مرنة متجاوبة مع الغاية والهدف، ومن هذه الطرائق:

العناية بالأمثال لاتزال دون المستوى، ولم نجد لدى الناشرين والباحثين ـ على السواء ـ الجرأة الكافية لاقتحام ميدان الأمثال الرحب، خشية النقد أولاً، وخوف المغامرة غير المأمونة

ـ يذكر المثل ومصادره، ثم يورد تتمة المثل، وعلى أي شيء يطلق، ثم يعرج على بعض المعاني اللغوية، ويورد بإيجاز بعض الشواهد الشعرية التي تخدم المثل وتأصيله. انظر الأمثال ذوات الأرقام (٥٦٩٣ ـ ٥٨٣٧ ـ ٦٠١٣)، وهذه الطريقة هي الغالبة.

ـ يذكر المثال ومصادره، ثم يذكر بعض المعاني اللغوية (٦٠١٤).

ـ يذكر المثل ومصادره، ثم يعطي حكمًا عليه (٦٠١٥).

ـ يذكر المثل ومصادره، ثم يستعين بالمصادر لتحديد أصالة المثل أو عجمته (٦٨١٧) وفي هذه الطريقة يعتمد المصادر الموثقة، كالأصمعي، والجوهري، وأبي عبيدة.

ـ يذكر المثل ومصادره، ثم يأتي على بعض المعاني المجازية التي أجازت نقل المعنى إلى معنى آخر (٦٨٤٣)، ثم يذكر الأمثال المشابهة.

ـ يذكر عددًا من الأمثال المتتابعة بالمعنى نفسه، والألفاظ المتقاربة.

فلان لا يريش ولا يبري (٦٨٣٤).

فلان لا يعقد الحبل ولا يركض المحجن (٦٨٣٩).

فلان لا يمنع ذنب تلعة (٦٨٤١).

فلان ما يعوى ولا ينبح (٦٨٤٣).

وضع الأستاذ خير الدين شمسي باشا لنفسه منهجًا والتزمه كما في مصنفاته الأخرى ولم يخرج عنه. وهذا المنهج من أهم مسوغات تصنيف الكتاب، ومن أبرز المآخذ على المصنفات الأخرى

فلان مبرم (٦٨٤٥).

ولم يمنعه من إيراد هذه الأمثال أنها تصب في معنًى واحد أو في معانٍ متقاربة.

ـ يذكر المثل، ثم يردفه برواية أخرى له، إن كان له ثمة رواية (٦٨٥٣).

ـ يذكر المثل، ويذكر مصدرهُ، وإن لم يكن من كتب الأمثال:

«فلان من فرط نطاته لا يعرف قطاته من لطاته»: رواه النيسابوري في (عقلاء المجانين) (٦٨٥١) لا أريد أن أذكر طرائق عرض الأمثال المختلفة بين مثل وآخر؛ لأن الأمر قد يطول؛ لأن المصنف ألزم نفسه المرونة، لذلك كان يختار الطريقة الملائمة لكل مثل دون أن يلزم نفسه طريقة واحدة، وهو بذلك استطاع أن يخدم موضوعه أكثر، وأن يبعد المادة عن الجفاف، وقد قدمت هذه الطرائق عدة فوائد:

ـ قدمت مادة لغوية جيدة.

ـ قدمت مادة بلاغية مجازية تستحق العناية (وهي أساس الأمثال).

ـ قدمت إحاطة بالكتب التراثية المتعددة الأغراض.

معجم الأمثال العربية لخير الدين شمسي باشا موسوعة متكاملة في الأمثال واللغة والبلاغة تستحق منا كل عناية ودراسة، وربما كان من سوء الحظ أن يتزامن صدورها مع الأزمات الخانقة على المستويين العالمي والعربي، وفي زمن بدأت قيمة الكتاب بالتلاشي والضياع، لكنه، وعلى الرغم من كل ذلك، كان، إصدارًا مهمًا وضروريًا للمكتبة العربية التي طال انتظارها له.. ولذلك استحقت الجهة الراعية (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية) والمصنف خير الدين شمسي باشا كل التقدير والشكر على ما قدّماه خدمة للقرآن الكريم ولغته.

الرائــد المنســي أندريــا البـ



...اغــو البلليني

صبحي حمامي

حلب – سورية

أسمى ما ملك الإنسان في هذا الوجود العقل. فهو الذي هداه إلى فهم قوانين الطبيعة، وأرشده إلى تسخيرها في حفظ نوعه، وحسن عيشه.
ليست الحضارة حكرًا على عرق بشري معين أو مذهب أو عقيدة. إنما هي ظروف بيئية واجتماعية واقتصادية تتلاءم فتهيّئ المناخ اللازم لنشاط الفكر الإنساني وإبداعاته.

ومنذ فجر التاريخ كان حوض البحر الأبيض المتوسط بمناخه المعتدل، ومياهه الدافئة، المكان الأمثل لبناء المجتمعات وازدهار الحضارة. إلا أن الحضارة بدلت مكانها عبر القرون في هذا الحوض، فمن بابل إلى مصر، ومن مصر إلى اليونان، ثم إلى روما والإسكندرية، فشمال سورية (الرها، أنطاكية، آمد، نصيبين، حران) ثم إلى بغداد ودمشق، ومنها إلى الأندلس وجنوب إيطاليا، ثم إلى شمالها لتعم أوربا كلها.

والحضارة يحملها في دروب هجرتها علماء مترجمون قدموا للإنسانية أجلّ الخدمات، وقد غاب عنا أسماؤهم في الماضي البعيد، إلا أن كتب السير حافلة بأسماء هؤلاء الذين نقلوا إلينا حضارة اليونان، من أمثال حنين بن إسحق (١)، وابن أخته حبيش الأعسم، ويوحنا بن ماسويه (٢)، وثابت بن قرة (٣)، والفارابي (٤)، وقسطا بن لوقا (٥).

ونقلت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربا بجهود قسطنطين الإفريقي(٦) وجيرارد الكريموني (٧)، ومدرسة الترجمة التي أنشأها الأسقف ريموند (٨)، ومترجمو بلاط الملك فريدريك الثاني وابنه، ملوك صقلية ونابولي.

وفي مرحلة أكثر تقدمًا نقرأ بهذا الصدد أعمال ليوناردو بيزانو (٩) وأرنالدوس فيللا نوفانيوس (١٠) ورامون لول (١١).

والرائد الذي نحن بصدد عرض سيرته الذاتية هو من هذا الرعيل، فهو الذي نقل آخر ما توصل إليه الفكر العربي الإسلامي في مجال العلوم الطبية إلى شمال إيطاليا، لنجد بعد حين ما نقله مدونًا في صحائف رواد عصر النهضة في أوربا.

وتميز أندريا ألباغو من باقي نظرائه من هذا الرعيل، أن كتب السير شرقيها وغربيها لم تورد أخبارًا مفصلة عن حياته، بل إن معظمها لم يذكره، وما نجده عنه إنما هو أخبار يسيرة ذكرت في سياق موضوعات أخرى، ذلك أن أندريا فارق الحياة بعد أشهر من عودته إلى إيطاليا، ولم يشرف على نشر ما حمل معه من ثمار الحضارة العربية الإسلامية.

أندريا ألباغو البلليني وأحيانًا يطلق عليه أندريا بون غاجو ولد في مدينة بللينو، وهي مدينة صغيرة تقع على ما يقرب من ٤٠كم غرب مدينة البندقية، عام ١٤٥٠م خامس أولاد نيكولو ألباغو، سليل عائلة نبيلة لها أملاك واسعة حول مدينة بيللينو ورثوها عن جدهم الكونت ألباغو.

وبعد دراسته الأولية في بللينو، انتقل إلى مدينة

بادوفا حيث التحق بجامعتها لدراسة الفلسفة والطب، فقد كانت دراسة الفلسفة تعدّ في القرون الوسطى مدخلاً لدراسة الطب.

وبعد إجازته في الطب من بادوفا، عاد إلى بللينو، وتشير السجلات إلى أن أندريا ألباغو قد سجل في قائمة نبلاء بللينو في ١٢مايو/ أيار عام ١٤٧٩م (١٢).

أندريا في دمشق وبيروت

كانت العلوم العربية الإسلامية تحاط باهتمام كبير في جامعة بادوفا، والترجمات اللاتينية لتلك العلوم كانت تحتل حيزًا كبيرًا في مقررات هذه الجامعة.

وكان أندريا يرى أن تلك الترجمات اللاتينية غير دقيقة، وأنها قاصرة عن إعطاء المعنى الذي أراده المؤلف العربي. ولتحقيق رغبته في قراءة تلك العلوم بلغتها الأصلية، قبل عرضًا من قنصلية البندقية في دمشق للعمل في هذه المدينة طبيبًا لجالية البندقية فيها.

في القرن الخامس عشر الميلادي كانت البندقية من أكبر المدن الأوربية، وكانت هي المسيطرة على التجارة في الجانب الشرقي لحوض البحر الأبيض المتوسط (١٣)، وكان لها قناصل في دمشق وحلب وبيروت وطرابلس الشام، على أن قنصلية دمشق هي الأهم(١٤) ، فقد كانت دمشق ملتقى القوافل الآتية من العجم، وبلاد ما بين النهرين، وآسيا الصغرى، كما كانت ملتقى القوافل الذاهبة إلى الحج.

وكانت سورية مشهورة بقطنها العالي الجودة والبهارات التي كانت تأتيها من الهند عن طريق الخليج العربي أو طريق الفرات أو من عدن ومكة، كما كانت مشهورة بالنسيج الحريري وخاصة المطرز



ابن البيطار

بخيوط ذهبية الذي كان يعمل منه الملابس الاحتفالية والملابس الكنسية (١٥)، كما كانت مشهورة بصناعة الأواني النحاسية المرصّعة بالفضة، وصناعة الأسلحة.

اتجه أندريا ألباغو إلى دمشق، مصطحبًا معه ابن أخيه باولو المراهق الذي سحره نبأ الرحلة إلى الشرق، ورأى في أحد أعمامه الأربعة، وفي أصغرهم سنًا مرافقًا مناسبًا في تلك الرحلة، وسيلازم باولو عمه طوال حياة هذا الأخير، وسيكون له بعد وفاة عمه دور كبير في نشر الكتب العربية الطبية في إيطاليا.

ومن المرجح أن يكون أندريا قد قام بهذه الرحلة إلى دمشق عام ١٤٨٧م، استنتج هذا التاريخ من رسالة لقنصل البندقية في دمشق توماسو كونتاريني كتبها إلى مجلس شيوخ دولة البندقية عام ١٥٠٦م يشكو فيها من تصرفات أندريا.

ذلك أن هذا الأخير بعد أن جمع ثروة طائلة من التجارة في دمشق، قرر العودة إلى وطنه، وأخذ على ذلك موافقة الجهات الرسمية في البندقية، مما دفع القنصل إلى التعاقد مع طبيب آخر لمعالجة أفراد جالية البندقية في دمشق، وبعد أن وصل هذا الطبيب إلى دمشق، غيّر أندريا رأيه، وقرر الاستمرار في عمله، مما سبب حرجًا كبيرًا للقنصل، فكتب يشكو إلى السلطات قائلاً: إن أندريا ألباغو خلال العشرين عامًا الماضية التي أقامها في دمشق قام بعمليات تجارية كثيرة مخالفة لقوانين دولة البندقية، مستفيدًا من الحصانة التي كانت تقدمها له القنصلية، تاركًا مهمته في خدمة جالية البندقية لابن أخيه باولو، الذي لا تجربة له في الطب (١٦). ولكن المكانة المرموقة التي كان يحتلها أندريا عند حاكم دولة البندقية، أخفقت محاولة القنصل في إبعاد أندريا عن دمشق.

وفي عام ١٥١٧م نقل أندريا مكان عمله إلى جزيرة قبرص (نيقوسيا) حيث عمل هناك أيضًا طبيبًا لجالية البندقية، ومن المرجح أن يكون انتقاله إلى هذه الجزيرة لأهداف تجارية؛ ذلك لأن البضائع والعروض كانت تنقل من سورية إلى قبرص، ومن هناك تبحر إلى أوربا، وذلك منذ الحروب الصليبية، بسبب تحريم البابوات التجارة مع العرب، وكان هذا التحريم يطبق بشدة، أو يتراخى في تطبيقه وفق الظروف السياسية (١٧).

وبعد إقامة ثلاث سنوات بقبرص، عاد أندريا وابن أخيه إلى بللينو عام ١٥٢٠م التي وصلها في ١٢ كانون الأول من ذلك العام. وبعد وصوله بقليل عين أندريا أستاذًا للطب السريري في جامعة بادوفا، ولكنه، وبعد عشاء احتفالي مع عائلته وأصدقائه، أقيم في أحد أيام عام ١٥٢١م، شكا من وعكة صحية، وخلد إلى الراحة في سريره في ساعة مبكرة على غير عادته، ولما طلع النهار وجد متوفىً في سريره.

أحدثت وفاته ضجة في بللينو، وأبّنه الخطباء والشعراء في المدينة، وفي عام ١٥٦٦، أقيم له تمثال نصفي نصب أمام منزله (١٨).

تلك هي سيرة إلباغو البلليني، أو بالأحرى ما وصلنا منها، وما يهمنا نحن أثره العلمي، ودوره في إقامة الجسور بين الحضارات.

من بين الرواد في هذا المجال يبقى أندريا ألباغو هو الأكثر تأثيرًا في الغرب، ذلك أنه نقل ثمار الحضارة العربية الإسلامية في مجال الطب، إذ حمل معه من دمشق ما أضافه العرب إلى الطب الإغريقي، وما هو أهم من ذلك، أنه أدخل إلى أوربا نهج البحث العلمي التجريبي الذي كان العرب رواده ومبدعيه.

تميز عصر أندريا ألباغو، بأن أوربا والتيارات الفكرية السائدة فيها يومئذ، تختلف جذريًا عن أوربا جيرارد الكريموني والأسقف ريموند (١٩).

أوربا والتغيير

في القرن السادس عشر هبت على أوربا رياح التغيير، وقصرت المجتمعات الأوربية جهودها للتخلص من نظم القرون الوسطى، حين كانت الكنيسة تملك وحدها العلم، فكانت الأديرة تمثل مراكز العلم والتعلم. كما كانت فكرة الخطيئة وسقوط الإنسان وفساد الطبيعة البشرية هي المسيطرة على الفكر الأوربي، وما عمل الإنسان إلا تكفير عن هذه الخطيئة الملتصقة بالطبيعة البشرية. وظلت أوربا بمعزل عن الحياة العلمية حتى حصل التماس بين العالمين الغربي والشرقي

عن طريق الحروب الصليبية، أو عن طريق الأندلس، أو عن طريق مدرسة سالرن (٢٠). كما أن انتشار الأوربيين في السواحل السورية وفلسطين ومصر لثلاثة قرون، قد أتاح لهم الاطّلاع على مستوى الرفاهية والازدهار العلمي في الشرق، فلما عادت هذه المجتمعات الأوربية إلى أوطانها راحت تطلب علومًا جديدة غير متوافرة في كليات اللاهوت (٢١).

عصر النهضة الأوربية تمثل أولاً بالحركة الإنسانية ، التي جعلت من تراث الإنسانية، وهو في معظمه غير ديني، أمرًا عظيمًا، يستحق كل إعجاب وتقدير، وكان هدف هذا الموقف رفع شعار الإنسان الرائع الناجح ضد الإنسان المكبل بالخطيئة الأصلية، ونتج من ذلك نمو الروح الفردية.

لم يعد الإنسان يعنى ببلوغ المطلق قدر عنايته بدراسة الطبيعة بغية السيطرة عليها (٢٢).

وأقبلت أوربا على دراسة هذا التراث الإنساني، فنشطت حركة الترجمة إلى اللاتينية، ومعظمها كان من العربية. فترجمت بصريات ابن الهيثم (٢٣)، ثم ترجم الكندي (٢٤)، والفارابي (٢٥)، والغزالي (٢٦).

كما أقبلت أوربا على تأسيس جامعة بولونيا ثم باريس ثم أكسفورد، وكان الطلاب من جميع أنحاء أوربا يؤمون هذه الجامعات بسبب وحدة اللغة (٢٧).

وأهم ما ترجم إلى اللاتينية هي شروحات ابن رشد لأرسطو، وإدخال الرشدية إلى أوربا أحدث صدمة للفكر الحضاري الذي بناه الغرب طوال قرون أي منذ القديس أوغستين (٣٥٠ . ٤٢٠م)، وخلق صراعًا بين تعاليم الإنجيل وعلم أرسطو والعرب، بين نص موحى وبين علم صنعه العقل البشري.

كانت المجتمعات الأوربية تبحث عن آفاق فكرية جديدة، فوجدت في الرشدية ضالتها المنشودة انتشرت الرشدية في أوربا كلها، بدأت في باريس، ولما أصدرت تحريم تعاليم ابن رشد عام ١٢٧٠م، لجأت الرشدية إلى جامعة بادوا؛ لأن هذه الجامعة كانت تتمتع بشيء من الحرية فقد أنشأها طلاب جامعة بولونيا هربًا من تسلط الجزويت، ومحاكم التفتيش على هذه الجامعة الأخيرة، كما كانت جامعة بادوفا تتمتع بحماية مجلس شيوخ البندقية، مما جعلها قبلة الطلاب يفدون إليها من جميع أنحاء أوربا.

ومع إطلالة القرن السادس عشر قامت الثورات الدينية والفكرية في أوربا، تلك الثورات التي هيأت لعصر النهضة الحديثة (٢٨).

تلك هي البيئة العلمية السائدة في إيطاليا وأوربا عندما عاد أندريا إلى وطنه حاملاً معه ثمار الحضارة العلمية العربية في مجال الطب خاصة.

ولكن ما هو أثر أندريا ألباغو في مسيرة الحضارة؟ ولماذا نتحدث عنه بوصفه رائدًا من هؤلاء الذين أقاموا الجسور بين الأمم؟.

اتجهت الأنظار نحو أندريا ألباغو عندما قدم الطالب المصري محيي الدين التطاوي (٢٩) أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الطب من جامعة فيريبورغ في ألمانيا عام ١٩٢٤م، وموضوعها الدورة الدموية الصغرى عند ابن النفيس.

علة التشابه

وكان النص الذي قدمه التطاوي لابن النفيس يشابه إلى حد كبير، بل يكاد يطابق نصًا يحفظه الغرب للدورة الدموية الصغرى، ويعزى لراهب إسباني الأصل يدعى ميشيل سيرفي (١٥١١ . ١٥٥٣) عاش حياته القصيرة والمضطربة بين فرنسا وإيطاليا تحت أسماء مستعارة، ولاحقته محاكم التفتيش، بقيادة لاهوتي آخر هو جان كالفان (٣٠)

الذي تمكن منه في النهاية، وأحرقه حيّاً على ضفاف بحيرة ليمان (جنيف) هو وكتابه «إحياء المسيحية» الذي حوى نص الدورة الدموية الصغرى، كما حوى آراء دينية لم يجد جان كالفان لها مكانًا في جمهوريته الربانية.

ويقال: إنه سحب من أطراف النار التي التهمت ميشيل سيرفي ثلاث نسخ من الكتاب المدان، وما هو مؤكد حاليًا أن نسخة من هذا الكتاب موجودة في المكتبة الوطنية في باريس، وتبدو على أطرافها آثار النار الظالمة.

وذهب الكتاب وكاتبه، ولكنهما طرحا سؤالاً لم يتفق على الإجابة عنه، وهو: تطابق نص ميشيل سيرفي مع نص ابن النفيس كيف نعلله؟.

معظم الباحثين استبعدوا أن يكون ذلك مصادفة، وقليل منهم وعلى رأسهم ماكس ميرهوف (٣١)، قالوا: إن ميشيل سيرفي اكتشف الدورة الدموية الصغرى، ولم يكن على علم بأعمال ابن النفيس في هذا المجال، واعتمد هؤلاء على خبر فحواه أن ميشيل سيرفي درس التشريح في باريس عام ١٥٣٦م على يد سيلڤيوس، وجينتر دندرناش، وكان زميله في الدرس يومئذ أندري ڤيسال (٣٢) عالم التشريح المشهور.

ولكن ميشيل سيرفي لم يعرف مشرحًا، ولم يحفظ له التاريخ في مجال التشريح إلا هذا النص للدورة الدموية الصغرى، أورده في كتاب ديني، وبصدد تفسير جملة جاءت في الكتاب المقدس تقول: إن «الروح في الدم وإن الدم هو الروح» (٣٣) علمًا أن الروح عند ميشيل سيرفي ليس لها المعنى نفسه عند ابن النفيس، فالروح عند الأول شيء إلهي بينما هي عند الثاني جسم بخاري.

وليس هناك ما يؤكد أن ميشيل سيرفي قد أجيز في الطب (٣٤)، أو أنه قد التقى أندري فيسال في باريس، والمشهور عنه أنه تقلب في المدن الأوربية خائفًا مشردًا، يمتهن الحرفة المتاحة له، فهو في مدينة ليون الفرنسية مدقق لغوي في مطبعة كبيرة، أو هو في باريس محاضر في قسم الفلك في جامعتها، أو هو في مدينة ستراسبورغ، يطبع ويسوق (عام ١٥٣١م) كتابًا من تأليفه وعنوانه De trinitatus erroribus، وهو باكورة أعماله.

ذلك أن ميشيل سيرفي كان يرى أن مذهب التثليث لم يرد في الكتاب المقدس، وجعل حياته للدفاع عن هذه الفكرة، ونادى بها على رؤوس الأشهاد والنار تلتهمه.

بينما يورد ابن النفيس، كبير أطباء مصر، نص الدورة الدموية الصغرى في كتاب

للتشريح مشهور، تداوله علماء هذا العلم عدة قرون، وفيه اكتشافات تشريحية كثيرة.

المصادفة إذًا مستبعدة لعدم تكافؤ الباحثين في مادة التشريح، ونص الدورة الدموية الصغرى، تداوله عدد من علماء التشريح بعد ميشيل سيرفي، سنورد أسماء بعضهم بعد قليل، ولا يمكن أن يكونوا أخذوه من ميشيل سيرفي كما يدّعي الكثيرون، وكيف يؤخذ من كتاب دانته السلطات الدينية، وأحرقته مع مؤلفه، في زمان فيه محاكم التفتيش مطلقة الأحكام، وأحكامها مزاجية الطبع، وليس لها أي مرجعية قانونية.

فالنص لا بد أن يكون معروفًا قبل ميشيل سيرفي، وكان هذا الأخير أول من نشره مطبوعًا عندما وصل ألباغو إلى بللينو عام ١٥٢٠م. كان من جملة ما حمل معه شرح ابن النفيس لكتاب القانون، وما هو مؤكد هو أندريا الباغو ترجم من هذا الشرح إلى اللاتينية الكتاب الخامس من القانون، وهو الكتاب الذي نشره ابن أخيه باولو في البندقية (٣٥) عام ١٥٢٧م، والكتاب الخامس

من القانون يبحث في الأدوية المركبة (الأيارجات، واللعوقات، والشرابات، والجوارشنات....إلخ) والعلاجات، ولا يحوي وصفًا مباشرًا إلى الدورة الدموية الصغرى.

النبض

ولكن أوميللي يشير إلى وجود كتاب للنبض في مجموعة مترجمة إلى اللاتينية في مكتبة «لان» (٣٦) في ستانفورد، وهي من ترجمة أندريا تحت عنوان:

Consideratio Sexta de Pulsibus assumpta ex libro Siraxi،

ويشير إلى أن في هذا الكتاب إشارة غير مباشرة للدورة الدموية الصغرى.

ولا نعلم على وجه التحديد ما يقصد أوميللو بقوله: Treatise on the Pulse، هل يشير ذلك إلى كتاب «النبض» لابن النفيس، أم يشير إلى مقالة في النبض ذكرتها كتب السير، ولم نجد لها ذكرًا في فهارس المكتبات؟.

وكتاب «النبض» لابن النفيس هو جزء من كتاب «الشامل»، الذي صنف ليكون في ثلاثمئة مجلد، ولكن ما تم منها، وشوهد في خزانة ابن النفيس عند وفاته هو ثمانون مجلدًا، وما وجد منه حاليًا، هو عدة أجزاء حددت هويتها في النصف الثاني من القرن العشرين.

وكتاب «النبض» هو من «الشامل» الكتاب الثاني من الجزء الرابع من الفن الأول، وموجودة أجزاء منه في مكتبة «لان» المذكورة، ولكنها باللغة العربية وصفها نقولا هير عام ١٩٦٠م (٣٧).

وهذه الأجزاء الموجودة في مكتبة «لان» لا تضم كتاب النبض.

وكتاب النبض هذا يقع في ستين ورقة من القطع المتوسط، وقد حققناه وترجمناه إلى اللغة الفرنسية، ولم يطبع بعد. وفيه يستعرض ابن النفيس حقائق كثيرة من فيزيولوجيا القلب والشرايين، ويقررها كما نعرفها اليوم.

فهل كتاب «النبض» الذي وجده أوميلليو في مكتبة «لان» هو الترجمة اللاتينية لكتاب «النبض» الذي هو جزء من «الشامل»، وكلاهما لابن النفيس؟.

على أن أ.ز. إسكندر يورد النبأ في الـ DSB بشكل مختلف، إذ يقول «في جزء من الكتاب الخامس، وتحديدًا من الورقة ٢٤ظ حتى الورقة ٣٠ و، وتحت عنوان:

Consideratio Sexta de Pulsibus Ex libro Sirasi arabico

يورد ألباغو بعض الأفكار عن مذهب جالينوس حول موضوع القلب والأوعية، مع ملاحظات ابن



ابن سينا

النفيس عليها.

أمام هذا الغموض الذي يدور حول محتوى النسخة اللاتينية لشرح الكتاب الخامس للقانون، وأمام ما اعتدناه من خلط بين أسماء أعلام العرب عند المستشرقين، لا بد لنا من أن نرجح، أن ما قرأه أوميلليو مع مواد الكتاب الخامس، هو كتاب «النبض» لابن النفيس. خصوصًا أن معظم محتويات هذا الكتاب نجدها في كتاب وليام هارفي (٣٨)، المعنون: De Motu Cordis، والذي نشره عام ١٦٢٨م. في هذا الكتاب يعرض ويليام فيزيولوجيا الدورة الدموية الكبرى، وعدّ منذ ذلك الحين أنه مكتشف هذه الدورة، ورفع بهذا الاكتشاف إلى مصاف أكبر علماء عصر النهضة.

لنقرأ الآن وصف هارفي لتلك الدورة الدموية، كما جاء في كتابه المذكور أعلاه:

And when I had for a great while turned over in my mind these question, namely, how great was the abundance of the blood that was passed through and in how short a time that transmission was done, and when I had Perceived rhat the juice of the food that had been eaten could not suffice to supply the amount of the blood nay, more we would have veins empty and altogether drained dry and arteries, on the other hand burst open with the too great inthrusting of blood, unless this blood should somehow flow back out of the arteries Once more into the veins and return to the right ventricle of the heart - I began to be think myself whether it might not have a kind of movement as it were in a circle. And this afterwards found to be ture(39).

أما ابن النفيس فهو يورد المعنى نفسه:

«ويحتاج أن يكون هذا النافذ منها في الشرايين كبيرًا جدًا ليفي بالتقسيم على جميع الأعضاء، ونفوذ هذه الروح إلى الشرايين إنما يكون ببعث القلب لها إلى هناك، وذلك يكون بانقباض القلب، حتى إذا انقبضت تلك الروح، وخرج منها شيء كبير إلى الشرايين وحينئذ تحتاج الشرايين إلى أن تنبسط لتتسع لذلك القدر النافذ إليها من الروح».

ثم إن هذه الروح بعد حصولها في الشرايين تحتاج إلى أن ينفذ بعضها إلى الأعضاء الأخرى، وأن يعود بعضها إلى القلب ليحفظ عليها مزاجها؛ وذلك إنما يكون بانقباض تلك الشرايين حتى تنضغط تلك الروح فينفذ بعضها من مسام الشرايين إلى الأعضاء، والباقي يعود إلى القلب. وإنما يمكن ذلك بأن يكون القلب حينئذ منبسطًا ليتسع لما يرد إليه حينئذ من تلك الروح، فلذلك يجب أن يكون انبساط الشرايين عند انقباض القلب وانقباضها عند انبساطه، ويكون الأمر كذلك دائمًا» (٤٠)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الروح عند ابن النفيس هي الدم الشرياني، أي المؤكسد بلغتنا اليوم.

يؤكد ابن النفيس هذه الدورة الدموية الكبرى في أكثر من موضع، حتى إنه يجعل منها عنوانًا للفصل الثاني عشر (من الباب الأول من التعليم الأول) من كتاب «النبض»، وعنوانه «في منافع انتقال الروح من القلب إلى الشرايين ومنها إلى القلب في كل نبضة».

وهناك أمثلة كثيرة على هذا التطابق في المحتوى بين الكتابين.

من الشائع بين الباحثين الغربيين، وخاصة الإنجليز منهم والمعاصرين لوليم هارفي، أن هذا الأخير كان لا يتورع عن السطو على أعمال غيره، وعندما كان يذكر بأسماء من ادّعى أعمالهم، كان يلوذ بالصمت واضعًا يده على قبضة سيفه، هذا السيف الذي ما كان يفارقه حتى في أثناء نومه.

يقول الباحثون: إن هارفي ادّعى لنفسه أعمال ريالدو كلومبو (٤١)، وأعمال أندريا سيسالبنو (٤٢)، وفيبريسيوس (٤٣)، وهذا الأخير هو أستاذه في مدرسة بادوفا، وقد آواه في منزله خلال الأشهر الستة الأولى من وصوله إلى بادوفا، ولكنهم لم يوردوا قط اسم ابن النفيس، ذلك لأن وليم هارفي انفرد من بينهم بمعرفة اللغة العربية.

ليس لدينا معلومات دقيقة عن الكتب التي حملها أندريا ألباغو من دمشق، إلا ما طبع منها ابن أخيه باولو، ولا يمكن أن يكون هذا كل ما حمله عمّه، فباولو لم يكن مجازًا في الطب عند عودته من دمشق، ولم يدرك أهمية ما حمله عمه من متاع علمي.

هناك كتاب لابن سينا كان أندريا أعدّه للطبع، ونفذ ذلك ابن أخيه باولو، وطبع الكتاب في البندقية وعنوانه: Compendium de anima, venetiis, apud, Juntas, 1546.

وفي الصفحة الأولى من هذا الكتاب كلمة إلى مطران البندقية يقول فيها باولو: إنه «ومنذ أن كان يافعًا كان المرافق لعمه أندريا، وإن عمه عند وفاته ترك ترجمات لاتينية لابن سينا وغيره من المؤلفين العرب، وإن هذه المخطوطات هي حاليًا (١٥٤٦م) في حوزته وإنه سوف ينشرها تباعًا».

وقد نفذ وعده جزئيًا، فنشر بعض الترجمات، وكلها من الكتاب الخامس للقانون

De Correction errorum qui accidunt in regimine sanitatis.

De medicinis Principum non horribilibus.

De Venenis.

De Lapidibus Pretiosis.

الباحثون الذين يدعمون فكرة أن ميشل سيرفي اكتشف الدورة الدموية الصغرى دون علم بأبحاث ابن النفيس يبنون حكمهم على أن كتاب شرح تشريح القانون لم يترجم إلى اللاتينية، وأن ما ترجم إلى اللاتينية من أعمال ابن النفيس لا يحوي الدورة الدموية.

والحكم هذا يجانب الحقيقة من وجوه كثيرة: لأن كتاب «النبض» الذي ترجم إلى اللاتينية أورد الدورتين، ومعهما معلومات كثيرة عن فيزيولوجيا القلب والأوعية الدموية، كما أن عددًا من روّاد عصر النهضة كانوا يقرؤون اللغة العربية.

ثم إن جميع أبحاث الدورة الدموية ظهرت بعد عام ١٥٢٠م، أي: بعد وصول أندريا إلى إيطاليا، وجميع الذين كتبوا عنها درسوا أو درّسوا في مدرسة بادوفا أو مروا بها والتقوا باولو.

أندريا فيسال درس التشريح في بادوفا بين عامي ١٥٣٨ و ١٥٤٢م، وريالدو كولومبو كان مساعد فيسال، وفالفيرد (٤٤) كان مساعد كولومبو، ونيقولا ماسا (٤٥) التقى مع باولو عندما كان الأخير يدرس الطب في بادوفا، وأخذ منه كتاب «حياة ابن سينا» وترجمه إلى اللاتينية (٤٦).

توفي أندريا في ١١ فبراير/شباط عام ١٥٢٢م، ووزعت تركته على ١٣ شخصًا من آل ألباغو، وبعد مئتي عام من وفاته جمعت جميع المخطوطات التي تركها في مكتبة سميت باسمه في بللينو، ولكن الحروب، وكثرة التزوج في هذه العائلة بعثرت المخطوطات من جديد.

خلال الاحتلال النمساوي (١٨١٣ ـ ١٨٦٦م) وجدت بعض هذه المخطوطات في النمسا. يوجد حاليًا في مكتبة فينا Imperial Library of Vienna مخطوطة لأندريا ألباغو تحت عنوان:

Andrea Bellunensis glossarum nominum Arabicorum ex Avicenna aliaque miscellanea Arabica.

وقد علق أوميليو الذي حصل على نسخة ميكروفيلم من هذه المخطوطة، قائلاً:

«ويظهر أنه معجم للمصطلحات من الطبعة

اللاتينية لقانون ابن سينا، ولا يبدو أنه كتب في القرن السادس عشر».

هذه المخطوطة تدل على تعمق أندريا ألباغو في الطب العربي، وخاصة في أعمال ابن سينا، وشارحه الكبير ابن النفيس، فقد رأى لتقريب أعمال هذين الطبيبين إلى الغرب، عمل معجم للمصطلحات العربية التي جاءت في كتبهم.

ونقرأ في مقدمة هذا المعجم ما يأتي:

«أنا أندريا ألباغو طبيب البيلليني، وبعد دراسة لكتاب القانون في نسخه العربية رأيت أن رهطًا كبيرًا من الفلاسفة والأطباء تعاني من عدم تمكنها من معرفة أسماء مفردات الأدوية والمصطلحات الموجودة في ذلك الكتاب؛ لذلك قررت عمل هذا المعجم؛ وذلك اعتمادًا على ابن البيطار، وابن النفيس، وغيرهم من المؤلفين».

وهذا يدل على أن ألباغو كان واسع الاطلاع على مؤلفات الأطباء العرب إلى درجة خولته عمل معجم للمصطلحات الطبية العربية.

من مجمل ما تقدم نستطيع القول: إن أندريا ألباغو حمل إلى شمال إيطاليا ثمار خريف الفكر العربي الإسلامي في الطب، ولا سيما أعمال ابن سينا وابن النفيس.

وإنه بسبب وفاته بعد وصوله إلى إيطاليا بقليل لم تنشر هذه الأعمال بالصورة التي أرادها معدها. وإنما عممت بصورة غامضة، منها شفهيًا، ومنها بنصها العربي، ومنها ما نشر باللاتينية.

إن كون ابن النفيس هو المصحح الأول لأعمال جالينوس في التشريح والفيزيولوجيا وإن جميع من أوردوا هذا التصحيح في كتبهم من الكتّاب الغربيين فعلوا ذلك بعد عام ١٥٢١م، وهو العام الذي وصل فيه أندريا ألباغو إلى مدينة بادوفا التي انطلقت منها جميع الأعمال المصححة لمذهب جالينوس في الطب.

تشير الوقائع إلى احتمال ظهور أعمال أخرى لهذا الرائد المنسي تلقي مزيدًا من الضوء على دوره كناقل للحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب.



رسم متخيل لسوق عربي



ابن النفيس

المراجع

١- حنين بن إسحق العبادي (٨٠٩ ـ ٨٧٣م): يلقب بأبي زيد، شيخ المترجمين العرب، ولد في بغداد، وتلمذ في البداية ليوحنا بن ماسويه في جنديسابور، تعلم اليونانية في بلاد الإغريق، وأتقن اللغة العربية على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي في البصرة، وأما السريانية فهي لغته الأم. وقدم للمأمون الذي عهد إليه بإدارة «بيت الحكمة»، وهي دار الترجمة. كان يترجم من اليونانية إلى السريانية، وأحيانًا من السريانية إلى العربية. يعدّ أول من حمل العلم والثقافة اليونانية إلى العرب بل إلى العالم أجمع. (انظر فهرست ٤٠٩. DSB, T X V, 230 - Leclerc, T1139).

٢. يوحنا بن ماسويه (٧٧٧ ـ ٨٥٧م) ولد في جنديسابور من أب صيدلي، ونشأ في بغداد، ولاّه الرشيد ترجمة الكتب الطبية التي وجدها في أنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم، وأرسله المأمون مع غيره في بعثة إلى آسيا الصغرى واليونان لجمع المخطوطات اليونانية المشهورة.. وهو أحد الأوائل من المترجمين والمؤلفين والممارسين والمدرسين. وكان أكثر كتبه مترجمة عن اليونانية، وقد ترجم كثير من تآليفه إلى اللاتينية، وكانت في مقدمة الكتب العربية التي ترجمت إلى اللاتينية (فهرست ٤١١ ـ Leclerc, T1139).

٣. ثابت بن قرة (٢٢١ ـ ٢٨٨هـ): من صابئة حران، معرفته الجيدة باللغات العربية والسريانية واليونانية وبعلمي الفلك والطب، أهلته للدخول في خدمة الخلفاء، كان ضليعًا في فن الترجمة، ومؤلفًا بارعًا، (فهرست ٣٨٠ ـ Leclerc, T1 168).

٤. أبو النصر الفارابي (٨٧٣ ـ ٩٥٠م): أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان، أصله من الفارياب من أرض خراسان،. من المتقدمين في صناعة المنطق والعلوم القديمة، وكانت له خبرة بعلوم الطب، وعلم بالأمور الكلية منها، وكان في علم الموسيقا قد وصل إلى غاياتها، وأتقنها إتقانًا لا مزيد عليه، فسر كتب أرسطو (كتاب القياس، وكتاب البرهان، وكتاب الخطابة، وغيرها) وقد وضع في الموسيقا كتابًا مفصلاً (فهرست: ٣٦٨).

٥. قسطا بن لوقا: مسيحي من بعلبك، كان في أيام المقتدر العباسي، استدعي إلى بغداد ليشتغل في الترجمة، كان يتقن اللغة العربية والسريانية واليونانية، ثم ذهب إلى أرمينيا وهناك توفي. كان بارعًا في الرياضيات والفلك والفلسفة، وقد ترجم وألف الكثير في هذه الميادين. (الأعلام: مجلد٥: ١٩٦ ـ Leclerc, T1157 فهرست ٤١٠).

٦. قسطنطين الإفريقي: (ت ١٠٨٧م): ولد في قرطاجنة، غامض السيرة، طوّف في البلاد كثيرًا، ثم عاد إلى تونس، فاتهم بالسحر، فهرب إلى مدينة سالرن في إيطاليا، واعتكف في دير قرب هذه المدينة على جبل كاسينو حيث كتب جميع مؤلفاته. كان يجيد اليونانية واللاتينية والإيطالية، ترجم إلى اللاتينية نحو أربعين كتابًا في الطب والفلسفة، يساعده على الترجمة يوحنا الفاسي قسطنطين لم يذكر قط أسماء من ترجم عنهم، من الباحثين من يعلل هذا السلوك بأنه ضرب من التقية في مجتمع يخوض الحروب الصليبية (DSB, T111, 393).

٧. جيرارد دوكريمون (١١١٤ ـ ١١٨٧م): من ألمع الوجوه في تاريخ الحضارات، ترجم ما ينوف على الثمانين من أمات الكتب العربية في شتى العلوم. وكان من أكثر المترجمين دقة وأمانة. فكان له بذلك التأثير الأكبر في عصر النهضة. عمل تحت رعاية الأسقف ريموند في طليطلة، وفي هذه المدينة توفي (DSB, T X V, Supp! 173).

٨. دون ريموند: مطران طليطلة الذي أدار دفة الأمور في مملكة الكاستيل بين عامي (١١٢٦و ١١٥١م)، أنشأ مدرسة لترجمة العلوم العربية إلى اللاتينية في طليطلة، أمّها العلماء من جميع أنحاء أوربا، ومنهم جيرارد الكريموني (Mieli, 232).

٩. ليونارد أوف بيزا: ويطلق عليه غالبًا Fiboacci مجدد علم الرياضيات في الغرب، ولد في بيزا عام ١١٧٠م، ومات في هذه المدينة بعد عام ١٢٤٠م. كان والده يعمل في التجارة، فتعلم ليونارد الحساب والرياضيات المتقدمة جدًا عند العرب، وألف عدة كتب في الرياضيات تعد بداية لعهد جديد في هذا المجال (DSB, V 1, 605).

١٠. أرنالدوس فيلا نوفانيوس: ولد في فالنسيا عام ١٢٣٤ أو ١٢٥٠م، وتوفي في بحر جنوا عام ١٣١١م. درس الطب في مونبليه، ترجم عن اللغة العربية لجالينوس، والكندي، وقسطا بن لوقا، وابن سينا، وغيرهم، وألف في الطب والكيمياء والفلك كتبًا ظهر فيها أثر العلوم العربية واضحًا (DSB,1, 289).

١١. رامون لول (١٢٣٢ ـ ١٣١٥): ولد في بالمادو مالوركا، وكان من ألمع المبشرين للكاثوليكية عند المسلمين، أول كتبه عام ١٢٧٠م كان عن الغزالي وباللغة العربية، كتب ما لا يقل عن ٢٩٢ كتابًا باللغة الكتالونية والعربية واللاتينية (DSB, TV11 . 547

12- Coppola, 75.

13- Heyd, V11, 495.

14- Heyd, V11, 464.

15- Heyd, V11, 61.

16- Coppola, 75.

17- Heyd, Vii, 456.

18- Coppola, 76.

١٩. انظر الهوامش رقم ٧، ٨.

٢٠ - Aldo Mieli, 218.

٢١. موسوعة ٦١٥.

٢٢. ديلماس، ٩٥.

٢٣. ابن الهيثم (٩٦٥ ـ ١٠٣٨): أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم، أحد أعلام القرن الخامس الهجري، ولد في البصرة، وتعلم في مدارسها ثم انتقل إلى مصر، من أعظم علماء القرون الوسطى، ومن أكبر النابغين في علم البصريات (DSB, TV1,189 ابن الهيثم أو Al- Hazen)

٢٤. الكندي (٨٠١ ـ ٨٦٦): يعقوب بن إسحق، فيلسوف، أحد أبناء ملوك كندة، نشأ في البصرة، وانتقل إلى بغداد. اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقا والفلك، فيلسوف العرب والإسلام في عصره (فهرست ٣٥٧ . الأعلام، ج ٨ : ١٩٥ . (DSB, Supp I- Leclerc TI, 160 E. ph. viii, 469)

٢٥. الفارابي (٨٧٣ ـ ٩٥٠م): كان أبوه قائد جيش ببغداد، ثم انتقل إلى الشام، وأقام فيها إلى حين وفاته. اشتغل بالعلوم النفسية وعلوم ما وراء الطبيعة، وأتقن العلوم والحكمة، وكان في علم الموسيقا قد وصل إلى غاياتها (فهرست، ٣٦٨ . (El, ii, 797 - DSB, iv, 523).

٢٦. الغزالي (١٠٥٨ ـ ١١١١م): أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فيلسوف متكلم متصوف، حجة الإسلام، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس ـ خراسان) (الأعلام ج٧، ص٢٢ ـ (EI, T 11, 1062).

٢٧. موسوعة ٦١٥.

٢٨. زينب ٥٤.

٢٩. ولد محيي الدين القطاوي في محلة المنوف عام ١٨٩٦م، درس في طنطا والقاهرة، وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩١٨م، التحق بالمهندس خانة عامي ١٩١٨ و ١٩١٩م، ثم انتقل عام ١٩٢٠م إلى كلية طب برلين. وبعد تخرجه عمل بوزارة الصحة حتى توفي عام ١٩٤٥م، وهو يقاوم وباء التيفوس، فمات شهيد الواجب.

٣٠. جان كالفان: من أكبر أعلام البروتستانتية، ولد في فرنسا عام ١٥٠٩م، وتوفي في جنيف عام ١٥٦٤م (ERE, Vili, 146 - ESS, Vii, 257).

٣١. ماكس مايرهوف (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥م): مستشرق، طبيب ألماني، زار مصر سنة ١٩٠٠م، وسكن القاهرة عام ١٩٠٣م، انتخب نائبًا لرئيس المعهد المصري، والجمعية الطبية المصرية، واستمر إلى أن توفي في القاهرة، نشر «العشر مقالات في العين» لحنين بن إسحق و«أسماء العقار» لأبي عمران موسى القرطبي، وأجزاءً من «جامع المفردات» للغافقي. (الأعلام ٥: ٢٥٦).

٣٢. أندرياس فيسال (١٥١٣ ـ ١٥٦٤م): رائد علم التشريح الحديث، ولد في بروكسل (بلجيكا)، وكان يجيد اللغة اليونانية والعربية، بالإضافة إلى اللاتينية، أول أعماله صدر عام ١٥٣٧م، يوازن فيه بين العلاج وطريقة الرازي وطريقة جالينوس، منتصرًا لطريقة الأخير، جدّه الثالث كان من شرّاح ابن سينا. أجيز في الطب من بادوفا عام ١٥٣٧م وعين محاضرًا في التشريح في الجامعة نفسها في ٥/١٢/١٥٣٧م.(DSB, TXIV,3).

33- ANIMA EST IN SANGUINA, ANIMA IPSA est Sanguis.

34- DSB, TXII ,322).

٣٥. تحت عنوان: Ebenefis Philosophi ac medeci exellentissimi expositio super quintum canonem Avicenna.

36- Lane medical Library - Stanford University - Stanford - California.

٣٧. هير، نقولا: ثلاثة مجلدات من كتاب الشامل لابن النفيس، مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ٦، ١٩٦٠، ص ٢٠٣ ـ ٢١٠.

٣٨. ويليام هارفي (١٥٧٨ ـ ١٦٥٧م) ولد في مدينة فولكوستن ((Kent)، التحق عام ١٥٩٨ بمدرسة بادوفا الإيطالية لدراسة الطب، وتخرج فيها في ربيع عام ١٦٠٢م، ليعود إلى بلده في العام نفسه. تأثير مدرسة بادوفا واضح في جميع أعماله.

39- W. Harvey: An Anattomical Disputation. p 75.

٤٠. كتاب النبض، مخطوطة كامبردج، ورقة ١٢ ظ.

٤١. ريالدو كولومبو (١٥١٠ ـ ١٥٥٩م) عالم تشريح إيطالي، درس في مدرسة بادوفا، وخلف أستاذه A. Vesale على كرسي مادة التشريح في هذه المدرسة. وصف الدورة الدموية الصغرى في كتابه (,Flourens, 185 235 _ DSB. Viii, 355) De re Anatomica.

٤٢. أندريا سيسالبينو (١٥١٩ ـ ١٦٠٣م): عالم نبات، طبيب، فيزيولوجي، درس الطب في جامعة بيزا، تخرج عام ١٥٥١م، عين مديرًا لحديقة النبات بعدها. أهم أعماله في مجال الطب وصف الدسامات القلبية، كما فرض وجود اتصال بين الشرايين والأوردة، يقدمه الإيطاليون على أنه مكتشف للدورة الدموية، وله مساهمات مهمة في علم النبات (,Supp. 81).DSB, xv

٤٣. Fabrice d Aquapendente (١٥٣٧ ـ ١٦١٩): أستاذ التشريح في مدرسة بادوفا، شغل هذا الكرسي نصف قرنًا تقريبًا، وصف أول مرة الصمامات الوريدية في كتابه De venarum Ostiolis (١٦٠٣م) (.DSB 507).1v.

٤٤. فالفيردو جاندو (١٥٢٠ ـ ١٥٨٨): ولد في منطقة فالنسيا بإسبانيا، وتلمذ على يد كولومبو وفيسال في التشريح عدة سنوات في بادوفا (حتى عام ١٥٤٣م)، ثم أصبح مساعدًا لكولومبو في جامعة بيزا، له كتاب في التشريح وصف فيه الدورة الدموية الصغرى، فكان بذلك ثاني من وصفها، ولكنه عزا اكتشافها إلى كولومبو. كتابه: (-DSB, XIII, 569) Historia de la Composicion de la cuerpo humano.

٤٥. نيكولو ماسا (١٤٩٩ ـ ١٥٦٩م) طبيب من بادوفا، عرف بكتابه عن مرض السفلس، له كتاب في التشريح نشره عام ١٥٣٦م يصف فيه الدورة الدموية الصغرى.

46- Coppola, 72.

الفنانة الايرانيـــة أفـــســــانة:

أرفض التقنية، وأستخدم شعر القـ



ط وعظام الجمال!

عبدالله الكويليت
حسين حسن حسين
قسم التحرير

أفسانة: فنانة إيرانية شابة مهتمة بالتراث الإسلامي، لا تزال تحرص على عدم استعمال التقنية في أعمالها، مهما كانت إغراءاتها. وقد تعددت مواهبها الفنية فشملت الخط والنقش والتذهيب والزخرفة، إلى جانب عملها الأكاديمي، وتدريسها الفنون. وهذا حوار يكشف بعض عالمها الفني.

ما أبرز اتجاهات الفن في إيران؟

هناك لجنة من عشرة أساتذة من الفنانين الكبار الذين تزيد أعمارهم على ٧٠ عامًا، وأنا الشابة الوحيدة في هذه اللجنة، وقد أجازوا لي التدريس في الجامعة، وقد تأثرت بهم كثيرًا.

كان الفن الإيراني قبل الإسلام يتركز بشكل أساسي في ممارسة الخط الفارسي، ثم بدأت النقوش، وغير ذلك من أنواع الفنون المتصلة بها، وقد سخر ذلك كله في خدمة القرآن الكريم، والاتجاه السائد الآن توظيف كل أنواع الفنون في ترقية التراث الإسلامي والمحافظة عليه.

ما مدى تأثرك بالرسومات التراثية التي في ألف ليلة وليلة، وحي بن يقظان، ومقامات الحريري، أو تلك التي في المخطوطات القديمة، وغير ذلك؟

لم يكن لي أستاذ مباشر تأثرت به، ولكن جاء تشكيلي الفني من خلال تأثري بالتراث، وقبله الآثار المتعلقة بخدمة القرآن الكريم من خط وتزيين، كالتذهيب والزخرفة.. ومن الأساتذة المشهورين الذين بدأت بتقليدهم الأستاذ الشهير أحمد نيريزي الذي كان يبدأ عمله بحرف وينتهي بحرف، وقد أكملت تذهيب القرآن الكريم ونقشه، مقلدة إياه.

كما تأثرت بأعمال أخرى من واقع اطّلاعي على كتب تراثية وقراءتي الأشعار والأعمال التراثية المختلفة.

انتماؤك إلى الحروفيين أم إلى الرسامين؟

أقوم بوضع معايير كل نوع من الخطوط في الجامعة، ويبدو تصنيفي بين هؤلاء أو أولئك صعبًا؛ لأنني أمارس أنواعًا من الفنون، وهي دقيقة جدًا في ظني. فهناك نقوش لي على الحجر، كما أكتب على الجعد والخشب، والتعامل مع القرآن الكريم يحتاج إلى دقة وتجويد بالغين.

للفنانين الذين يتعاملون مع الحروف علاقة خاصة بأحد الحروف.. فما الحرف الأثير والمحبب إليك؟

اسم الجلالة أحب الكلمات إلى نفسي، وأحبّ الحروف هو حرف الألف، تأثرًا بقول حافظ شيرازي؛ إنه ليس في قلبي سوى الألف.. ويقصد بذلك اسم الجلالة الذي لا غير سواه في قلبه يجله ويقدسه.

إذا كان ارتباط العشرة الكبار بالتراث طبيعيًا، فلابد أنك قد تأثرت بما حولك من فنانين وأعمال، سواء في الغرب أو الشرق؟


قال الله تعالى

لم يكن لي أستاذ مباشر تأثرت به، ولكن جاء تشكيلي الفني من خلال تأثري بالتراث، وقبله الآثار المتعلقة بخدمة القرآن الكريم من خط وتزيين، كالتذهيب والزخرفة..



اسم الجلالة أحب الكلمات إلى نفسي، وأحبّ الحروف هو حرف الألف، تأثرًا بقول حافظ شيرازي: إنه ليس في قلبي سوى الألف.. ويقصد بذلك اسم الجلالة



الفن ميدان واسع، وهو منتشر حيثما توجهت، والفن الإسلامي ينتشر بشكل خاص في سورية، ومصر، والأردن، والعراق، والمملكة العربية السعودية وغيرها من الدول العربية والإسلامية، وهناك أساتذة روّاد في هذا المجال، وقد اطلعت على كثير من أعمالهم، أما تأثري المباشر فقد كان بأساتذتي في إيران.

والذي أتأسف له أن بعض الفنانين اتجهوا إلى استخدام الحاسب الآلي في أعمالهم، وهناك قلة منهم الذين يمارسون الفن في صورته التقليدية، ويعتمدون على اليد، وعدد من يمارسون الفن يدويًا في إيران في



الفنانة أفسانة تستمع إلى أحد الأسئلة باهتمام

تضاؤل، وأصبحوا يعدون على الأصابع، لأن هذا الفن يحتاج إلى صبر ومثابرة، وجهد كبير، ووقت في التنفيذ.

ولعل الاعتماد على العمل اليدوي، وهو ما يعطي للسجاد الإيراني شهرته وطابعه المميز بخلاف الدول الأخرى التي تستخدم الآلات.

وهناك تراجع عن العمل اليدوي، وقد يؤدي ذلك إلى انقراض هذا الفن الفريد.

ما دورك بوصفك فنانة ومدرِّسة في مواجهة مثل هذا الزحف التقني؟

الحكومة الإيرانية لها جهودها للحفاظ على التراث، بل لا تسمح لي بعرض أعمالي الفنية أو بيعها في أسواق إيران، فبعد إنجاز أي عمل أقوم به، يتم الاحتفاظ به في المتحف.

وكان هناك اعتراض مبدئي على عرض أعمالي في الخارج، ولي ولغيري من الفنانين أعمال لم تعرض بعد في خارج إيران.

ونحن - الفنانين - نحرص على أعمالنا، وعلى تجويدها؛ لأننا من خلالها نقوم بخدمة القرآن الكريم والتراث الإسلامي.

ولي مؤلف عن كيفية حفظ تراثنا الفني، كما أن لي طلابًا أحاول أن أغرس فيهم حب هذا التراث والعمل للمحافظة عليه، كما أن لي صلات مع المهتمين بهذا التراث من خلال اللقاءات المباشرة أو الاتصال عبر الوسائل المختلفة من أجل العمل على نشر الوعي بأهمية التراث وضرورة المحافظة عليه؛ لأننا نعتز بهذا التراث، ونستفيد منه، وأتمنى أن تفتخر الأجيال القادمة بأعمالنا، وتحرص عليها. وسأكون سعيدة إذا أتيح لي المجال للتدريس في المملكة التي هي مهد الإسلام ونبع التراث الإسلامي.

ما الأدوات التي تستخدمينها في أعمالك الفنية؟

أستخدم أوراقًا عادية مصقولة، وأقوم بتلوينها وتهيئتها لتبدو قديمة. أما الأقلام التي أستخدمها، فأقوم بصنعها بنفسي من شعر القط الذكر المنزوع من الجزء الواقع بين الرقبة والذيل على أن يكون عمر

في أعمالي الفنية أستخدم أوراقًا عادية مصقولة، وأقوم بتلوينها وتهيئتها لتبدو قديمة. أما الأقلام التي أستخدمها، فأقوم بصنعها بنفسي من شعر القط الذكر المنزوع من الجزء الواقع بين الرقبة والذيل

القط سنة وثلاثة أشهر.

وأستخدم نوعين من الحبر، أولهما من النباتات، والثاني ورق الذهب الخالص.

لماذا القط الذكر، ولماذا هذه السن؟

أولاً القط يتميز بالشعر الطويل الناعم النظيف، وشعر القط الذكر يتسم أيضًا بالقوة والمتانة والجمال، وهذا بالنسبة إلى كل الحيوانات، ولا نأخذ شعر الجانبين؛ لأن رقدة القط دائمًا تكون على جنبه، مما يضعف شعر هذه المنطقة، ويجعله غير مستو.

ماذا عن استخدامك الذهب؟

استخدم الذهب الإنجليزي، بإذابته في عسل وماء ساخن، ثم أضع ذلك في ظرف مدة يومين، فيترسب الذهب فأخلطه مع الصمغ العربي، كما أستخدم معه العقيق.. ليكون بذلك الذهب جاهزًا للاستخدام.

أما القلم الذي أستعمله في النقش بالذهب، فأقوم بصنعه من عظام الجمل المستخرجة من (النخاع).

وفي ختام الحوار نوهت الفنانة الإيرانية أفسانة بالاستقبال الحافل الذي وجدته في المملكة، وأبدت حرصها على التعرف إلى التراث السعودي، وإقامة علاقات متينة مع المهتمين والمختصين؛ توطيداً لدعم العلاقات الثقافية بين البلدين.

كما رحبت بأن تتم ترجمة كتبها العربية من خلال مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو غيره من الجهات المهتمة بالحفاظ على التراث الإسلامي.

الفنانة أفسانة مع إحدى لوحاتها



البطاقة الفنية..

- أفسانة ناصر محمد خليقي.
- مواليد ١٩٧٧م، طهران.
- خريجة في قسم الجرافيك، كلية الفنون، بجامعة آزاد، طهران.
- ١٤ سنة في مجال الفن.
- أقامت معارض في بيروت ودمشق وإستانبول والرياض.
- بدأت بكتابة الخط الفارسي، ومارست النقش، ولها ثلاثة مؤلفات.
- ركزت في خدمة القرآن الكريم، وكتابة الآيات القرآنية، وممارسة الخط، والنقش، والتذهيب.



إلى قراء «الفيصل» الكرام

حرصًا على استمرار المجلة في تقديم زاد ثقافي يليق بكم وبعد التفاهم مع وكلاء التوزيع تقرر رفع سعر مجلة «الفيصل» في المملكة العربية السعودية والدول الأخرى ابتداءً من العدد ٣٣٧ (رجب ١٤٢٥هـ)، وذلك لظروف ارتفاع مدخلات الطباعة، وتوافقًا مع الأسعار السائدة في السوق.

وإننا لنثق في تفهم القراء الكرام أسباب هذه الزيادة، شاكرين هذا التواصل الحميم مع المجلة، والأسعار الجديدة سوف تكون على النحو الآتي:

الدولة	السعر الجديد
السعودية	١٠ ريالات
مصر	٤ جنيهات
سورية	٤٥ ليرة
المغرب	١٠ دراهم
تونس	١،٥٢ دينار
الأردن	٧٥٠ فلسًا
قطر	١٠ ريالات
الإمارات	١٠ دراهم
البحرين	دينار واحد
الكويت	٨٠٠ فلس
سلطنة عمان	ريال واحد
اليمن	١٠٠ريال
السودان	١٥٠ ديناراً

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٣٤) ربيع الآخر ١٤٢٥هـ/ مايو ٢٠٠٤م.

الفائز الأول: عوض محمد عوض. سيئون. اليمن.
الفائز الثاني: أيوب موسى أبو رياش. عمان. الأردن.
الفائز الثالث: أمال محمد عزت حافظ. القاهرة. مصر.
الفائز الرابع: نجوى عبدالسلام السوسي. المهدية. تونس.
الفائز الخامس: قاسم حمودة عاشور. المدينة المنورة. السعودية.
الفائز السادس: حسن محمد داود. عوالي. البحرين.
الفائز السابع: دانا حبيب سلطان. الدوحة. قطر.
الفائز الثامن: محمد إبراهيم أمنزوي. مراكش. المغرب.

حل مسابقة العدد (٣٣٤)

١ـ إذا خفق البرق من حبهم
أرقت وبت حليف السهاد
قائل البيت هو: عنترة بن شداد.

٢ـ خواطر مصرحة: كتاب ألفه محمد حسن عواد.

٣ـ سيرجي رخمانينوف: مؤلف موسيقي روسي اتسمت آثاره بطابع قومي رومانتيكي تغلب عليه الكآبة.

٤ـ فيستا: ربة نار الموقد عند الرومان.

٥ـ التيتانية: الروح المميزة للتيتان، وبخاصة الثورة على الأعراف الاجتماعية والفنية.

أسئلة مسابقة العدد (٣٣٧)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

☐ النابغة الذبياني

☐ زهير بن أبي سلمى.

(٢) بلانك ماكس:

☐ فيزيائي ألماني، وضع نظرية الكمّ

☐ مؤلف موسيقي ألماني، لمع في حقل الأوبرا، أصيب بالسل فمات في ريعان الشباب.

(٣) عقدة اليكترا:

☐ عقدة من حبال ضخمة لربط أشرعة السفن الإغريقية

☐ ميل البنت إلى أبيها جنسيًا.

(٤) التشارق:

☐ خط وهمي رسمه الجيش الألماني عند تحركه لحصار مدينة ستالينجراد السوفييتية خلال الحرب العالمية الثانية

☐ خط على خريطة يربط المواطن التي تتساوى فيها مدة استمرار إشراقية ضياء الشمس.

(٥) الكروكيت:

☐ كتلة من لحم أو سمك مفروم بالبيض وتقلى بالسمن

☐ ببغاء أسترالي.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات بالحروف الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

مسابقة الفيصل

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

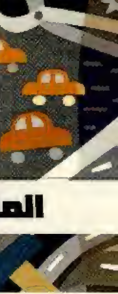
ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي


الفنان العالمي فان جوخ

- حوار يهودي عربي في كتاب
- اكتشافات أثرية في نجران
- خنفساء تهدد مكتبة إسرائيل الوطنية
- العرب ومعرض فرانكفورت الدولي للكتاب

●● خاتمة المطاف: نزيف العقول



جائزة "إمباك دبلن" للطاهر بن جلون

فاز الكاتب المغربي الطاهر بن جلون مؤخرًا بجائزة «إمباك دبلن» الدولية للأدب التي تعد من أرفع الجوائز الأدبية مكانة في أوربا، ويمولها عدد من المؤسسات الثقافية الأوربية، وقد فاز ابن جلون عن روايته «العتمة الباعثة على العمى»، وهي تحكي عن معسكرات صحراوية مكتظة بالمعتقلين السياسيين، وقد جاء في حيثيات هيئة التحكيم في تعليقها على الجائزة بأنها «عمل فني رائع من أعلى طراز بين الروايات»، وأشادت بالرواية المترجمة من اللغة الفرنسية بوصفها «تحفة فنية جددت الغرض الحقيقي من الأدب، وهو ما لا يفعله إلا كتاب يصدر من وقت إلى آخر».

وقد نال ابن جلون هذه الجائزة بعد منافسة حادة مع عشرة كتّاب آخرين رشحوا لنيل هذه الجائزة من بينهم الروائي البريطاني وليام بويد عن روايته «أي قلب»، والكاتب الأمريكي بول أوستر عن «كتاب الأوهام»، وتبلغ قيمة الجائزة ١٠٠ ألف يورو، سيحصل ابن جلون منها على مبلغ ٧٥ ألف يورو، فيما ينال مترجم الرواية إلى اللغة الإنجليزية بقية المبلغ.

والجدير بالذكر أن ابن جلون، المولود في مدينة فاس بالمغرب عام ١٩٤٤م، قد سبق له الفوز من قبل بجائزة جونكور الفرنسية عن روايته «ليلة القدر»، وله عدد من الأعمال الروائية منها: «غزالة»، و«تنتهي العزلة»، و«يوم صامت في طنجة»، و«حرودة»، و«طفل الرمل»، و«ليلة الغلطة»، وغيرها.

الطاهر بن جلون



حوار يهودي عربي في كتاب

احتفل مؤخرًا في الرباط بتقديم أول كتاب من نوعه يشارك في تأليفه شخصان خصمان وصديقان في آن واحد، وقد جاء الكتاب الذي شارك في تأليفه حميد برادة الصحافي المغربي المقيم في فرنسا، وجي سيدمون الصحافي اليهودي ذو الأصل التونسي، بعنوان «العربي اليهودي ... حوار حرب»، وتناول الكتاب، الذي يقع في نحو ثلاثمئة صفحة من القطع المتوسط، ويضم عددًا من الفصول، كثيرًا من الأمور السياسية من بينها قضية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وفكرة الانتحاريين بين الاستشهاد والإرهاب، وقضية العراق، بالإضافة إلى تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، وغير ذلك من القضايا، وقد تضاربت وجهات نظر الكاتبين حول هذه القضايا منذ عامين، وتبع ذلك خصام بينهما استمر طوال هذه الفترة.

وقد حكى برادة قصة هذا الكتاب «لإيلاف» قائلاً: «لم أر سيمون منذ عامين تقريبًا، كنت عزفت عن مخالطته بعد تضارب سافر في وجهات النظر حول القضايا العربية»، وأضاف: «التقينا بعد كل هذه الفترة لأسباب غير سياسية، اقترح عليّ نقاشًا ثنائيًا حول القضايا نفسها التي فرقت بيننا يومًا ما. قبلت الفكرة شرط أن يكون النقاش موضوعيًا وجديًا، وألاّ تكون فيه محاباة لأحد، وأن يكون مركزًا في قضايا محددة سلفًا»، وواصل برادة: «اشترطت أيضًا وجود شخص ثالث ليست له أية دراية بالشرق الأوسط، يكون بمثابة حكم محايد ويمثل الجمهور، ويوجه النقاش، ويلفت لأي التباس أو خروج عن الموضوع»، وكان الشخص الذي أوكلت إليه هذه المهمة هو الصحافي الفرنسي فيليب غايار المختص في الشؤون الأفريقية، وهو من قام بتحويل هذه المجادلة إلى كتاب.

ويسعى برادة إلى إصدار نسخة من هذا الكتاب باللغة العربية، وقد عرض الفكرة على «دار النشر العربي» وما زال

ينتظر جوابًا. والجدير بالذكر أن الكتاب صدر باللغة الفرنسية عن دار النشر الفرنسية «بيون»، ووزعت منه نحو عشرة آلاف نسخة من الطبعة الأولى.

خنفساء تهدد مكتبة إسرائيل الوطنية

تعرضت أجزاء كبيرة من مئات الكتب الموجودة في المكتبة الوطنية في إسرائيل للتلف بفعل حشرة خنفساء الكتب المعروفة علميًا بـ «أنوبيوم بونكتاتوم»، ولكن الغريب في الأمر أن كتب إينشتاين الموجودة في المكتبة نفسها، والمحفوظة في قسم مستقل، لم تصبها هذه الحشرة بأي أضرار.

وكانت هذه الحشرت قد اكتشفت أول مرة في كتاب يهودي يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل عدة شهور، وذكر المتحدث باسم الجامعة العبرية في القدس أن هذه الحشرة ليست من الحشرات المحلية.

وكانت إدارة المكتبة الوطنية قد درجت منذ ١٥ عامًا على تعقيم الكتب التي تصل إلى المكتبة قبل رصها على الرفوف، بالإضافة إلى رش المكتبة بالمبيدات كل عام بهدف التخلص من الحشرات، ولكن ربما تكون هذه الحشرة قد تمتعت بمناعة ضد المواد المستخدمة في تعقيم المكتبة.

منظر من داخل المكتبة



اكتشافات أثرية في نجران

أسفرت أعمال البحث والتنقيب التي قامت بها وكالة الآثار والمتاحف بوزارة التربية والتعليم السعودية عن اكتشاف وحدتين معماريتين في موقع الأخدود بمنطقة نجران، كما جاء في صحيفة الرياض.

وتحتوي كل وحدة معمارية من المباني الأثرية المكتشفة على عدد من الغرف والمخازن الصغيرة مبنية من الحجارة المشذبة تشذيبًا جيدًا، ومبنية على هيئة مداميك، كما توجد على أحجار جدران بعضها كتابات بالقلم المسند الجنوبي.

كذلك تم العثور على قطع من الأواني الفخارية المتنوعة تشتمل على أكواب وأطباق ومباخر وأغطية.

وتنبع أهمية اكتشاف هاتين الوحدتين كونهما تأتيان ضمن منظومة الوحدات المكتشفة من قبل، إذ توالى العمل في موقع الأخدود نحو خمسة مواسم متوالية.

من الآثار السعودية



جوائز مصرية

جاءت نتائج جوائز الدولة في مصر التي أعلنها وزير الثقافة فاروق حسني لهذا العام خالية من المفاجآت، وعلى عكس السنوات الماضية، فقد ساد الهدوء الاجتماع السنوي للمجلس الأعلى للثقافة الذي يسبق إعلان الجوائز برئاسة وزير الثقافة للتصويت على أسماء الفائزين، وقد شملت الجوائز فوز ٣٥ شخصية من المتميزين من الكتاب والفنانين وعلماء الاجتماع والتاريخ، بينما حجبت ١١ جائزة.

وجاءت نتيجة المسابقة كالآتي: فاز بجائزة الرئيس المصري حسني مبارك وقيمتها مئة ألف جنيه في الفنون آدم حنين، وفي الآداب الدكتور أحمد هيكل، وفي العلوم الاجتماعية الدكتور لبيب رزق.

أما جائزة الدولة التقديرية وتبلغ قيمتها المالية خمسين ألف جنيه، فقد فاز بها في مجال الفنون كل من: فنان الكاريكاتير مصطفى حسين، والمخرجة إنعام محمد علي، والفنان التشكيلي عمر النجدي.

وفاز بالجائزة نفسها في مجال الآداب كل من: الدكتور محمد الجوادي، والكاتب إبراهيم أصلان، والدكتور عبدالغفار مكاوي.

أما في مجال العلوم الاجتماعية فقد فاز بجائزة الدولة التقديرية كل من: الدكتور علي رضوان، والدكتور محمد نور فرحات، والدكتور مأمون سلامة.

وفاز بجائزة التفوق وقيمتها المالية عشرون ألف جنيه في مجال الآداب الكاتب إبراهيم عبدالمجيد، والكاتبة إقبال بركة، وفاز بها في مجال الفنون المخرجان داود عبدالسيد وعلي بدر خان، كما نال جائزة التفوق في العلوم الاجتماعية الدكتور أحمد زايد، والدكتور حسن نافعة.

وفاز بجائزة الدولة التشجيعية ومقدارها ١٠ آلاف جنيه في مجال الفنون كل من: الكاتبة ابتهال سالم، وخالد يحيى شكري، ومحمد عبدالغني قناوي، وهاني مصطفى كمال. كما فازت بجائزة الدولة التشجيعية في الآداب الكاتبة إيزابيل كمال خليل، والناقد عبدالعزيز موافي، والشاعران سماح عبدالله وعبده الزراع والكاتب خالد السروجي. كما فاز الدكتور طريف شوقي بالجائزة في مجال علم النفس، بينما فاز بها محمود عبدالرازق حسن أحمد ومحمود حسن في مجال الآثار.

وفي مجال العلوم الاقتصادية والقانونية كانت الجوائز من نصيب كل من: عبدالخالق فاروق حسن، والدكتور رضا عبدالسلام إبراهيم، والدكتورة سلوى شعراوي جمعة، وصلاح محمود سالم، ومحمد سعيد عبدالرحمن.

غونزالو روخاس يفوز بجائزة

العاهل الإسباني: إنه يعبر عن حب الحياة

فاز الشاعر التشيلي غونزالو روخاس مؤخرًا بجائزة أدب اللغة الإسبانية التي تمنحها وزارة الثقافة والتعليم مناوبة بين كاتب إسباني وآخر من أمريكا اللاتينية، وقد منح روخاس هذه الجائزة التي رشحها له المجمع اللغوي التشيلي لأنه: شاعر كبير، يمثل التعبير العظيم للغنائية المرتبطة بالذاكرة، والطفولة بالأسرة ومناجم الجنوب، وتسلم الجائزة التي تبلغ قيمتها تسعين ألف يورو من الملك خوان كارلوس في المدرج الكبير لجامعة الكالا دي هيناريس - أي قلعة نهر هيناريس.

قال العاهل الإسباني في كلمته بهذه المناسبة: «إن الشاعر التشيلي، مثل كاتب (الكيخوتي) رجل ذو موهبة، شجاع ومرح، يساعدنا إنتاجه على أن نواجه بحزم المواقف الأكثر صعوبة، ويعبر لنا عن حب الحياة».

وكان قد سبق لعدد من الأدباء والشعراء الفوز بهذه الجائزة منهم: من إسبانيا ميغيل دليبيس،

العرب ومعرض فرانكفورت الدولي للكتاب

من المقرر أن يحل العالم العربي ضيف شرف على معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي تقرر أن تقام فعالياته في شهر أكتوبر/تشرين الأول من هذا العام، وقد عدّ بعض المثقفين العرب المشاركة في هذه التظاهرة العالمية فرصة للتعريف بالثقافة العربية، وبارقة أمل في إيضاح الصورة الحقيقية للأمة العربية في مجالات الفكر والفن والأدب.

ويشتمل برنامج المشاركة للدول العربية على قراءات شعرية وروائية لنخبة من الشعراء العرب من أجيال مختلفة، واتجاهات فكرية مختلفة، مع تقديم عروض لمؤلفات عربية ترجمت إلى لغات أجنبية، وتتضمن المشاركة أيضًا عددًا كبيرًا من المحاضرات والقضايا المهمة مثل: «قضية الإصلاح وحقوق الإنسان العربي»، و«الإسلام وتحديات العصر»، و«حوار الثقافات»، و«موقف العالم العربي من ظاهرة الإرهاب»، و«التكنولوجيا في الإسلام»، و«الثقافة العربية المعاصرة وتكنولوجيا المعلومات»، و«دور المستشرقين الألمان في حوار الثقافتين العربية والألمانية»، و«الأدب النسائي في العالم العربي»، و«التسامح في الثقافة العربية»، و«آفاق التعاون بين العرب والغرب في مجال النشر والتوزيع»، و«أوضاع حركة الترجمة في الدول العربية»، و«حقوق التأليف والنشر».

ويعدّ معرض فرانكفورت الدولي للكتاب من أهم وأكبر المعارض الثقافية في العالم، وقد بلغ حجم المشاركة في دورته السابقة نحو ٦ آلاف شركة طباعة وتوزيع جاءت من ١١٠ دول من دول العالم، وعرضت نحو ٣٥٠ ألف عنوان، بحضور كثير من الكتّاب، والصحفيين الذين بلغ عددهم نحو ١٢ ألف صحفي من كل أنحاء العالم.

والجدير بالذكر أن هذا المعرض لم يعد قاصرًا على عرض الكتب كما كان يحدث في الماضي، إذ استحدث قسم جديد موجه إلى المجموعة المتخصصة الخاصة بالإصدارات الإلكترونية، بالإضافة إلى قيام الندوات وورش العمل حول المعلومات الرقمية.

من معالم مدينة فرانكفورت



وخوزيه خيمينز لوثانو، والفيلسوفة المتأثرة بابن عربي ماريا ثامبرانو، والبيروفي فارغاس يوسا، والمكسيكي أوكتافيو باز.

وولد غونزالو روخاس في ليبو عام ١٩١٧م، وتوفي والده الذي كان يعمل في المناجم، وهو في الرابعة من عمره، وتولت أمه تربيته وإخوته الثمانية، وقد تركت هذه الطفولة آثارها العميقة في حياة غونزالو وشعره، وقال روخاس قبل أن ينال هذه الجائزة: «إنني ما زلت هذا الطفل الذي يعجبه البحر، وتعجبه الحجارة، وما زال يحتفظ بمهر أسود، أهداه له أبوه، إنني أحب الأحصنة كثيرًا، وأذكرها في شعري».

وللشاعر عدد من الدواوين الشعرية منها: «بؤس الإنسان» عام ١٩٤٨م، و«ضد الموت» عام ١٩٦٤م، ثم أصدر في الفترة من ١٩٧٩م إلى ١٩٩٥م اثني عشر ديوانًا منها: «خلف الأرض»، و«المولود»، و«كاتب فارغ»، و«مادة شهادة»، و«نهر عكر».

من المقرر أن تصدر أعماله الشعرية الكاملة في إسبانيا في مجلد ضخم اختار له اسم «تحول».

دروس بالهيروغليفية



نظمت مكتبة الإسكندرية مؤخرًا الدورة الثانية لتعليم اللغة الهيروغليفية لغة مصر في العصر الفرعوني، وتستمر هذه الدورة مدة ثلاثة أشهر، وتتضمن تعريف الدارس بالقواعد الأساسية لقراءة الخط الهيروغليفي وكتابته، ودراسة نصوص تعبر عن مظاهر الحياة اليومية عند قدماء المصريين.

وقال عبدالحليم نورالدين مدير مركز الخطوط بالمكتبة: «إن تنظيم دورة ثانية يؤكد حرص المركز على نشر الوعي الأثري والحضاري، والتعريف بعلم المصريات الذي ما زال الإلمام به قاصرًا على الطلاب المتخصصين. والدورة الجديدة تحقق رغبة عدد كبير من المصريين المتطلعين إلى معرفة الهيروغليفية».

والجدير بالذكر أن الدورة الأولى لتعليم اللغة الهيروغليفية كانت قد عقدت بين شهري فبراير/شباط ومايو/أيار الماضيين، وحضرها عدد قليل، بينما حضر هذه الدورة نحو ٧٥ دارسًا.

جنكيز أيتماتوف يمر بأزمة

تمكن الأطباء القيرغيزيون والروس مؤخرًا من إنقاذ حياة الكاتب القيرغيزي - السوفييتي جنكيز أيتماتوف الذي أصيب بأزمة قلبية كادت تودي بحياته، ويرقد أيتماتوف حاليًا في مستشفى المركز الوطني القيرغيزي لأمراض القلب بعد أن تحسنت حالته الصحية بشكل كبير.

ولد جنكيز أيتماتوف في منطقة كيشلاكي شكير في جمهورية قيرغيزيا الاشتراكية السوفييتية عام ١٩٢٨م، وأنهى دراساته في معهد التقنيات البيطرية عام ١٩٤٨م، ثم معهد الزراعة عام١٩٥٣م، كما بدأ ينشر قصصه القصيرة باللغة القيرغيزية منذ عام١٩٥٢م.

وشغل أيتماتوف عددًا من المناصب منها: عضوية مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي السابق في الفترة من عام١٩٦٠ إلى عام١٩٨٠م، ثم شغل منصب رئيس تحرير مجلة «الأدب الأجنبي» السوفييتية في الفترة من عام ١٩٨٨م إلى ١٩٩٠م، كما شغل منصب سفير لقيرغيزيا لدى بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج.

وقد حصل أيتماتوف على عدد من الجوائز خلال حياته الأدبية تكريمًا على هذه الأعمال التي ترجمت إلى أكثر من ١٥٠ لغة.

أحوال المحارب القديم

صدرت مؤخرًا عن مركز عبدالكريم ميرغني رواية «أحوال المحارب القديم» الفائزة بجائزة الطيب صالح

جائزتان لستيتو وغويتسولو

أعلن مؤخرًا في هولندا عن فوز الشاعر المغربي المقيم في هولندا مصطفى ستيتو بجائزة ف.س.ب للشعر في دورتها الحادية عشرة، وذلك عن ديوانه الشعري الثالث «بطاقات بريدية وردية».

وتعد هذه الجائزة، التي تبلغ قيمتها ٢٥ ألف يورو، من أرفع الجوائز التي تمنح للشباب الذين يقدمون إنتاجهم باللغة الهولندية في هولندا نفسها، وفي الجزء الفلمنكي الناطق باللغة الهولندية الواقع في بلجيكا أيضًا.

ولد مصطفى في مدينة تطوان، التي تقع شمال المغرب في عام ١٩٧٤م، وهاجر برفقة عائلته إلى هولندا، واستقر به المقام في مدينة ليليستاد، التي نشأ وترعرع فيها، ثم التحق بجامعة أمستردام ودرس التاريخ والفلسفة، وقد سبق له أن أصدر ديوانين من قبل، هما: «الإشكالي» الذي صدر عام ١٩٩٤م، و«شعري» الذي صدر عام ١٩٩٨م. وتجد أشعار هذا الشاعر اهتمامًا واسعًا وسط النقاد في هولندا.

كما فاز مؤخرًا الكاتب والمفكر الإسباني خوان غويتسولو بجائزة خوان رولفو التي تعد من أشهر الجوائز في أمريكا اللاتينية، وقد تم الإعلان عن هذا الفوز بمدينة وادي الحجارة في المكسيك.

وأكد رئيس اللجنة الفرنسي أدمون كروس أن «غويتسولو يستحق هذه الجائزة لأن جميع أعماله دعت إلى حوار الحضارات».

وينحدر خوان غويتسولو من عائلة عريقة عرفت بحبها وإهتمامها بالأدب، وله عدد من الأشقاء المبدعين، وهو يقيم منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي في مدينة مراكش المغربية، وقد ألّف عددًا من الكتب عن العالم العربي، وبالأخص المغرب العربي، كما اشتهر بدفاعه المتواصل عن القضية الفلسطينية.

للإبداع الروائي، للكاتب الحسن بكري، وتقع الرواية في ٢٠٧ صفحة من القطع المتوسط.

وقد جاء في غلاف الرواية الأخير: «تميزت هذه الرواية بسمات عديدة أملت على القائمين بأمر لجنة التحكيم، أن يقرروا منحها الجائزة الأولى، جائزة الطيب صالح للإبداع الروائي، في العام الماضي ٢٠٠٣م، بإعداد وإشراف مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي بعاصمة السودان الوطنية أم درمان. الجائزة بهذا المعنى، تعد أول جائزة للإبداع الروائي في السودان، ويعد الروائي الحسن بكري أول الفائزين بقيمتها المادية والأدبية».

والجدير بالذكر أن الدورة الثانية من الجائزة، التي ستشارك في منافساتها روايات جديدة من مختلف أنحاء السودان، ستعلن نتائجها في شهر أكتوبر/تشرين الأول القادم.



الطيب صالح

رحيل التشكيلي إسماعيل فتّاح

توفي في العاصمة العراقية بغداد في الشهر الماضي الفنان التشكيلي العراقي إسماعيل فتّاح، بعد وصوله بغداد بساعات فقط بعد أن غاب عنها طويلاً، وكانت طائرة خاصة قد أقلت الفنان الراحل وعائلته من أبوظبي.

ولد إسماعيل فتّاح في مدينة البصرة عام ١٩٣٤م، ودرس الفن التشكيلي في بغداد، ثم سافر إلى روما لمتابعة دراساته العليا هناك، ونال دبلوم الرسم عام ١٩٥٦م، ودبلوم النحت عام ١٩٥٨م من أكاديمية الفنون الجميلة في روما، ودراسة السراميك من أكاديمية سان جاكومو في عام ١٩٦٤م في روما أيضًا، ويعدّ فتّاح من أبرز تلاميذ رائد الفن العراقي التشكيلي جواد سليم، وكان، مثل أستاذه، يجمع بين الرسم والنحت.

وقد اشتهر الفنان الراحل بإنجاز أجمل النصب، ليس في العراق وحده بل في منطقة الشرق الأوسط كلها، كما جاء في التقرير الذي أعدّه مراسل مجلة Art in America عن الفن في العراق، وله عدد كبير من النصب في بغداد، منها نصب الشاعر معروف الرصافي والشاعر أبي نواس والرسام الواسطي، وغيرهم. وقد مارس فتّاح التدريس في بغداد، كما أقام عددًا من المعارض في بغداد وروما وبيروت ولندن والكويت وفينيسيا والهند وباريس.



مشروع تجريبي لدعم اللغة العربية

فرغت لجنة تقنية المعلومات التابعة للأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية مؤخرًا من وضع خطة المشروع التجريبي لدعم استخدام اللغة العربية في أسماء النطاقات على شبكة الإنترنت، ويهدف هذا المشروع إلى الاستفادة القصوى من خدمة الإنترنت، وزيادة أعداد المستفيدين منها في العالم العربي الذين يجدون صعوبة في التعامل مع اللغة الإنجليزية.

وقد تم الانتهاء من تجهيز خادمات في كل من دولة الإمارات العربية المتحدة ودولة قطر والمملكة العربية السعودية، كما تم تسجيل عدة نطاقات باللغة العربية لغرض التجريب، منها: موقع. السعودية، وموقع. إمارات، وموقع. قطر. بحيث يمكن لمستخدمي الإنترنت في هذه الدول الثلاث الوصول إلى المواقع المعنونة بأسماء نطاقات عربية باستخدام أحد المتصفحات التي تدعم المعايير الدولية الخاصة باستخدام اللغات الأخرى في عناوين مواقع الإنترنت.

وقد صرح الدكتور عبدالعزيز بن حمد الزومان مدير المركز السعودي لمعلومات الشبكة بوحدة خدمات الإنترنت في مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية وعضو اللجنة: «إن مجموعة العمل الآن بصدد إعداد

جائزة الملك الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق

تم مؤخرًا في الرباط توزيع جائزة الملك الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق على الفائزين بها في الدورة ٢٧ للجائزة، وقد منحت الجائزة التقديرية الكبرى للدورة مناصفة لكل من الباحثين عبداللطيف عراقي من الرباط وإسلامة أبك من مدينة العيون، كما فاز ٢٠ باحثًا مغربيًا بالجوائز التشجيعية الثلاث، منهم: حماد أبو عياد من فاس، وحفيظة الزكري من تطوان، والهاشمي عبدالراجي من مراكش، والعروصي الراجي من كلميم، ونجاة وفيق من العيون، وعلي بن جلون من الرباط، والمحجوب المرابط من مكناس، ومحمد كنبارك من أغادير.

وقد حضر حفل توزيع الجائزة وزير الثقافة المغربي محمد الأشعري، وأحمد شوقي محافظ الخزانة الملكية في الرباط ورئيس لجنة الجائزة لهذا العام بنبين، بالإضافة إلى عدد كبير الشخصيات الثقافية في المغرب، كما بلغ عدد المخطوطات والوثائق التي تقدم بها الباحثون هذا العام نحو ٢٧٥ مخطوطة و٥٠٤ وثائق.

الملك الحسن الثاني



ضوابط تسجيل الأسماء باللغة العربية في هذه المرحلة التجريبية للجهات الحكومية والأهلية، وسوف يتم تعميم المشروع التجريبي على باقي دول الخليج العربية عند استكمال استعدادهم لذلك، بحيث يمكن لجميع الأفراد أو الجهات في الدول العربية الأخرى المشاركة والاستفادة من هذا المشروع».

والجدير بالذكر أن المنظمات العالمية التي تشرف على أسماء النطاقات في الإنترنت لا تبدي حماسة كبيرة لدعم اللغات الأخرى التي من ضمنها اللغة العربية، وهو ما حمل عددًا من المؤسسات العلمية العربية أن تخطو خطوات مهمة في اتجاه تعريب أسماء المواقع باستخدام أسماء نطاقات عربية، وزيادة المحتوى العربي على الإنترنت، بالإضافة إلى إيجاد الحلول اللازمة التي تمكن العرب من الاستفادة القصوى من الإنترنت، ومن هذه المؤسسات العلمية العربية: المركز السعودي لمعلومات الشبكة، ومركز الإمارات لمعلومات الشبكة، ووزارة المواصلات البحرينية، وشركة اتصالات قطر، ووزارة المواصلات الكويتية، والشركة العمانية للاتصالات.



فهرس المخطوطات الأصلية ـ الكويت: إدارة المكتبات: مكتبة جابر الأحمد المركزية، قسم المجموعات الخاصة ٣ مج (٢١٨٨ص)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

تعد المخطوطات المصادر الأولى للثروة التراثية العلمية والأدبية التي يزخر بها المجتمع الساعي إلى بناء حضارة تستند إلى إبداعات الماضي، وتستلهم منها إشراقة المستقبل وتطوراته.

وقد حرصت إدارة المكتبات في جامعة الكويت منذ عام ١٩٧٥م على الاهتمام بالمخطوطات وتنميتها، وتضم مجموعات المخطوطات ١٢٠١٣ مخطوطاً مصوراً، و١١٩٧ مخطوطاً أصلياً، ويتناول هذا الفهرس ١١٧٢ مخطوطاً، تشتمل على ١٩١٠ عناوين في مجالات المعرفة الإنسانية من علوم القرآن، والحديث، والفقه، والتاريخ، واللغة، والآداب، والهندسة، والطب، والعلوم، والفنون.

وقد تم ترتيب المخطوطات في الفهرس رقميًا حسب ورودها للمكتبة، ثم أضيفت فهارس تحليلية لمحتوياتها، اشتملت على: فهارس العنوان والمؤلف والموضوع مرتبة ترتيبًا هجائيًا، وقد تمت فهرسة المخطوطات على النحو الآتي:

ـ الفهرسة الأولية: تدوين عناوين المخطوطات والتحقيق من صحة نسبها إلى مؤلفيها، والفن الذي تتناوله المراجع والمصادر الفنية المتخصصة.

ـ الفهرسة الكاملة: وصف المخطوط من حيث الحجم، وعدد الأوراق والأسطر، ونوعية الخط، وسنة التأليف، والنسخ، والناسخ، وكذلك الملاحظات العامة على النسخة من قيود التمليك، والوقف، والإهداء، والقراءات، والسماع، والإجازات، والأختام، وأخيرًا المراجع التي أشارت إلى الكتاب ومؤلفه لتكون عونًا للباحث والمستفيد.



القشعمي، محمد بن عبدالرزاق/ سليمان بن صالح الدخيل: صحفيًا ومفكرًا ومؤرخًا ـ الرياض: النادي الأدبي بالرياض، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٤٠٣ص.

تتناول هذه الدراسة الكاتب الصحفي والمؤرخ سليمان الدخيل وهو ابن صالح بن دخيل بن جار الله النجدي، ولد في القصيم من أعمال نجد سنة١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، وقدم إلى بغداد وتتلمذ لمحمود شكري الألوسي، ثم طاف بلاد العرب، والهند، وكان واسع الاطلاع على أحوال الجزيرة العربية، والخليج وعادات العرب وأخبارهم. وهو أول من أسس جريدة الرياض والحياة التي صدرت من بغداد.

وله من المؤلفات: العقد المتلألئ في حساب اللآلئ، وتحفة الألباء في تاريخ الأحساء، وقد تولى طبع كتب منها: عنوان المجد في تاريخ نجد، والفوز بالمراد في تاريخ بغداد، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، وله عدة كتب أخرى منها ما طبعت ومنها ما لم تطبع.

وقد قسّم المؤلف هذه الدراسة قسمين رئيسين: القسم الأول ضم أربعة فصول تناولت سليمان الدخيل، من حيث المولد والنشأة والتعليم، وجهوده الصحفية، ومنهجه في البحث والتأليف، وما قيل عنه، وجهوده ودراساته عن الجزيرة العربية ووفاته، أما القسم الثاني فتضمن إعادة نشر بعض أبحاثه ودراساته التي نشرها عن الجزيرة العربية في صحف ومجلات وأصبح بعضها الآن صعب المنال.



فيدال، غور/ كيف أصبحنا مكروهين إلى هذا الحد - الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤م، ١٦٨ص.

يقول المؤلف: «هناك قانون فيزيائي وهو أنه ما من فعل في الطبيعة دون رد فعل، ويظهر أن القانون صحيح أيضًا في التاريخ، الذي هو مجال الطبيعة الإنسانية، في السنوات الست الماضية، وسيبقى تاريخان عرضة للتذكر أطول من المعتاد في الولايات المتحدة (التسليكية) بمعنى ولايات فقدان الذاكرة المتحدة: هما ١٩ نيسان - أبريل ١٩٩٥م، حين أقدم جندي مشاة يحمل كثيرًا من الأوسمة على صدره، اسمه تيمور ماكفاي على نسف المبنى الفيدرالي في مدينة أوكلاهوما، وقتل ١٦٧ شخصًا ما بين رجل وامرأة وطفل، لماذ؟ قال لنا ماكفاي بإسهاب بليغ - وإن كان حكامنا ووسائل إعلامنا قد آثرت أن تصفه بأنه وحش سادي مجنون، وليس شخصًا سويًا كسائر الناس - بأنه فعل من أفعال المقاومة، و١١ سبتمبر - أيلول ٢٠٠١م، حين دمر أسامة بن لادن ومنظمته الإرهابية منهاتن والبنتاغون، وقد برمجت عصبة البنتاجون المسؤولة عن إدارة شؤوننا رئيسها على إخبارنا بأن بن لادن «شرير امتلأ بالحسد والضغينة على ما لدينا من خير وثروة وحرية، ولا معنى لهذا التفسير سوى أنه يؤكد على كون حكامنا ضلوا لأكثر من نصف قرن، يمتنعون عن قول حقيقة أي بخصوص كل ما فعلته حكومتنا بالشعوب الأخرى، فضلاً عن شعوبنا نفسها، كما في حالة ماكفاي».



زغيب، ياسر/ فلسطينيو ١٩٤٨: الهوية، الواقع، والمستقبل - بيروت: مركز باحث للدراسات، ٢٠٠٣م، ٤٦٧ص.

تتناول هذه الدراسة الشاملة فلسطينيي عام ١٩٤٨م، الذين بقوا في أرضهم بعد إنشاء الكيان الصهيوني، وتعرضوا ولا يزالون - إلى مختلف الممارسات العنصرية من أجل دمجهم في هذا الكيان أو ترحيلهم عنه بالقوة إذا سنحت الظروف، من دون أن يتمكن قادة العدو من تحقيق أي من الهدفين المذكورين آنفًا.

فالوقائع التاريخية تثبت أن «عرب الداخل» قد حافظوا على هويتهم العربية الإسلامية، على الرغم من كل المؤامرات التي حيكت ضدهم، والظروف البالغة الصعوبة التي أحاطت بهم، مع الاعتراف بأن إسرائيل قد حققت بعض النجاح في اختراق فلسطينيي ١٩٤٨م، على بعض الصعد والمستويات السياسية، والاجتماعية وحتى الثقافية، والتي بقيت في المحصلة ظواهر مؤقتة أو قهرية لا يمكن لليهود أن يبنوا عليها طموحات كبيرة.

وقد تناولت هذه الدراسة كل الجوانب السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية المتعلقة بفلسطينيي أراضي عام ١٩٤٨م، منذ ما قبل إنشاء الكيان الغاصب، وصولاً إلى دورهم في رفد انتفاضات الشعب الفلسطيني في أراضي الضفة الغربية، وقطاع غزة، المتعاقبة منذ عام ١٩٦٧م، حتى انتفاضة الأقصى المبارك الأخيرة.

وقد تناول المؤلف الجذور التاريخية والسياسية لتهجير عرب ١٩٤٨م، ثم تحدث عن الواقع الديمغرافي لفلسطينيي ١٩٤٨م في ظل الحكم البريطاني، والتركيبة السكانية في الكيان الصهيوني، وتوزيع الفلسطينيين في الكيان الصهيوني منذ ١٩٤٨م،



والتوازنات الديمغرافية بين الفلسطينيين واليهود، ثم تطرق المؤلف إلى التمييز العنصري ضد العرب في الكيان الصهيوني، والمكانة الاجتماعية وحقوق المواطنة لعرب ١٩٤٨م، والتربية والتعليم في القطاع العربي، والمكانة الاقتصادية للعرب في الكيان الصهيوني، والواقع الاجتماعي والخدماتي، والعرب واللعبة السياسية في إسرائيل، والأحزاب العربية في أراضي ١٩٤٨م، وبرامج الأحزاب والحركات السياسية، والجمعيات والاتحادات العربية هناك. والدروز في الكيان الصهيوني، والصوت العربي في الكيان الصهيوني، والأقلية العربية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني، والعرب في إسرائيل وعملية التسوية.



بابللي، ضحى بنت محمود/ الموسوعة الصحية ـ الرياض: مركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة،١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ٨٤٨ص.

تقول المؤلفة «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها غير المرضى، وهي إحدى النعمتين اللتين تحدث عنهما الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ)، والصحة لا تعني خلو الإنسان من الأمراض فقط، وإنما تشمل الجوانب العضوية، والنفسانية، والاجتماعية، والبيئية، وبالتالي فالإنسان الصحيح البدن الخالي من الأمراض الجسدية العضوية لكنه يعاني من مشكلة نفسانية أو اجتماعية، أو أنه يعيش في بيئة غير صحية، فهذا يعني أنه لا يتمتع بالصحة بمفهومها الصحيح»

تهدف هذه الموسوعة إلى تزويد القراء بالمعلومات والمعارف الصحيحة السليمة التي تساعدهم على اكتساب بعض المهارات الحياتية المهمة، كما تهدف إلى تنمية الاتجاهات الإيجابية لديهم إزاء الصحة العامة، والصحة الشخصية، وما يرتبط بهما، والعمل على تعميق مفهوم الاتجاه الصحي للحياة، ودور أفراد المجتمع والتنمية الصحية لدى المجتمعات.

وتتميز هذه الموسوعة بسلاسة الأسلوب وشموليته، وعدم احتوائها على مصطلحات غريبة، وقد غطت مئة وثمانين موضوعًا صحيًا، شاملاً الدورة الحياتية للإنسان منذ أن يكون نطفة في رحم أمه حتى يصبح كهلاً. ومن أهم الموضوعات التي اشتملت عليها هذه الموسوعة الأمراض والمشكلات النفسية، والمشكلات النسائية، والأمراض الجلدية، والغذاء والتغذية، والطب البديل، وأمراض العيون، وأمراض الأطفال، وبعض المشكلات التي تواجه الأسرة في تربية أطفالها، ومشكلات النوم، والأمراض العصبية، وغيرها من الموضوعات.



سويد، ياسين/ الوجود العسكري الأجنبي في الخليج: واقع وخيارات: دعوة إلى أمن عربي إسلامي في الخليج ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤م ٢٦٢ص.

تتناول هذه الدراسة مشكلة الوجود العسكري الأجنبي في الخليج، وتدعو إلى أمن عربي إسلامي في الخليج، إذ بدأت الدراسة بالحديث عن واقع الوجود العسكري الأجنبي في الخليج من خلال مكانة الخليج في الميزان الدولي، وتاريخ منطقة الخليج

من النفوذ البريطاني إلى النفوذ الأمريكي، والاتفاقيات العسكرية الأمريكية ـ الخليجية (نشأتها، وتطورها، وتأثيرها)، وفي القسم الثاني من الكتاب يطرح المؤلف الخيارات الممكنة والمرتجاة مثل: خيارات الأمن الذاتي، وخيار الأمن القومي والإقليمي، ويقدم في القسم الثالث رؤية نقدية عن العلاقة بين أمريكا والخليج، والعرب والسلاح النووي، ويخلص المؤلف إلى عدد من المقترحات التي تدعو المسؤولين والحكام إلى تعزيز الشعور المقاوم للهيمنة الأجنبية (العسكرية والسياسية)، والسعي إلى الوصول إلى اكتفاء ذاتي (اقتصادي ـ عسكري) من خلال وضع إستراتيجية قومية للاكتفاء الذاتي اقتصاديًا عن طريق توفير الامكانات القومية، ووضع إستراتيجية قومية للتسلح تقوم على تحديد خطط زمنية للبدء في إنتاج الأسلحة والأعتدة، والذخائر الحربية في الأقطار العربية للوصول إلى إنشاء تكتل «الصناعات العسكرية العربية»، وبانتظار تحقيق هذه الإستراتيجية لا بد من أن يتوصل العرب إلى اعتماد سياسة شراء الأسلحة من مصادر مختلفة ومتنوعة، واعتماد سياسة الحصول على حق تصنيع الأسلحة الكيماوية، والنووية أسوة بالكيان الصهيوني، والسعي إلى قبول درجة مقبولة من الإنتاج الصناعي الوطني ثم القومي، وتفعيل جامعة الدولة العربية، وتعزيز دورها، وذلك بتعديل ميثاقها، والسعي الجدي لاستعادة طاقات الأمة كمظهر من مظاهر سيادتها واستقلاله، إلى جانب عدد من الاقتراحات الأخرى المهمة .

وزيري، يحيى/ العمارة الإسلامية والبيئة: الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٤م، ٢٨٥ص، (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠٤).



يناقش هذا الكتاب عدداً من الأبحاث والكتابات المؤثرات البيئية في العمائر والمدن الإسلامية في محاولة لإظهار ردود فعل العمارة والفكر الإسلاميين تجاه معطيات البيئة، خصوصًا في المناطق الصحراوية من العالم الإسلامي، ولكن يلاحظ أن أغلب المحاولات تركز في المؤثرات المناخية فقط، التي بلاشك تمثل أحد أهم جوانب البيئة الطبيعية، كما أن هذه الدراسات غالبًا ما تركز في عمارة المسكن الإسلامي دون سائر الأنواع الأخرى من المباني، التي يأتي على رأسها المسجد.

وتربط هذه الدراسة بين موضوعي العمارة الإسلامية والبيئة، إذ تعرض وتناقش بعض الرؤى غير التقليدية الخاصة بالعمارة الإسلامية، من أجل استجلاء بعض الجوانب التي يمكن ألا تكون ظاهرة للعيان عند الحديث عن العمارة الإسلامية.

وتتضمن الدراسة مدخلاً تمهيدياً، وستة فصول أساسية، وجاء المدخل التمهيدي لاستعراض عدد من المفاهيم والأفكار التي تعد الخلفية الأساسية لموضوع الدراسة، ويوضح الفصل الأول تأثير العوامل الدينية التي كانت تمثل العمود الفقري للحضارة والفنون الإسلامية، ويتناول الفصل الثاني التفاعلات والمؤثرات الحضارية التي ساهمت في ظهور مدارس وطرز العمارة الإسلامية، ويوضح الفصل الثالث المعالجات المناخية على مستوى تخطيط المدينة الإسلامية، وناقش الفصل الرابع عدة رؤى متصلة بعمارة

المسجد، الذي يأتي على رأس المباني الدينية في العمارة الإسلامية، ويحاول الفصل الخامس توضيح الخصائص التصميمية للمسكن الإسلامي، ويبرز الفصل السادس اهتمام العمارة الإسلامية بتصميم الحدائق وتدشين المواقع.



توركماني، حسن/ الصراع المعلوماتي: السمة الأساسية لحروب المستقبل ـ دمشق: دار الأولى للنشر والتوزيع، ٢٣٤ص.

يقدم هذا الكتاب معلومات عامة عن الصراع المعلوماتي، وأدواته، وأساليبه، وطرائقه، وأساليب العمل لتحقيق الوقاية من تأثيراته، إذ يستعرض المؤلف في الباب الأول جذور المجابهة المعلوماتية، ويركز في الباب الثاني في السلاح المعلوماتي الذي هو أداة المواجهة المعلوماتية، مبينًا أغراض التأثير المعلوماتي، وأنواع أسلحة التأثير بما فيها الأسلحة الفيزيائية النفسية.

وتطرق المؤلف في الباب الثالث إلى الأمن المعلوماتي، مبيناً التوصيات العملية لتحقيقه، وأورد في البابين الرابع والخامس التوصيات العملية في مجال الأمن موضحًا مصادر التهديد، وطرق تأمين الأمن المعلوماتي، ووقاية التنظيمات الحكومية، والمؤسسات والشركات الحكومية والخاصة.

وقدّم في الباب السادس تحليلاً لوجهات نظر القيادات العسكرية في الدول الأجنبية حول خوض الصراع المعلوماتي، والحرب المعلوماتية مثل: وجهات نظر القيادة الأمريكية، والإسرائيلية، وخصص الباب السابع للقنبلة الكهروطيسية، وأهميتها المتصاعدة لكونها اللبنة الأولى في الحملات الجوية الاستراتيجية، وخصص الباب الثامن للبحث في أشكال وطرق خوض الصراع المعلوماتي شاملاً التأثير المعلوماتي ـ الإعلامي، والتأثير المعلوماتي ـ النفسي؛ إضافة إلى أشكال وطرق تنفيذ التأثير المعلوماتي الإعلامي ـ الفني.



المسيري، عبدالوهاب/ مقدمة لدراسة الصراع العربي الإسرائيلي: جذوره، ومساره، ومستقبله ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ١٩٢ص.

يقدّم هذا الكتاب رؤية شاملة لجذور الصراع العربي الإسرائيلي ومساره ومستقبله، وهو عبارة عن دراسات نشرت بين عامي ١٩٩٦م و ٢٠٠٠م.

ويضم ستة فصول رئيسة، إذ يقدم الفصل الأول رؤية بانورامية للجماعات اليهودية في العالم: أعدادهم وهجرتهم، وتنوعهم، وعدم تجانسهم.

وجاء الفصل الثاني بعنوان «يهود أم جماعات وظيفية يهودية»، ويتناول مفهوم الجماعة الوظيفية، ويحاول تطبيقه على الجماعات اليهودية.

وبيّن الفصل الثالث كيف تبلور الفكر الصهيوني داخل التشكيل الحضاري الغربي والإمبريالي؟ ويحاول الفصل الرابع «موجز تاريخ الصهيونية» أن يقدّم خريطة متكاملة لتطور الفكر الصهيوني.

ويتناول الفصل الخامس الظاهرة الصهيونية في محاولة لتحديد سماتها العامة

والخاصة. وتعريفًا لها بدلاً من التعريفات الغربية المتميزة ذات المقدرة التفسيرية. وجاء الفصل السادس والأخير بعنوان «أزمة الصهيونية» موضحًا مصادر أزمة الأيديولوجية والتجمع الصهيوني، ومدى تأثيرها في مستقبل إسرائيل.

وردم، باتر محمد علي/ العولمة ومستقبل الأرض- عمان: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ٤٣٧ص.

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة تأثيرات العولمة الاقتصادية والنظام الاقتصادي العالمي الليبرالي الجديد على عناصر الطبيعة والبيئة العالمية، وينضم الكتاب إلى تيار مناهضة العولمة العالمي المكون من منظمات المجتمع المدني، والمدافعين عن حقوق الإنسان والبيئة والعولمة الاجتماعية، ويسعى إلى تعريف القارئ بالمخاطر التي تشكلها سياسات العولمة الاقتصادية على شعوب العالم الثالث.

ويتضمن الكتاب ثمانية فصول رئيسة: قدّم الفصل الأول، شرحًا مختصرًا لمفهوم العولمة الاقتصادية وآليات عملها المتمثلة في مؤسسات صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، والشركات المتعددة الجنسيات، والتأثيرات الاقتصادية، والاجتماعية لسياسات العولمة والليبرالية الاقتصادية، ويناقش الفصل الثاني الروابط المباشرة بين العولمة والبيئة من خلال استنزاف الموارد الطبيعية لدعم الأنشطة الاقتصادية، ويركز الفصل الثالث على دراسة تأثير العولمة على مستقبل الأرض والإنسان مثل: انتشار الفقر من خلال التوزيع السيئ لمكاسب النمو الاقتصادي، وتهميش المجتمعات الفقيرة.



ويهتم الفصل الرابع بقضية الأمن الغذائي والزراعة وهي من أكثر القضايا الحساسة في مجال العولمة والتنمية، ويركز الفصل الخامس على جدال تغير المناخ والطاقة، والانتقال نحو سياسات طاقة مستديمة وعادلة، وخطر التغير المناخي على مستقبل العالم، وتقديم الدول الصناعية مثل أمريكا لمصالحها الاقتصادية على المصالح العامة لسكان الكوكب.

ويتعلق الفصل السادس بقضية إدارة المياه العذبة، ويركز في الجدال حول تسعير المياه وخاصة الموارد المائية وسياسات المياه الدولية، وعلاقة التنافس على الموارد المائية.

أما الفصل السابع فيهتم بقضايا حماية التنّوع الحيوي وأصناف الحياة، ومخاطر العولمة من خلال قرصنة الموارد الحية وخاصة الجينات والموارد الوراثية ذات الخصائص الاقتصادية، ويشرح خطورة إخضاع أصناف الحياة والكائنات الحية لبراءات الاختراع الدولية حسب قوانين اتفاقية الملكية الفكرية.

ويهتم الفصل الثامن بعولمة الأمراض المعدية في العالم، وتأثيرات أنظمة التجارة على حقوق الناس في الحصول على الأدوية، وكذلك بعمليات الاتجار بالنفايات الخطرة والسامة، ونقل التلوث من الشمال إلى الجنوب، واستخدام الكثير من الدول النامية كمناطق لدفن النفايات والمواد السامة الناتجة من الدول الصناعية.





نزوى (ع ٣٨، صفر ١٤٢٥هـ/ إبريل ٢٠٠٤م)

جاء هذا العدد من الدورية زاخراً بعدد كبير من الموضوعات المتنوعة جاءت تحت عدة أبواب، بدأت بالاستطلاع الذي كان عن «رسم النعام على صخور عُمان» كتبه علي التجاني الماحي وترجمه: درديري ساتي.

وجاء باب المحور عن: «عبدالرحمن منيف .. ومساءلة التاريخ» لفيصل دراج، و«موضوعات نظرية لحوار تأويلي مقارن بين (أرض السواد) و(مدن الملح)» لعبدالرزاق عيد، و«معاش يلفه الكفن: صورة الموت في مدن الملح» لمحمد شاهين، و«شهادة .. رحلة قارئ في عالم عبدالرحمن منيف» لناصر الغيلاني.

وجاء في الدراسات: «الاستشراق في اليابان» لبسام طيارة، و«حنين بن إسحق وعصر الترجمة العربية» لنسيم مجلي، و«قِرَاءةُ المحذُوف: قصائد لم تنشرها فدوى طوقان» للمتوكل طه، و«الدلال في الخطاب الروائي النسوي» لرفيعة الطالعي، و«الإعلام الدولي بين النظام العالمي الجديد والاستعمار» لعبدالله الكندي، وغير ذلك من الدراسات.

وكان التشكيل عن «قراءة الصورة الفوتوغرافية، تحليل سميوطيقي» لعبدالمنعم الحسني، والسينما عن «سيناريو الساعات» لدايفيد هير عن قصة الكاتب: مايكل كونينجهام، ترجمة: مها لطفي (تتمة العدد السابق)، وجاء في لقاء العدد حوار مع عبدالواحد لؤلؤة، حاوره: محمد عبيدالله، وحوار آخر مع بهاء الدين الطود أجراه عبدالرحيم العلام.

وفي مجال الشعر: كانت قصائد: «حق الرفقة العجب» لسعدي يوسف، و«الفراشة» لمحمد علي شمس الدين، وقصائد للشاعر التشيلي لويس ميزون، ترجمة: المهدي أخريف، و«قصائد» لعلي المخمري، و«أمسكنا الوعل من قرونه» لزهران القاسمي، و«آل هؤلاء» لدرويش علوش، وغيرها من القصائد.

وجاءت النصوص: «في زمان آخر» لحسين العبري، و«قصتان» لمحمود الريماوي، و«منازل الرمل» لأحمد محمد الرحبي، و«الدعاء» لعبدالعزيز الفارسي، و«من الذي كتب الرواية» لعبدالستار ناصر، و«جدار أبيض» ليحيى المنذري، و«عندما يضيع المفتاح!» لسليمان المعمري.

وكان آخر أبواب العدد عن المتابعات، وفيها: كتاب «العشق والكتابة» لرجاء بن سلامة، قدم المتابعة: فرج بوعشة، وكتاب «آخر القرامطة» للدكتور أحمد الصياد، قدم القراءة له علي محمد زيد، وظلال العراق الجنوبي في شعر علاء اللمي، قدم القراءة خيرالله سعيد، وغير ذلك من المتابعات.

العنوان:

ص.ب: ٨٥٥، الرمز البريدي: ١١٧، الوادي الكبير مسقط ـ سلطنة عمان.



هاتف: ٦٠١٦٠٨

ناسوخ: ٦٩٤٢٥٤

موقع المجلة على الإنترنت: www.nizwa.com

العدل (س٦، ع٢١، المحرم ١٤٢٥هـ)

مجلة فصلية محكّمة تعنى بشؤون الفقه والقضاء، تصدر عن وزارة العدل بالمملكة العربية السعودية.

صدر هذا العدد متزامنًا مع احتفال وزارة العدل بتكامل صدور منظومة الأنظمة القضائية الإجرائية، وعقد ندوة القضاء والأنظمة العدلية للتعريف بها، فجاء هذا العدد متضمنًا هذه الأنظمة؛ لتكون قريبة التناول، بعد أن حظيت بنشرها في أعداد متفرقة.

والأنظمة المذكورة هي: «نظام المرافعات الشرعية»، و«نظام الإجراءات الجزائية»، و«نظام المحاماة ولوائحه التنفيذية»، و«نظام التسجيل العيني للعقار»، و«نظام مكافحة غسل الأموال».

العنوان:

وزارة العدل - الرياض: ١١١٣٧

هاتف ناسوخ: ٤٠٢٣٣٦٥ و ٤٠٥٧٧٧٧/تحويلة ١٥٨١/١٥٩١

موقع وزارة العدل على الإنترنت: WWWW.MOJ.GOV.SA



الإداري (س٢٦، ع٩٦، المحرم ١٤٢٥هـ/مارس ٢٠٠٤م)

دورية علمية محكّمة متخصصة في مجال العلوم الإدارية تصدر عن معهد الإدارة العامة بمسقط.

جاء هذا العدد من الدورية زاخرًا بعدد كبير من البحوث والمقالات ومراجعات الكتب والتقارير والترجمات العلمية، بالإضافة إلى ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه في الموضوعات المتصلة بسلطنة عمان باللغتين العربية والإنجليزية، بدأت ببحث للدكتور علاء الدين عبدالوهاب بعنوان «المزيج الإنتاجي الأمثل ما بين العائد الحدي ونظرية القيود»، وكتب الدكتور محمد نبيل علام عن «سرية البيانات المالية بين مقاصد التشريع وتفسيرات القوانين في وحدات القطاع الخاص بدولة قطر»، وتناول الدكتور مأمون توفيق حمدان «نموذج مقترح للرقابة المحاسبية على عمليات البحث والتطوير ومعالجة نفقاتها في ظل معايير المحاسبة الدولية في المنشآت الصناعية»، وكان آخر بحوث العدد للدكتور وليد زكريا صيام بعنوان «التدريب لطلاب المحاسبة في الجامعات



الأردنية طريق للكفاءة المهنية وسوق العمل».

وفي مجال ملخص رسائل الماجستير والدكتوراه كان موضوع «الاتصالات الإدارية في الأجهزة الحكومية العُمانية: دراسة تحليلية» قدمته زهراء بنت سيف المنجي. وفي مجال القراءات قدّم قاسم عباس عيسى عرضًا وتحليلاً لكتاب «عُمان: بناء الدولة الحديثة» تأليف: عبدالحميد الوافي، كما قدمت سامية بنت حمدان الطائي عرضًا وتحليلاً لكتاب «التحفيز المعنوي وكيفية تفعيله في القطاع العام الحكومي العربي»، تأليف: د. محمد مرعي مرعي.

وجاءت في الختام «وثائق وتقارير»، عن «ندوة القيادات العليا حول: الإدارة بالقيم: اتجاه إداري حديث للأداء القيادي المتميز ٢٨ ـ ديسمبر ٢٠٠٣م»، أعدها الأستاذ خميس الكليبي.

العنوان:

ص.ب: ١٩٩٤ ـ الرمز البريدي: ١١٢

مسقط ـ عمان

هاتف: ٦٠٢٢٥٢/٦٠٢٣٨٦/٦٩٩٠٠٨

ناسوخ: ٦٠٢٠٦٦

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س٣٠، ع١١٣، صفر ١٤٢٥هـ/ إبريل ٢٠٠٤م)

مجلة فصلية محكّمة تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية، وتصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت.



جاء في هذا العدد من الدورية عدد كبير من البحوث والدراسات التي تتناول الموضوعات المتعلقة بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والقانونية باللغتين العربية والإنجليزية.

ففي مجال البحوث والدراسات كتب جاسم محمد يوسف كرم بحثًا بعنوان «الوزن الجيوبوليتيكي للمملكة العربية السعودية»، وقدّم عبدالصمد قائد الأغبري دراسة ميدانية لـ«عوامل تفعيل المجالس واللجان المدرسية من وجهة نظر عينة من مديري مدارس التعليم العام ومعلميها في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية»، كما قدّم طلال بن محمود محمد ضاحي ومحمد بن عبدالله سليمان فلاتة دراسة في النسق العقدي السياسي لـ«عضوية المملكة العربية السعودية في المنظمات الإقليمية في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود»، وتناول عبدالله محمد موسى العبيدان «تأثير الحجم والانتشار في كفاءة البنوك التجارية الكويتية وتحديات العولمة»، وناقش أشرف أحمد حافظ «الحكمة وأنماطها في شعر عبدالرزاق العدساني»، وكان آخر البحوث بعنوان

«المحددات السلوكية في الأمن الصناعي في دولة الإمارات: دراسة باستخدام نموذج التحليل الهيكلي المساري» قدمها مسعود عبدالله بدري.

وأعدت سهيلة فهد المالك الصباح «البيبلوجرافيا العربية»، ثم جاءت ملخصات البحوث باللغة العربية.

وفي مجال البحوث باللغة الإنجليزية جاء بحث عبدالمنعم بن إبراهيم العبدالمنعم وعبدالعزيز علي السوداني بعنوان «تخصيص الموارد لتمويل الخدمات الصحية في المملكة العربية السعودية».

وختمت الدورية بملخصات البحوث باللغة الإنجليزية.

العنوان:

ص.ب: ١٧٠٧٣ الخالدية ـ الرمز البريدي ٧٢٤٥١ ـ الكويت.

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥ ـ ٤٨٣٣٧٠٥

ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥

الثقافة العالمية (ع١٢٣، مارس ـ إبريل ٢٠٠٤م)

دورية تترجم الجديد في الثقافة العالمية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

تنوعت موضوعات هذا العدد من الدورية، بدأت بموضوع عنوانه «حدود عصية على السيطرة» بقلم: جادش بجواتي، ترجمة: جعفر جميل أبوناصر، وكتب في. راماناثان عن «التجريب بكوكب الأرض» ترجمة: صفاء روماني، وتناول مارك روجيك «أساسيات العلاج» ترجمة: شاهر عبيد.

وفي ملف العدد الذي جاء بعنوان «رحلات روحية غريبة» عدة صور عن حالات مختلفة للنفس البشرية، وتحت هذا العنوان كتب إيف سياما، ترجمة: صابر أوبيري، وتناول ويليام ر.ميللر موضوع «الروحانية والدين والصحة»، ترجمة: د. محمد طه، وخريستو بورتو خريستوف «آلة الزمن»، وكتب روبرت س. لوتاك عن «الجمهورية الإمبريالية»ترجمة: فرج الترهوني، و«دروس في اغتيال المدن» بقلم: ستيفن جراهام، ترجمة: محمد علي ثابت، و«تكنولوجيا المعلومات» لنيكولاس جي كار، ترجمة: محمد مجدالدين باكير، وكان آخر موضوعات العدد بعنوان «مستقبل الإنترنت» بقلم مارك وارد، ترجمة: إيهاب عبدالرحيم.



العنوان:

ص.ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي: ١٣١٠٠ ـ دولة الكويت.

البريد الإلكتروني: thaqafa@nccal.gov.kw



نزيف العقول!!

مازن بن صلاح مطبقاني
الرياض ـ السعودية

أوتنزف العقول أي تسيل قطرة قطرة حتى تفرغ من محتواها كما تنزف الجراح؟ ياله من مجاز عجيب!!! نعم تنزف العقول فتنتقل من مكان إلى مكان، وتنزف العقول وتنضب وهي في مكانها. وتنزف حتى تدفن، وكأنّي بها كما قال أحدهم «تموت الأشجار واقفة» وتموت العقول دون أن تهاجر. ولكن النزف دائمًا يحمل معنى سلبيًا؟ فهل نزيف العقول أو الأدمغة العربية المسلمة سلبي كذلك؟ الأمر فيه تفصيل ولا شك.

قبل سنوات أوردت الصحف خبرًا فحواه أن المؤسسات السينمائية الغربية تطالب السينما المصرية قبل أن تدفع لها مبالغ مالية ضخمة بسبب (اقتباس) الأفكار من السينما الأمريكية أو (سرقتها). فسألت من الذي يطلب التعويض من الآخر الذي قدم سينما قائمة على تشجيع الانحلال والعنف والقتل والفساد الأخلاقي فأخذ بعض الأغبياء تلك الأفكار؟ نحن الذين يجب أن نطالب الأمريكان بتعويضات عما فعلت وتفعل أفلامهم في أبنائنا وبناتنا وأجيالنا الحاضرة والمستقبلة. وثمة أمر آخر أليس من حقنا أن نطالبهم بأن يدفعوا تعويضات عن خسائرنا من العقول التي انتقلت من بلادنا بعد أن أنفقت دولنا عليها المبالغ الطائلة؟

ولنعد إلى تعريف النزيف. فقد قلنا إنها تنزف بالانتقال من مكان إلى آخر، وتنزف وهي في مكانها حين يحبس عنها الهواء فتجمد وتعيش كما قال أحد الزعماء ذات مرة فتعيش حياة بيولوجية. يعيش الأستاذ في مكانه محرومًا من الإنتاج محرومًا من الفرصة أن يتطور وأن يزيد قدراته العلمية. أليس هدرًا لطاقة الأستاذ حين يطالب بالمراقبة ثلاث ساعات ولثمانية أيام في كل فصل دراسي بحجة أن الامتحانات هكذا: لجان تجمع الطلاب جميعًا وعليه أن يشترك في المراقبة؟ أنا أقوم بتدريس مادتين أو ثلاث فأراقب هذا العدد فقط ومعي من يساعدني من المعيدين أو المحاضرين أو زميل آخر. لقد أحصيت ذات مرة قضية المراقبة فوجدت أننا نهدر آلاف الساعات من أوقات علماء يمكن أن يقضوها في البحث العلمي المفيد.

وكيف يزيد قدراته العلمية وهو لا يعرف ما المنح الجامعية التي تعطيه الفرصة لإجراء بحث؟ ولا يعرف فرصة أن يكون أستاذًا زائرًا في جامعة أخرى؟ وكيف يزيد قدرته ويعامله الإداريون في جامعته دون احترام؟ يظن ذلك الموظف المسكين أنه يسدي للأستاذ معروفًا حين يقوم بواجب من واجباته؟ والأنكى من ذلك أن الأستاذ يعامل من بعض المسؤولين في الجامعة معاملة تدمي الكرامة فلا يردون على خطاباته حتى يزعم مسؤول ما «إننا إذا لم نرد فمعنى ذلك الرفض» وعدم الرد يبعدهم من الوقوع في الحرج والسؤال: لماذا رفضتم؟ إن هذا العقل سينزف أو يتجمد في مكانه لأنه لم تتح له فرصة أن يعيش. أليس منزفًا للعقول أن يعجز أستاذ عن الحصول على موعد لمقابلة مسؤول معين في جامعة ما؟ يقال له «أبواب الجامعة مفتوحة» فيرد الأستاذ وهل الجامعة جامعة إن لم تكن أبوابها مفتوحة؟

أليس موتًا أن يبقى الأستاذ في جامعته يدرّس القاعات التي تضم مئات الطلاب فلا يكون له هم إلاّ كيف يمضي يومه حتى إذا انتهت المحاضرات عاد إلى بيته ليلتقط أنفاسه؟ وقد نظرت في وجوه أساتذة إحدى الكليات في إحدى جامعاتنا فرأيت موتًا، والله رأيت موتًا؟ إن للحياة رونقًا وجمالاً وبهاءً؟ ولكن هؤلاء الأساتيذ كأنهم من عالم آخر. وقد جلست إلى بعض الأساتذة في تلك الكلية فإذا بهم لا يتجاوز حديثهم القضايا المادية البحت في الحياة أو في التدريس من عدد الطلاب الكبير وطريقة السيطرة على القاعات أو طريقة أخذ الحضور أو تصحيح الواجبات؟ ورأيت أساتذة يعيشون سنوات دون أن يتذوقوا حلاوة التدريس في الدراسات العليا حين يكون الطالب شريكًا للأستاذ في المادة فيفيد الأستاذ من

قدرات طلابهم ونشاطهم وعلمهم.

أليس نزيفًا أن يعيش الأستاذ في جامعة واحدة طوال حياته. أعرف العشرات وهناك المئات والآلاف الذين درسوا المرحلة الجامعية والدراسات العليا وعملوا بالتدريس في جامعة واحدة. ربما لم يدخلوا حتى قاعات جامعة أخرى، بل بعضهم لم يقف محاضرًا أو مستمعًا في غير جامعته، حتى إنني أطلقت على ذلك - معاطن الإبل - وهو ما يذكرني بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عن أن يصلي الرجل صلاتين في مكان واحد.

نعم بقدر ما هو مزعج وخطير أن تنزف العقول من مكان إلى مكان. فالأخطر أن تنزف وهي في مكانها. ألم تتكلف خزينة الدولة أموالاً كثيرة لإعداد الأستاذ الجامعي؟ إنه حين كان معيدًا فمحاضرًا ألم يتقاض رواتب وهو يدرس؟ ثم ألم نعدّ له المكتبات والرحلات العلمية وننفق على الأساتذة المشرفين حتى يصبح أستاذًا؟ ثم تمر عليه الأعوام بعد أن يأخذ درجة (الأستاذ المساعد) ولم يقدم بحثًا ولم يعد محاضرة عامة وحتى خاصة؟ لم يكتب مقالة علمية أو غير علمية؟ لم يتحدث إلى إذاعة أو تلفزيون؟ أليس هذا عقلاً نازفًا؟ وقد تمضي على تخرجه عشر سنوات دون أن يكتب بحثًا واحدًا !!!!

وتنزف العقول حين تنتقل من الجامعة لتجد الأستاذ يقضي وقتًا طويلاً في أعمال لا علاقة لها بالعلم كأن يشرف على ورشة لإصلاح الإطارات؟ أو تجده في سوق العقار يشتري ويبيع. لقد سمعت عن أساتذة جامعات في دولة عربية شقيقة أنهم يقودون سيارات الأجرة بعد انتهاء محاضراتهم؛ ذلك لأن الرواتب لا تكفيهم لكي يعيشوا حياة كريمة.

وتأتي الفرص لعدد من الأساتذة لينتقلوا من الجامعة إلى القطاع الخاص أو حتى القطاع العام حيث يجد الأستاذ شيئًا من الاحترام والتقدير ويكون في مكان يعيش فيه حياة كريمة. وليت عندنا دراسات حول هذه المسألة؟ لنعرف حجم هذا التسرب من الجامعات إلى خارجها؟ وكأنني بالأستاذ الجامعي الذي لا يغادر الجامعة كما يقال في المثل العربي «لا يقبل الضيم إلاّ الأذلان» أو كما قال أحدهم عن فأر لم يغادر البيت على الرغم من عدم وجود طعام فيه «إنه لا يغادر حبًا للوطن».

سأترك الحديث عن النزف الداخلي إلى النزف الخارجي، لقد عجبت وأنا أرصد بعض السير العلمية لعدد من المستشرقين فوجدت أن الأستاذ الجامعي هناك له من الإنتاج ما يعادل إنتاج عشرة أو حتى مئة من أساتذة الجامعات في عالمنا العربي والإسلامي؟ فتعجبت أهؤلاء خلقوا من طينة غير الطينة التي خلقنا منها؟ ولكني رأيتهم وجلست إليهم وتحدثت فوجدتهم مثلنا - والله بشر مثلنا - وقد سافرت إلى نيويورك من المدينة المنورة ثلاثة أيام فقط فحضرت ندوة شاركت فيها، ثم حضرت محاضرة لأستاذ زائر - وعلى الرغم من تغيير الوقت وتعب السفر - شاركت في النقاش، ثم في اليوم الثالث حضرت نشاطًا لطلاب اللغة العربية وشاركتهم في ساعة التدريب على الحديث باللغة العربية، كما زرت عددًا من المكتبات العلمية وزرت الأسواق لشراء هدايا لأبنائي. فهل كنت أنا غير أنا في تلك الأيام؟

أعرف أستاذًا زار جامعة أمريكية فحضر أربع محاضرات عامة خلال أربعة أسابيع وقابل عشرات الأساتذة، وكل مقابلة كانت مدتها ساعة أو تزيد. فهل تغيّر تكوين الأستاذ الجامعي حين انتقل إلى العالم الآخر؟

ونتساءل هل للنزيف بأنواعه أضرار؟ نعم وألف نعم له أضرار إذ نهدر ثرواتنا ولا نفيد منها الفائدة الحقيقية. إنها تضيع من الجامعة التي أنفقت الكثير لإعداد هؤلاء الأساتذة ليعملوا في مكان يمكن أن يقوم فيه من هو أقل منهم. أعرف صاحب دكتوراه في القانون يعمل في مجال يرأس مجموعة من العمال والإداريين العاديين ولا يمكن لذلك العمل أن يحتاج إلى أن يكون وصل إلى الدكتوراه ثم تركها. ولكن الراتب المغري والامتيازات في العمل الإداري الخاص هي التي أغرته.

ومن أضرار نزيف العقول أننا ندعم الأعداء بعقول أبنائنا ونحن نعيش في مرحلة النمو والبناء وإذا بهذا النزيف يحولنا إلى مرحلة الهدم أو حتى في أحسن الفروض يجعلنا في مرحلة الجمود.

وماذا يمكن للإنسان أن يوصي هنا غير أن يسأل الله عز وجل أن يبصرنا جميعًا بالحق وأن نكون ممن يتبع الحق. ثم أسأل الله ألا نكون قد وصلنا إلى مرحلة توسيد الأمور إلى غير أهلها. وأن ينظر في كيفية أن يعيش الأستاذ الجامعي حياة كريمة لا يحتاج إلى أن يكون بنشرجيًا أو غسّالاً ولا ينظر إلى ذلك المغني الذي كان يكوي الملابس فيحسده على الأموال الطائلة والاحترام الذي يلقاه في مجتمعه.